



لا أرى
إلا الله

رواية

مملكة سينامجنين

رضوى محمد

الكتاب: لا أرى إلاك، مملكة سينامجنين

اسم المؤلف: رضوى محمد

تصميم الغلاف: مروة صلاح

تنسيق الكتاب: مؤسسة إبداع

التدقيق اللغوي: جهاد السنيدي

الطبعة: فبراير 2023

رقم الإيداع: 2023 / 2347

الترقيم الدولي: 6 - 590 - 779 - 977 - 978

الموقع: www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

dreidibrahim@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

للتواصل بخصوص النشر:

info@ibda3eg.com

publishing@ibda3eg.com

للتواصل بخصوص المبيعات

00201004022774

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو

نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض

صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء

والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية

بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 10 ش هدى شعراوي، وسط البلد، القاهرة

هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.ibda3eg.com



dar_ibda3



ibda3_tp

٢٧٠٦٠٩٠٢٩٤



dar_ibda3



جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضاد، الإلكترونية. ©

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب



الإهداء

إلي أبي.. من علمني أن أقرأ، علمني أن أحلم وأن أصل بحلمي
لعنان السماء..

إلي أمي.. من صنعتني ووهبتني الحب والحنان..

إلي حبيبي.. الذي غمرني حبا وعشقا..

إلي أختي.. من شد الله بها عضدي وأشركها في أمري..

إلي هند.. رفيقة الدرب والصبأ وأول من قالت لي اكتبني.

إليكم جميعاً أهدي كتابي، لولاكم ما خرج هذا العمل الي النور
فالحمد لله ان وهبني إياكم



إِنِّي لَأَنْظُرُ فِي الْوَجُودِ بِأَسْرِهِ

لَأَرَى الْوَجْدَ الْوَجْدَ، فَلَا أَرَى إِلَّاكَ

قَالُوا وَيَخْلُقُ أَرْبَعِينَ مُشَابِهَا

مِنْ أَرْبَعِينَكَ لَا أُرِيدُ سِوَاكَ

جميل بن معمر (جميل بثينة)



كان الجو صحواً مشمساً على غير عادة مملكة سينامجنين الباردة..

استيقظ الناس ليجدوا أن الثلج قد توقف عن السقوط، وبدت الشمس في السماء تدعوهم للاستمتاع بها قبل عودة الثلج ثانية، فهم يعلمون أن توقف الثلج لا يعني توقفه بالكلية.. إنما هي راحة قصيرة قبل أن يعود بقوة أكثر ربما هذه المرة.

تجتز ما ند في مشيته غير عابئ بما يلاقه من جهد وتعِبٍ بسبب الثلج الكثيف.. فأخيراً بعد أسبوعٍ من نزول الثلج المستمر يستطيع الخروج والتمتع بالمشي بدلاً من الهرولة تحت أطنان الفرو.. جاءه صوت أبواق القلعة البيضاء من ناحية الشرق معلناً عن وجود أخبار جديدة.. لن يمر وقت طويل حتى تبعث القلعة برسالتها إلى السوق الكبير في سينامجنين معلنة عن الأخبار.. يخبره حدسه أنها أخبار سعيدة.. فعلى الرغم من أن الأبواق لا تصدر سوى لحنٍ واحدٍ في كل الأحوال إلا أن أهالي سينامجنين يستطيعون تمييز إذا ما كانت الأخبار جيدة أو سيئة بمجرد انطلاق الأبواق، وقبل وصول الرسل.

انطلق ما ند بمحاذاة النهر المتجمد معظم أيام السنة في المملكة، الذي يقع على ضفته الأخرى غابة لينودام التي تتميز بأشجارها العالية وأوراقها الذهبية العجيبة التي يعلو الثلج قممها، ولكن لسبب ما غير معلوم لا يسقط على أرض الغابة إلا نتف منه، فتبقى الغابة دافئة نسبياً عن باقي المملكة المتجمدة.. وتبقى أنهار الغابة الرقراقة تجري فيها دون توقف.. إنها غابة لينودام الجميلة شريان الحياة الدافئ لمملكة سينامجنين المتجمدة.. ولولا وجودها ما قامت تلك

المملكة العظيمة، وهلك من فيها من شدة البرد والجوع.. فأشجارها تُقطع للتدفئة وتُقطف ثمارها الوفيرة والغريبة فيأكلون منها وتصنع من أزهارها وورودها أجمل وأعذب العطور ثم يذهب بها التجار إلى أقاصي الأرض ويعودون بالحبوب والأقمشة وغيرها من البضائع اللازمة لأهل المملكة.. ولذلك فإن جل قوانين سينامجنين تعمل على حماية الغابة وتنظيم العمل فيها بالشكل الذي يحافظ عليها من الفساد والضرر.. فلو ترك الأمر للناس لقطعوا كل الأشجار وأفسدوا الثمار وأضروا بالغابة أيما ضرر، ولذلك فقد سنت أقصى العقوبات على من يضر بالغابة.. بالأضرار بالغابة يعني الإضرار بأمن المملكة وسيادتها.

وصل ماند إلى السوق وهي ساحة دائرية كبيرة تتراص فيها الخيام الأرجوانية والصفراء والخضراء في منظر بهيج، ويوجب القانون على التجار لبس زيٍّ أحمر موحد، تصرفه المملكة لهم ويدل على أن البائع مُصرَّح له بالعمل في السوق، وأن بضاعته سليمة وقانونية.. لذلك فإن هذا الثوب يعد صكًا قانونيًا ولا يُسمح ببيعه أو استبداله ويسمي «الماني» وقد سُميت السوق بالسوق الحمراء نسبة إليه.

وقف البائعون خارج خيامهم يدللون على بضائعهم ويعرضونها ويصيحون بها.. ووقف ماند يجول بعينه بين الخيام حتى وقعت عيناه على خيمة أرجوانية يقف أمامها رجل يحيط برقبته فرو ناعم كثيف برتقالي وبه نقط خضراء مما جعل شكله غريبًا، فابتسم لمرآه وانطلق إلى حيث يقف الرجل.

- فلسبر.. ها أنت ذا..

التفت الشاب الوسيم الذي بدأ في مقتبل العمر.. لم يتجاوز عقده



الثاني.. فتحرّكت كومة الفرو البرتقالي بنخفة وانسيابٍ حول عنقه
وظهرت عيناانِ صفراوان!

- ماند.. كيف حالك يا رجل.. لم أتوقع قدومك اليوم!

نظر ماند إلى كومة الفرو التي اتضح أنها لإحدى الحيوانات
الغريبة التي يبيعها فلسبر.

- فلسبر.. ستقتلك إحدى حيواناتك الغريبة أو الأدهى ربما
تقتل إحدى زبائنك..

ضحك فلسبر وضح لصاحبه:

- إنها أليفة ولا تقتل.. لا تمل هذا الحديث يا ماند أبداً..
كشّرت كومة الفرو البرتقالية عن أسنان صفراء في وجه ماند،
وكانها توبخه على ظنه بها.

- لقد جئتُ عندما سمعت الأبقاق.. إذا هل جاء الرسل؟

- نعم..

ولكن فلسبر لم يزد عن ذلك فاستحثه صاحبه في لهفة:

- أخبرني.. بماذا جاؤوا؟

- إنهم يعلنون عودة الأمير رُهان إلى المملكة.. وأن القلعة
البيضاء ستحتفل بذلك غداً، وتفتح أبوابها حتى منتصف الليل
وأن الجميع مدعو للهباء لحضور وليمةٍ أعدت على شرف الأمير.



- رائع.. طال غياب الأمير هذه المرة، لقد مضى عامٌ منذ آخر مرة جاء فيها إلى المملكة.. يُقال أنه يسافر ليتعلم كل شيء استعداداً لتوليهِ الحكم.

- حقاً! دعني أخبرك أن راما تقول إن الملك والأمير ليسا على وفاقٍ بسبب سفر الأمير معظم الوقت.. وأن آخر مرة عاد فيها الأمير تناقل الخدم الأقاويل بأن مشادة عنيفة وقعت بين الاثنين بسبب ذلك.. وقالوا كذلك إن الملك قد هددته بالطرد والحرمان من العرش، لولا تدخل الوزير سلوان بينهما لتهدئة الوضع.

- فلسبر! إنك تذكر تلك الفتاة مرة أخرى؟! أجننت؟ لقد أخبرتني بأنك قد قطعت علاقتك بها! تحدث بصوت خفيض فزع يملؤه الغيظ.

- أقسم لك بأني قد فعلت.. ولكنها عادت تبكي بحرقة وهددتني بأن تقتل نفسها إن قطعتُ علاقتي بها.. ماذا أفعل يا رجل؟ إنني أضعف أمام شعرها الأحمر الثائر.. إنها تأسرني.

- ويحك.. هل تعلم ماذا يفعلون بالخونة؟ إنها من نساء الملك!

- لا ليست من نساته.. إنها تعمل خارج القصر في الحدائق وأحياناً قليلة في المطبخ.. ولا يُسمح لها بالدخول إلى القصر إلا لماماً.

- اسكت.. اسكت.. لا يسمعك أحد العيون فيلُقي...

لم يكمل ماند جملة وفتح عينيه على وسعهما، وحمق خلف كتف صاحبه.. التفت فلسبر إلى حيث ينظر صاحبه وبدأ عليه الرعب إذ رأى أمامه جنديان ضخمان يمتطيان أحصنتهما ويلبسان

ثياباً ملكية.

- أين فلسبر بن فرتال بن سمال؟

سأل أحدهما في صوت أجش.. تسمّر الاثنان مكانهما ولم ينبسا
بينت شفة.

- ألم تسمعا؟ أيكما هو؟

- أنا هو..

ازدرد فلسبر ريقه، وأجاب الجندي في صعوبة.

- لدي أمر بإحضارك إلى القصر.. هيا تحرك.

- لماذا؟

بالكاد استطاع فلسبر النطق بالكلمة، وكأنه يحدث نفسه.

- لا علم لدينا يا أخي..

كان هذا الجندي الثاني، الذي بدا أكثر لطفاً من الأول.

- والحيلة؟

- اطلب من أحدهم الاهتمام بها لحين عودتك.. أظن أن
صاحبك هذا لن يمانع؟

- أنا! أظن أنه.. لا مانع لدي.. سوف انتظر عودتك يا فلسبر.



- عودتي؟

تساءل بصوت هامس مشككاً.. التقت عيناهما للحظة خاطفة، ثم أطرق كلا منهما برأسه، وتحرك فلسبر مع الجنديين وغابوا عن نظر ماند الذي فكر في خوف «هل علموا بأمره»؟

سار الثلاثة حتى لاحت القلعة البيضاء في الأفق.. مغطاة بالثلوج شامخة وساكنة، تراقص النيران البنفسجية في أخاديدها التي تعلو سطحها، وتحيط بها من كل جانب لتدفئتها حتى في وضخ النهار فتبدو وكأنها تلبس تاجاً بنفسجياً.. يحيط بها اللون الأبيض للثلج من كل جانب.. كانوا قد قطعوا مسافة طويلة، وقلب فلسبر المضطرم ينبض بقوة حتى ظن أن الجنود يسمعانه.. عبروا البوابات الضخمة للقصر المحلاة بالذهب التي كُتبت عليها: «لا تنعم القلعة البيضاء بالدفء وبينكم محروم منه».

اجتازوا مساحات بيضاء شاسعة حتى وصلوا أخيراً إلى مبنى حجري تنبعث منه رائحة الدفء.. دخلوا حجرة دائرية تبعثر فيها عدة طاوولات، يجلس خلفها ضباطاً وجنوداً في اللباس الملكي وتحيط بها النيران البنفسجية في أخاديد سُقَّت في حوائطها المستديرة.. تلك النيران التي يتوارث أهل سينامجنين سرها على مر الأجيال التي تضيء وتدفي عشرات المرات قدر النيران العادية.

- أهلاً قطور.. من معك؟

- فلسبر.. بائع الحيوانات الغريبة يا سيدي.

- مرحباً يا أخي..



ابتسم القائد حتى يبعث في نفس فلسبر الطمأنينة الذي ظهر عليه
الخوف والتوجس.. كان القائد في أواخر الثلاثينيات من عمره
وبداً ذا رتبة عالية لما ظهر عليه من الوقار وتجميل الجندي له ثم
أكل:

- سمعنا أن لديك مجموعة من الحيوانات الغريبة التي تذهل كل
من يراها.. يبدو أنك بارعٌ في اصطيادها والاعتناء بها.

- نعم يا سيدي.. إنني أجوب البلاد سعيًا وراءها وقد يستغرق
الأمر شهرًا للإمساك بإحداها، ولكنني أجد متعة كبيرة في
اقتنائها والعناية بها..

ظهر الارتياح على وجهه.

- رائع.. نريد منك أن تكون موجودًا في الحفل مع حيواناتك
الغريبة من أجل إمتاع الحضور.. سيكون الملك والأمير حاضرين
وأظن أن فقرة الحيوانات الغريبة ستنال إعجابهما.

- شرف كبير لي يا سيدي.. على الرغم من أنني أظن ألا شيء
منها قد يثير دهشة الأمير الذي جاب العالم..

لاحت في نبرته سخرية حاول إخفاءها فإنها ظهرت رغمًا عنه..
نظر إليه القائد نظرةً فاحصةً قطعها بقوله في نبرة رتيبة:

- إذا سنتظرك في الحفل يا...

- فلسبر يا سيدي.

- نعم يا فلسبر..



أوما الشاب برأسه وأدرك أن هذا إيذاناً بانتهاء الحديث، نخرج محيياً القائد الذي التفت إلى أحد الجنود فور خروج فليسبر من الغرفة وسأله:

- لماذا لم يعهد إلى إدارة الخدم داخل القصر بتنظيم الحفل؟!
إنني أتعجب لماذا يُعهد إلى الحرس الملكي بمثل هذا الأمر؟

- إنه ليس كأى حفل يا سيدي.. إنه على قدر كبير من الأهمية كما تقول زوجتي.. ففي المطبخ حيث تعمل.. هناك عناية فائقة باختيار قوائم الطعام في هذا الحفل أكثر من أى حفل آخر شهدت المملكة.. وأنها سمعت أن كثيراً من الملوك والملكات قد دُعوا على غير العادة.. لا يخفى عليك أن ضيوف الأمير رُهان الذين جاءوا معه يملأون القصر ويبدو أنهم على قدر كبير من الأهمية والمكانة.

- ضيوف الأمير رُهان.. إنني أتساءل..

لم يزد الضابط ثم ردد في صوت خفيض ضيوف الأمير رُهان..
استطرد الجندي، وهو يبدو عليه الزهو لعله بخبايا القصر:

- وإنها تقسم أنه منذ الحادثة لم يبرح ضيوف الأمير رُهان غرفهم وأن الأمير قد تغير بعدها تغيراً لا يصدق.. وتقول إنه أصبح أكثر... سكت وكأنه يحاول أن يجد الكلمة المناسبة لوصف الأمير غير تلك التي استخدمتها الزوجة الثرثارة التي بدت غير مناسبة هنا أمام قائده.

ثم أردف في تردد:

- صمتاً.. أصبح أكثر صمتاً.

- لا عجب..

لقد كان حادثاً مزعجاً لا ريب.. إلا أنه فهم تليح الجندي ولكنه لم يشأ أن يستزيده فأردف:

- أريد منك أن تتأكد من مخزون القلعة من الأخشاب.. لدينا كثير من العمل لتنجزه.. هيا اذهب الآن إلى المخزن ووافيني بالأخبار.. وعندما انصرف الجندي وغاب عن ناظره أخذ القائد يعيد التفكير فيما قصه عليه.. إذا أصبح الأمير أكثر نكداً وبؤساً منذ الحادث فلا بد أن ما يُشاع صحيح.

* * *

ازدانت الساحة الخارجية للقصر بالمصابيح الملونة باللونين الأرجواني والذهبي وانتشرت المشاعل التي تحمل النيران البنفسجية التي بعثت الدفء في الحضور رغم الثلج الذي يحيط بهم من كل اتجاه.. وامتألت السماء المظلمة بالطير بألوانها المختلفة التي يعكس ريشها البراق أضواء النيران فتلمع في السماء كالمصابيح الطائرة منها الحمراء والخضراء والزرقاء والصفراء.. وتحمل سلال الخبز والورود وهم يصدحون بأعذب الألحان البديعة بين أهالي سينامجنين -الذين دُعوا سابقًا للمشاركة في الاحتفال- وينقشون في السماء المظلمة لوحات بديعة بأجسادهم البراقة.. رُصت الموائد في الساحة الخارجية وامتألت بالطعام والشراب الذي يُعاد ملؤه بمجرد نفاذه، فكل من جاء يستطيع أن يأكل ما شاء وأن يحمل ما شاء من طعام أو شراب إلى بيته في هذه الليلة السعيدة.. بقي الناس يأكلون ويشربون ويثرثرون ويضحكون ويغنون لمجد سينامجنين ويستبشرون بولي العهد الذي كثرت الأقاويل عن قرب توليه مقاليد الحكم كما يُشاع في البلاد..

وقف في الشرفة المطلة على الساحة شابٌ يُقارب الثلاثين يراقبهم ويمتلى قلبه سعادة لفرحهم واستبشارهم واستمتاعهم.. قطع عليه تأمله صوتٌ صاخبٌ من وراء ظهره يعرفه جيدًا

- تبدو القلعة رائعة اليوم يا رُهان..

التفت رُهان ذو الشعر الأسود المشعث الذي تنتشر فيه خصلات بيضاء تضيء عليه وقارًا إلى صاحبه الضخم البنية ذي الصوت الصاخب.. كانت عيناه السوداوان حادتي الذكاء يظللها

حاجبان أسودان عريضان.

- نعم.. ما أجملها وأجمل ما فيها أن فتحت أبوابها اليوم لأهالي سيناجنين البسطاء! ما أحلى العودة إلى الديار يا حُران!

- كما طلبت من الملك تماماً..

كان حُران رجلاً ضخماً ذا شعر بني يصل إلى أذنيه وله لحية كثيفة ووجه جميل فيه غلظة جعلته يبدو أكبر بكثير من رُهان على الرغم من أنه يكبره بعامين أو ثلاثة على الأكثر.. وقفوا جنباً إلى جنب وعاود الاثنان النظر إلى الساحة مرة أخرى، ولكن حُران ظل يرقب صاحبه بطرف عينيه لما يعلم من وجد في قلب صاحبه ينازعه رغم علامات السعادة البادية على وجهه.. قطع رُهان الصمت بينهما والتفت إلى صاحبه:

- حُران.. أنت أقرب الناس إليّ منذ أن كنا طفلين صغيرين.. لا أثق بأحد كما أثق بك.. ماذا ترى يا صديقي؟ ماذا تفعل لو كنت مكاني؟

- لو كنت مكانك ما كنت لأفعل ما ستفعله يا صديقي.. لو كنت مكانك لآثرت نفسي.. ولكنك لن تفعل ذلك يا رُهان فأنا أعرفك.. الأمر إليك يا صاحبي.. افعل ما تراه صواباً.

- إنني أحترق من الداخل يا حُران.. كل خيار أمامي أصعب من الآخر.. نظر إلى صاحبه بعينين مستغيثتين فربت حُران على كتفه:

- دعك من التفكير الآن.. استمتع بالحفل، قد يساعدك هذا على جعل ذهنك أكثر صفاءً ويجعلك قادراً على اتخاذ قرارك بالشكل



الصحيح.. هيا بنا لا بد أن الملك آريوس منزج من عدم وجودك
في البهو مع الضيوف..

أوماً له رُهان وغادر الاثنان معاً إلى بهو القصر الرئيسي الذي
كان محاطاً بالنيران البنفسجية التي تسير في الأخاديد في كل
جوانب البهو التي تشتهر بها المملكة ويبقى أمرها سرّاً بين المختصين
من أهلها.. فتملؤه سحراً ودفناً وعطراً يفوح منها.

امتلاً البهو بالملوك والأمراء والأميرات الذين استقبلوا الأيام
الماضية لحضور الحفل بعد أن شُيّد على ضرورة حضورهم
لأهميته.. ولما كان لسيناجنين من مكانة بين الممالك لم يتخلف
أحد عن الحضور، وقد الأخبار قد سرت أن الملك سيعلن في
هذا الحفل أمراً قد طال انتظاره..

كان صوت رفرقة أجنحة الطير يتردد في البهو وكانت أجسادها
ذات الريش الملون والبراق بديعة المنظر تبعث السرور في النفس..
وتردد صوتها الشادي الذي يصدح بألحان لم تُسمع من قبل في
البهو وأخذت الورود تنثر في كل مكان فأصبح البهو كأنه حديقة
غناء..

جلس رُهان على العرش المرتفع عن باقي البهو إلى يمين أبيه
ووقف بجانبه حُران مستشاره الخاص وأخلص أصدقائه، جاء
أحد الخدم وأسر بشيء إلى حُران فبدا عليه الضيق ثم مال على
رُهان.. بدت ملامح رُهان جامدة وهو يستمع إلى صاحبه ثم هز
رأسه وانتفض واقفاً واستأذن أباه الذي عاجله يقول:

- رُهان.. سوف أعلن الأمر الآن.

- أخره قليلاً يا مولاي.. أو أعلنه دون وجودي إن تأخرت..



هناك أمر ضروري يجب أن أهتم به.. بدا وكأنه مشغول البال ويود المغادرة سريعاً وأججم عن قول المزيد.. فحسه الملك بنظرة ثابتة وتحدث أخيراً قائلاً:

- إذا لا تتأخر.. سوف أؤجله حتى تعود.

انطلق رُهان يهرول في أروقة القصر الحجرية التي تجري النيران البنفسجية المتراقصة في أخاديدها في كل شبر فيها حتى وصل إلى باب غرفة.. وضع يده على المقبض وأخذ نفساً عميقاً وطرق الباب ثم دخل.. كانت الغرفة دافئة جداً عن باقي القصر حتى إن رُهان الذي اعتاد البرودة ويفضلها أحس أن الغرفة خانقة.. جاءه رجل صغير الجسم ذو لحية ناعمة طويلة تصل إلى صدره.. سأله رُهان في قلق وبصوت خفيض:

- كيف حالها اليوم؟ اكتفى الرجل بهز رأسه ومط شفثيه.. تخطاه رُهان دون أن ينتظر مزيداً من التوضيح فقد خفق قلبه بقوة.. كان في وسط الغرفة سرير ذو أعمدة ذهبية تنتهي بالسنة نار مرصعة بالأحجار الأرجوانية ويتدلى فيما بينها ستائر بيضاء مذهبة بخطوط رفيعة.. أزاح الستائر بخفة.. كانت ترقد فتاة نصف نائمة في مقبل العشرينات من عمرها يكاد يقسم من يراها أنها ميتة من شحوب وجهها.. وعلى الرغم من هذا كانت تبدو جميلة بشعرها الأسود المتناثر حولها وعينيها الواسعتين العسليتين التي كحلتها أهداب طويلة تحت حاجبين أسودين جميلين.. جلس رُهان على طرف السرير قبالتها وأمسك بيدها ورفعها إلى فمه وسألها:

- كيف حالك اليوم يا حلوتي؟



- لست بخير يا رُهان.. بدت غاضبة وكأنها على وشك البكاء
ونظرت بطرف عينا إلى الرجل الصغير الجسم الذي انسحب
من الغرفة حتى يتركهما يتحدثان بحرية.. كان الغضب قد ساعد
على تورد وجنتيها فبدت أقل شحوباً وأكثر سحراً.. ابتسم في تفهم
وسألها في حنان:

- لماذا يا موان؟

- لأنه يمنعني من حضور الحفل.. أشارت إلى حيث كان يقف
الرجل منذ قليل.

- لا داعي للغضب.. إنه يؤدي واجبه ويحافظ عليك وعلى
سلامتك.. فسقوطك... قاطعته بحدة:

- كم مرة يجب أن أردد أنني بخير.. أقسم لك يا رُهان..
لقد كان حادثاً عرضياً.. رق صوتها وأمسكت يده بين كفيها
الباردين كالثلج.

- حبيبي.. لقد سقطت من فوق جوادك وظللت غائبة عن
الوعي يومين كاملين.. الله وحده يعلم كيف مرّ علي.. إننا نريد
أن نطمئن عليك قبل أي مجهود.

- رُهان.. كل ما في الأمر أنني لم أعتد هذا الجو القارس
البرودة.

- وهذا الجو لا يتبدل في مملكتنا معظم أيام السنة للأسف..

- سوف أعتاده يا رُهان.. لم كل هذا القلق؟



- أتمنى ذلك من كل قلبي يا حبيبتى.. ولكن حتى نتأكد من سلامتك..

- أرجوك يا رُهان دعني أنزل إلى الحفل.. ثق بي.. نظر إلى شحوب وجهها وصدرها الذي يعلو ويهبط ببطء.. كان يعلم أن المعالج قلق بشأن سلامتها.. ولكنه شعر بالضعف أمام إلحاحها فجادلها في وهن قائلاً:

- المعالج يخشى..

- تبا له.. ولما يظنه

- إنني أخشى أن يحدث ما...

- لن يحدث شيء.. أنا بخير.. أرجوك!

- ولكنك تبدين ضعيفة..

- هي بخير يا رُهان.. لا تستمع له.. إن ابنتي بصحة جيدة..

رفع عينيه ليصر أنير التي بدت كأنها ظهرت فجأة على الرغم من وجودها في الغرفة منذ دخوله، لكنه لم يلحظها لانشغاله ولهفته على موان.. كانت أنير دائماً ما تُشعره بالحيرة الشديدة.. تبدو كأنها لا تهتم بصحة موان البتة أو أنها صاحبة قلب بارد لا يقلق.. عادت موان تقول في أسي:

- رُهان.. ماذا يقول الناس؟ أنك ستتزوج امرأة عيلة؟

- فليذهبوا إلى الجحيم.. لا يعني ما يقولونه.



- رُهان.. أرجوك..

وضعت يدها الباردة على يده الدافئة وقد بدت أقرب إلى طفلة صغيرة تستجديه لطالما شعر بأنها طفلة علي الرغم من أنه لا يكبرها سوي بست أو سبع سنوات علي الأكثر.. كانت يداها كأنها الثلج نفسه.

لاحت في العينين العسليتين نظرة استجداء لا سبيل له من ردها تنهد قائلاً:

- حسناً، ولكن عديني ألا تمكثي أكثر من ساعة واحدة.

- هيببييه.. أحبك يا رُهان.. هيا هيا اخرج كي أستعد سريعاً.. أخذت ترحزحه وقد بدت أنها استعادت عافيتها في لحظة واحدة.

عندما خرج من الغرفة وجد المعالج يقف أمامها منتظراً.. صعد رُهان بناظريه إلى صفحة وجهه القلق المتسائل، وأجاب سؤاله الذي يبدو جلياً على وجهه وهو يرفع حاجبيه في نجل:

- حسناً لم أستطع إثناها.. هز المعالج رأسه في أسف وتمتم بكلمات حانقة لم يسمع منها رُهان سوى «لقد حذرتك».. وقد عذبه هذه الكلمة طويلاً فيما بعد.



«هيا دثروها جيداً وأحضروا مزيداً من الأغطية»

«غذوا النيران جيداً واستجلبوا مزيداً من الخدم ليزكوا النيران
طوال الوقت»

«أعطوها دواءً منعشاً للقلب»

شاهدتهم رُهان وهم يجيئون ويذهبون في ذعر محاولين إنقاذ موان بعد أن فقدت وعيها في أثناء استعدادها للنزول إلى الحفل.. ما كان حلماً منذ دقائق أصبح كابوساً في لحظات.. حملها بين يديه ليضعها على السرير وقد شجبت شحوب الموتى.. أزاحه المعالج من طريقه ليتأكد من تنفسها وطلب منه أن يتنحى جانباً.. وقف على بعد خطوات منهم وكأنه يشاهدهم من عالم آخر.. أحس أن روحه قد غادرت جسده وتراقبهم.. إنه خطؤه.. ما كان يجب أن يسمح بنزولها إلى الحفل، ما كان له أن يضعف أمام توسلاتها.. ربااه إن حدث لها شيء.. لا لا.. أرجوك يا موان اصمدي.. لقد تعلمت الدرس جيداً لن أضعف مرة أخرى.. لن أضعف.. أعدك، فقط اصمدي من أجلي..

طلب المعالج من الجميع الخروج من الغرفة عدا مساعديه والخدم الذين يعملون على تزكية النيران.

كان يقف خارج الغرفة مدهوشاً عندما أحس بيد تربت على كتفه:

- ماذا حدث يا رُهان؟

- حُران.. إنه خطئي.. لقد حذرني المعالج ولكنني لم أستمع
وضعت أمام طلبها للنزول.. ما كان يجب أن أفعل.. لقد فقدت
وعياها و... يا ربي ماذا لو فقدتها؟

بدا عليه الجزع لهذا الخاطر ونظر إلى صاحبه وهو يعتصره الألم
والندم.

- اهدأ يا رُهان.. اهدأ ستكون بخير بإذن الله..

وضع يده على كتفيه كأنه يبته الطمأنينة.. لم ير صاحبه على
هذه الحالة قبل اليوم.. وبينما حُران يحاول تهدئته خرج عليهما
المعالج:

- يمكنك الاطمئنان الآن يا سمو الأمير.. عادت الدموية إلى
وجهها وأصبحت أطرافها أكثر دفئا من ذي قبل.. لقد تركت
معها في الغرفة مساعدي وبعض الخدم ليتأكدوا من دفء الغرفة
جيدا وإبقائها دافئة.. ستستعيد وعيا بعد قليل.. يمكنك الدخول
الآن ولكني أوصيك أن تتركها تفيق لوحدها وألا تتحدث كثيرا
هذه الليلة حتى لا تُجهد..

نظر إليه المعالج نظرة ذات مغزى وكأنه يتأكد من أنه سيتبع
تعليماته هذه المرة.. أوما الأمير في حرارة وكأنه يؤكد له ضمنا أنه
لن يكرر فعلته.

غادر حُران والمعالج ودلف الأمير إلى الغرفة.. اقترب من السرير
وأطال النظر إلى الجسد الهزيل الراقد والوجه الشاحب.. جثا على
ركبتيه وأسند وجهه إلى جانب الوجه الشاحب الجميل وأمسك

بيديها:

- اخرجوا جميعاً الآن.. انتظروا بالخارج..

كان صوته متهدجاً.. خرج الجميع.. ترك دموعه تسيل حارة على وجهه البارد:

- لا ترحلي الآن يا ملكتي.. لا تركيني وحدي من جديد.. بالكاد وجدتك.. لا تميّتي بعد أن أحييتيني... دفن رأسه في حاشية السرير وأجهش بالبكاء.. وكأنه يبكي مآسيه كلها.. موت أمه.. انشغال أبيه عنه.. موت رجاله في الحروب.. كأن الأحران على موعد قد اجتمعت لتزيده غما على غمه.

ظل رُهان في الغرفة يقظاً يراقب موان في سباتها ويلهبه الفكر ويقطع نياط قلبه.. ماذا يفعل؟ كيف يتصرف؟ لقد أصبح بقاء موان في سينامجنين مستحيلاً.. لقد أكد له المعالج أن بقائها في هذا الجو القارس عبءٌ كبير على قلبها قد لا يتحمّله حتى وإن بقيت في غرفتها متدثرة بكل غطاء في المملكة كما رددت له في الأيام القليلة الماضية.. على الرغم من أنه لم يره حللاً بأي حال من الأحوال.. (موان) بعد شابة صغيرة وهي لا ترى في هذه الدنيا ما يستحق التضحية غير رُهان.. وقد تذهب للهلاك وهي تبسم كالجمل الوديع حباً فيه وهي لا تدري أو حتى تدري عواقب ما تفعله.. كيف يسمح بأن تعرض حياتها للخطر كي تبقى بجانبه؟ ففي الوقت الحالي لا دواء لحالة موان.. وعلى الرغم من أن المعالج يعد به ولكن يا لطول بالهم هؤلاء المعالجين.. فهل يترك كل شيء وراءه ويذهب معها بعيداً عن مملكته ليتزوجا.. وإذا فعل ذلك فمن للشيخ الضعيف الذي يعتمد عليه؟ ذلك الملك الذي تكاد شمسُه أن تغرب؟ فهل يترك آريوس والأعداء يتربصون به

من كل صوب لينهشوا مملكته؟ إنه أمير سينامجنين وولي عهدها الوحيد الذي رُبي منذ صغره ليُصير ملكاً؟ إن آريوس يحتاجه أكثر من أي وقت مضى.. إنه يعدّه لهذه اللحظة منذ نعومة أظافره ليكون سنداً وخلفاً له؟ أيخذه الآن؟ يا إلهي الرحيم..

- رُهان.. رُهان.. انتبه من تدافع أفكاره على الصوت الواهن..

- ما الذي حدث؟ أشعر بالدوار الشديد..

حاولت الاعتدال ولكنها شعرت بالوهن الشديد فبقيت مستلقية

- موان.. حمداً لله على سلامتكم.. كدت تقتليني.. أووه موان..

جثا بجانب سريرها وأمسك بيديها الباردتين يلثمها.. ابتسمت له وعيناها تنطق بالحب.

- آخر ما أتذكره أنني كنت أستعد للحفل.. ما الذي حدث؟

- لقد فقدت وعيك.. ولكن لا تهتمى بأي شيء الآن.. فقط ارتاحي يا حبيبتي..

بدا على وجهها الضيق وسألته:

- أين أمي؟

- لقد أخبرتها بأني سأبقى بجانبك وأن تذهب لترتاح قليلاً بعد أن طمأننا المعالج.



- آسفة يا رُهان.. لقد أفسدت كل شيء..

ترقرقت الدموع في عينيها العسليتين الواسعتين.

- لم يفسد أي شيء يا حبيبتى.. كل شيء على ما يرام..
اطمئني.. يجب أن أذهب الآن حتى أطمئن آريوس فلقد كان
شديد القلق وطلب أن أوافيه بالأخبار.. لا تُجهدى نفسك ولا
تفكري في أي شيء..

- ماذا يظن بي الآن؟ لا بد أنه يفكر بأني لا أصلح زوجة لك..

وضعت وجهها بين كفيها.. أمسك بكفيها يجذبهما بعيداً عن
وجهها

- من أين جئت بهذا الكلام يا موان؟! هذا غير صحيح.. فقط
ارتاحي ولا تشغلي نفسك بأي شيء.. لقد أكد عليّ المعالج ألا
ترهقي نفسك..

طبع قبلة على جبينها وأخذ يطمئنها ويهددها حتى نامت ثم
غادر الغرفة بعد أن دثرها جيداً وأعطى أوامره للخدم بتزكية
النيران وإحضار طعام ساخن لها.

ظل يمشي في أروقة القصر على غير هدى منه تتزاحم بداخله
المشاعر والأفكار وتعصف به عصفاء.. أصبح متيقناً الآن أن جو
سينامجنين لا يناسب صحة موان وأن بقاءها يمثل خطراً عليها..
ثم إن آريوس في أشد الحاجة إليه وقد تكالب عليه الأعداء
والطامعون.. وهناك أنير تلك المرأة الشمطاء التي على استعداد
لإتمام هذه الزيجة حتى وإن كان الثمن صحة ابنتها أو حتى حياتها..
إنه لا ينسى ذلك اليوم الذي جاءت فيه موان لتقابله كعادتها

ولكنها كانت بغير الوجه الذي تعود عليه.. كانت مضطربة وحزينة وواجمة وتحاول إظهار عكس ذلك وعندما ألح عليها في السؤال أخبرته أن أمها تصر على أن ابنتها يجب ألا تتزوج إلا من رجل شديد الثراء ليؤمّن لها ولابنتها العيش الرغيد، ويبدو أن موان كانت تحاول جس نبضها بخصوص زواجها منه فتجادلتا جدالاً شديداً بهذا الشأن وقد هددتها موان إن هي أصرت على هذا التفكير فإنها لن تتزوج أبداً.. بكت يوماً أنها ليست سلعة تُباع وتُشترى وأخبرته أنها على استعداد للهرب معه إلى بلاده للزواج به.. كانت يوماً لا تعلم شيئاً عن كونه أميراً.. تقابلا في الغابة وهما يصطادان وأفهمها أنه مجرد شاب رحال يجوب البلاد سعياً وراء لقمة العيش.. وأنه ابن رجل كد في تربيته وماتت أمه وهو بعد ابن ثلاثة أعوام.. لم تعلم يوماً أن ذلك الرجل كان الملك آريوس وأن أمه هي الملكة سوارتي.. هدأ من روعها يوماً وأخبرها بأنه سيجد حلاً ما ولكنه أجم عن تعريفها بالحقيقة في ذلك اليوم.. الحق أنه كان لا يعلم كيف يخبرها بأمر كهذا ولكنه عندما أخبرها بعد ذلك اليوم فرحت كالأطفال.. فخيبتها أمير كما تحلم كل الفتيات في الصغر بالزواج من أمير يأتي على حصان أبيض ويخطف قلبها، ولكنها ظلت لفترة طويلة تشكك في الأمر حتى جاء اليوم الذي حضر فيه إلى بيتها في الموكب الملكي المهيب المليء بالعربات المترفة التي تجرها الأحصنة المطهمة ومعه حاكم دون ليطلب يدها من أمها.. كانت فرحة أنير عارمة فخبها للمال والسلطة وحلها بالعيش الرغيد قد تحقق على طبق من ذهب.. ظل يمشي كالمحموم في الأروقة الخالية تراقص النيران البنفسجية أمام ناظريه ويشعر وكأن لها قد انتقل إلى قلبه عندما كاد يصطدم بشخص.. أفاق من شروده ليجد حُران أمامه:

- رُهان.. أين أنت؟ الملك يريدك.



- هل وصل إليه أن موان قد استعادت وعلها؟

- نعم.. بمجرد أن علم طلب استدعائك ولكنك كنت غادرت غرفتها بالفعل فبت أبحث عنك.

ابتسم حُران له مشجعاً كان يعلم جيداً ما يجول في خاطره.. وكيف لا وقد ترافقا أكثر من عشرين عاماً منذ جيء به وهو ابن خمس أو ست أعوام ليرافق الأمير في اللعب ويسليه عن فقد أمه.. من يومها لم يفترقا.

سارا معاً دون أن يتكلها حتى وصلا إلى غرفة الحكم حيث ينتظره آريوس.. وضع حُران يده على كتف صاحبه وقال له ناصحاً:

- لا تنس أن كل همّ الملك هو مصلحتك وأن يراك سعيداً.

فكر رُهان في نفسه.. ما أوسع البون بين الاثنين في كثير من الأحوال.. فليس كل ما يسعدنا يصلحنا ولكنه احتفظ بذلك لنفسه وطرق الباب وانتظر حتى يؤذن له بالدخول..

كانت الغرفة مربعة، يقع في نهايتها عرش الملك الذي يرتفع عن باقي الغرفة وتتراص المقاعد عن يمينه وشماله مبثوث عليها فراء أسود ناعم وهي مجالسُ الوزراء ومعاونيهم والحكام.. وفي وسط القاعة عدد من الصفوف لمقاعد منجدة مريحة يجلس عليها الخبراء الذين يُستدعون حسب الحاجة إليهم ليدلوا بأرائهم فيما يُسن من قوانين ويُستشارون في القرارات التي تخص مجالاتهم.. فلا ينفرد شخص في سينا مجنين باتخاذ القرارات فلطالما آمن ملوك سينا مجنين بحكم النخبة الصالحة.



- مولاي.. جئت للشول بين يديك تلبية لطلبك.

- نعم يا بني.. أولاً حمداً لله على سلامة موان.. لقد أخبرني المعالج أن حالتها قد استقرت الآن، ولكنه لم يخفني خبراً أن الحالة حرجة وأن مكوث موان في سينامجنين قد تأكد خطورته على حياتها وسلامتها.. قد لا يكون الوقت مناسباً ولكني أحب أن تخبرني بما عقدت عليه العزم؟

- لقد فكرت كثيراً يا مولاي.. منذ سقوط موان الأول عن جوادها ولم أتوقف عن التفكير ولكن كان عندي قليل من الأمل بالتحسن.. أما الآن وقد بات الوضع واضحاً وخطراً.. فإنني لا أجد بداً من تأجيل الزفاف في ظل هذه الظروف.. نظر إليه آريوس نظرة ثابتة وكأنه يحاول أن يلج إلى أعماق الأمير الرصين حتى يعرف مكنون صدره.. تنهد أخيراً، وقال:

اسمعي يا رُهان.. أود لفت نظرك إلى أمور ربما تكون قد غفلت عنها.. إنني أعرف أن الحب قد يجعل أحكم الرجال يخطئون التقدير.. مع استقرار حقيقة أنه يصعب على موان البقاء في هذا الجو القارس وحاجتها إلى جو أدفأ مما يجعل أقرب مكان مناسب لعيشها يبعد مسيرة عشرة أيام عن المملكة يقطعها الفرس الجامح.. ولكن تقاليد مملكتنا وأعرافنا يقضي بضرورة مكوث الملكة في القلعة البيضاء ما لا يقل عن سنة في بداية الزواج.. ناهيك بضرورة مكوثها فترة الحمل كاملة أيضاً ووضع الطفل هنا حتى يعترف بحقه في العرش خاصة أن موان أجنبية عن مملكتنا.. وبقطع النظر عن كل ما سبق فأنت تعلم حقيقة أن الأعداء يتربصون بالمملكة وينتظرون أن تغفل لوهلة حتى ينقضوا علينا.. فكيف لك أن توفق بين عروسك وحياتك وبين ضرورة مكوثك في سينامجنين؟ لقد أردت أن تنتهي من أمر زواجك في أسرع

وقت حتى نتفرغ لشؤون الحكم فلا أظن أن والدك الشيخ قد تبقى له الكثير.. وعلى الرغم من أنني تمنيت أن يحظى ولدي بأميرة من الأميرات فإنني لم أتدخل في اختيارك، ولا يعني هذا أن موان يعيبها شيء، ولكنها أمنية أب لابنه، إنني أعلم يا رهان أن سلطان القلب عظيم، وأنا لا أريد أن أقسو عليك يا ولدي، ولكننا -الملوك- ينبغي لنا أن نحكم عقولنا لا قلوبنا أكثر من أي أحد.. إن أمر الدواء غير مضمون وقد يطول انتظارك كثيراً وقد تنزعج موان نفسها من هذا الانتظار إلى أجل غير مسمى وقد لا يوجد أبداً.. لذلك يا رهان إنني أرجو منك أن تفكر ثانية في الأمر كله.. ما زال يمكنك اختيار زوجة لك ومملكة مناسبة أكثر.. لا تسئ فهمي يا ولدي ولكن هل يستحق الأمر كل هذا العناء؟

انتظر رهان حتى انتهى الملك من حديثه الذي توقعه من قبل ولم يحاول مقاطعته.. وبملاح هادئة ونظرة ثابتة في وجه أبيه وصوت رصين:

- أولاً بارك الله في عمرك يا أبي.. أما إجابة سؤالك فهي نعم إنها تستحق كل هذا العناء.. إن موان ليست اختياراً لي فحسب وليست زيجة يمكنني البحث عن أفضل منها.. إن قلبي لا يتعلق بموان يا ملك سينامجنين، إنها قلبي الذي ينبض بالحياة.. فلا تطلب مني أن أخرج قلبي من صدري وألقي به بعيداً وتظن أنني سأبقى حياً.. عذراً يا أبتى إن موان غير قابلة للتفاوض بأي شكل من الأشكال كما أنت ومملكتنا.. إنني أعلم جيداً حاجة المملكة لي في الوقت الراهن.. ولذلك اتخذت قراري بتأجيل الزواج.. كم يؤلمني هذا حقاً كما سيؤلمها دون أدنى شك ولكنه الحل الوحيد الراهن في انتظار الدواء أو تغير الظروف.. إنني واثق بأننا في حاجة إلى مزيد من الوقت والصبر حتى تنكشف هذه الغمة.

- لكم وددت أن يكون الزفاف في موعده، ولكن كما قلت لا حيلة لنا الآن سوى الانتظار والصبر..

كان رُهان يعلم أنه على الرغم من تضارب الأمانى داخل قلب الملك كما قال منذ قليل إلا أنه صادق في تلك الأخيرة.. فرغم كل شيء كان الملك قد هيا نفسه للرضوخ لاختيار رُهان ولا شك أنه كان يمى نفسه بولي عهد جديد يضمن له استمرار ملكه.

- تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.. إذا لم يكن هناك أمر آخر يا مولاي فائذن لي بالانصراف حتى أطمئن على موان.

- نعم يا ولدي.. يمكنك الانصراف.

عندما خرج من القاعة وجد حُران في انتظاره قلقًا.. عاجلهُ بالسؤال:

- كيف سار الأمر؟

- على خير.. سيؤجل الزفاف في الوقت الراهن.

- جيد.. خفت أن يصمم الملك على إلغاء الزواج.

- لقد حاول ولكنى أوضحت له أنه ليس خيارًا مطروحًا بأي حال من الأحوال.

- يختار الملك آريوس معاركه ببراعة.

- لذلك فهو ملك عظيم.. يعلم أنني لم أكن لأخسر هذه الحرب مهما كلفني الأمر.. نعم مهما كلفني ذلك..



نظر إلى صاحبه نظرة ذات مغزى فأوماً الأخير موافقاً.

* * *



طرق باب غرفتها صباحاً.. دلف إلى الغرفة وخلع معطفه الثقيل فقد كان جو الغرفة خانقاً.. اقترب من السرير الذي قد جمعت ستائره.. كانت موان ترقد تحت كثير من الدثر ذات الفراء الثقيل وكانت تسند رأسها على وسادة وقد استغرقت في النوم وبدا عليها الضعف والشحوب.. أطال النظر إليها دون أن تشعر به.. تلك الفتاة الجميلة التي خطفت قلبه منذ أول يوم رآها فيه منذ عامين يومها لم يفطن إلى ذلك.. ظن أنه مجرد إعجاب عابر بفتاة جميلة مصيره إلى الزوال.. تركها خلفه غير عابئ بإحساسه الجديد وأكمل سفره الذي كان قد بدأه منذ شهر ليجوب العالم.. ولكن ما ظنه إعجاباً عابراً ظل يلاحقه ويلقي بظلال حديثهما معا ويؤرقه ليلاً عندما يغلق عينيه فيرى العينين العسليتين ماثلتين أمامه تضحكان فتعذبانه.. اعتقد أنه مع مرور الأيام سينسى الأمر برمته ولكن ما زادت الأيام إلا ولعاً وشوقاً.. لم يلبث إلا أن عاد إلى بلدها آملاً في لقاءها ثانية وأخذ يتقرب منها ثم أيقن أن تلك الفتاة ذات العينين العسليتين أسرته بكل ما فيها.. جلس على طرف السرير بجانبها.. بحث عن يدها تحت الأغذية الثقيلة حتى وجدها باردة كالثلج.. عبثاً حاول فركها بين يديه لتدفئتها.. أحست بيديه.. فتحت عينها وابتسمت وحاولت الجلوس فساعدها.

- رُهان.. كنت أحلم بك.. رأيتك تجلس بجانبني وأنا نائمة وأمرتهم أن يشعلوا مزيداً من النيران في المدفأة.

- لم يكن حلماً يا حلوتي.. لقد جئتك البارحة بالفعل وكنت نائمة فلم أشأ أن أوقظك.. جلست بجانبك قليلاً ثم غادرت بعد أن تأكدت من أن الغرفة دافئة بما يكفي.. هل تناولت فطورك؟

- نعم.. أيقظوني من الفجر وأخذوا يحشرون في في شتى
الأطعمة ولما اعترضت أخبروني أنها أوامر فليمر.

- يجب أن تأكلي جيداً يا موان.. سيساعدك هذا على التحسن
سريعاً بإذن الله..

أطرق برأسه وكأنه يجد صعوبة في الكلام.

- ما بك يا رهان؟ هل كل شيء على ما يرام؟

سحبت يدها من بين كفيه الآن وأحاطت هي كفيه بين يديها..
خيم الصمت الثقيل فلم يُسمع إلا طقطقة النيران في المدفأة
الكبيرة.

- أنا بخير ما دمت أنت بخير يا حلوتي..

رأى انعكاس النيران البنفسجية في عينيها الصافيتين كالعسل
فاستطرد:

- أريد أن أحدثك في أمر ما..

ظهر القلق جلياً على وجهها وانتظرت:

- موان يجب أن تغادري سينامجنين.. بقاؤك هنا يعرض حياتك
للخطر.. فليمر يري...

- لا مزيد من ترهات فليمر أرجوك.

- ياليتها كانت كذلك.. ولكن آخر مرة استخفينا بكلامه
كدت أفقدك.. موان ليس أمامنا حل سوى تأجيل الزفاف.

أحست أن قلبها الذي بالكاد ينبض قد انفطر.. ظلت واجمة
لبرهة ثم قالت بعينين متوسلتين:

- لماذا لا يتم الزفاف في وقته المحدد؟ ثم أغادر.. يمكنني
التحمل..

لم يقوَ على النظر إلى العينين المتوسلتين اللتين ضُعب أمامها آخر
مرة فدفع الثمن باهظًا.

- لا، لا نستطيع.. لا يمكننا المجازفة.. فأنا أخشى عليك-
وكذلك فليمر- من المكوث هنا مدة أطول.. والتقاليد الملكية هنا
تحتّم على الملكة الإقامة في القلعة البيضاء عامًا كاملًا، خاصة إن
كانت أجنبية، حتى يُعترف بها ملكة.

- لا أريد أن أكون ملكة.. أريد أن أكون معك.. تهدج صوتها
والتمعت عيناها بالدموع.

- إذا لم تصبحي ملكة فلن يرث أولادي منك العرش.

- لا أريد لأولادي العرش الملعون.

- ولكنني أريده لهم.. إنها مملكتهم وهي ليست ملعونة يا موان..
أجدادهم هم ملوكها منذ مئات السنين.. موان.. بالله عليك إن
الأمر جد صعب فلا تجعله أصعب.

- إذا فقدت أمي.. إنك تجد حجبا وأعدارا لكي تهرب

من الزواج.

- كيف تقولين هذا؟! أتهرب؟ أنا لا أريد سواك؟ كل همي أن أحافظ عليك سالمة.

- لا تريد سواي! إذا فلنتزوج، وليذهب الملك والحكم إلى الجحيم.

- يا إلهي! إنها مملكتي! تريدن مني أن أضيع ملكي! كنت أظنك ستفهمين الأمر؟ ماذا حدث لك يا موان؟

خيم الصمت ومرة أخرى لم يُسمع سوى طقطقة النيران.. سألته وهي تنظر إلى النيران بعد أن أشاحت بنظرها عنه حتى لا يرى دموعها:

- متى سأرحل؟

- غدا.. لقد أعددت كل شيء.. موان.. يجب أن تعلمي أنك أغلى عندي..

- لا أريد أن أسمع المزيد.. اتركني وحدي قليلاً أرجوك.

- موان.. اسمعيني

- أشعر بالتعب الشديد وأريد أن أنام قليلاً.

- موان..

- كفى أرجوك.. استلقت على السرير وأدارت له ظهرها ودموعها التي تخفيها عنه تنساب حارة على وجهها.



ظل واجماً.. لا يدري ماذا عليه أن يفعل، ولكنه حزم أمره في النهاية وغادر الغرفة في هدوء.. أراد أن يدعها قليلاً لتهدأ بعد أن صدمها قرار تأجيل الزفاف حتى تستطيع أن تزن الأمور جيداً بميزان العقل.. كان يعلم أنها في فورة غضبها لن تضع الأمور والحقائق في نصابها.. ولكن ما إن خرج حتى أثنه رسل الملك تخبره أن هجوماً قد سُن على الحدود من مملكة ليموراس العدو اللدود والقديم لمملكتهم.. وتأمره بأن يتحرك سريعاً على رأس جيشه لتعزيز دفاعاته عند الحدود.. فلقد اندلعت الحرب أسرع مما توقعوا.. جاءه حُران في أثر الرسل المنصرفين عنه، وقد بدا على وجهه الجد.. وسأله بصوته الصاخب:

- هل جاءتك الأخبار؟

- نعم.. يجب أن نتحرك على الفور.. أرى أن نسبق التعزيزات حتى نرى واقع الأمر.. تقول الرسل أن جيشنا قد مُني بخسارة لا بأس بها.

- نعم.. للأسف لذلك يجب أن نتحرك حالاً..

بدا رُهان شارد الذهن وكأنه يفكر في أمر ما.. سأله صاحبه الذي يترجم صفحة وجهه جيداً:

- ما الأمر؟ ما الذي يقلقك؟

كانا يمسيان الآن جنباً إلى جنب في أروقة القصر وألسنة النيران البنفسجية تتراقص في الأخاديد والمشاعل التي تُترك صباحاً لتدفئة القلعة.



- موان.. لقد تشاجرنا قبل قليل.. جُن جنونها عندما علمت بتأجيل الزواج وضرورة رحيلها غدًا.. لذلك فقد تركتها لتهدأ ولكن ها أنا أرحل دون أن أخبرها أو أودعها.

- إذا اذهب إليها الآن وأخبرها وودعها.

- لا.. لا.. الأمر ليس بهذه السهولة.. إنها غاضبة ولن تستمع إلي.. لقد اتهمتي منذ قليل بأني أتهرب وها أنا أثبت ذلك.. بالله كيف يفكرون بهذا الشكل؟ إن بقاءها في هذا الجو يهدد حياتها.. لا بد أن ترحل إلى موطنها الدائى في (دون) حتى تصبح في أمان.. وليس لدي الوقت الكافي لكل هذه التفسيرات والإيضاحات الآن.. يجب أن نتحرك فوراً.

- أرسل لها رسالة تقرأها.

- لا لن يفلح الأمر.. إما أن تمزقها أو تلقي بها في النيران..

كانا قد وصلا أمام قاعة الحكم حيث ينتظرهما الملك مع قائد جيش التعزيزات للتشاور سريعاً قبل التحرك.. توقفاً قبل أن يدخلوا وتواجهها.. وضع رهان يديه على كتفي صاحبه:

- اسمعني.. يجب أن نتحرك سريعاً.. لا وقت لدينا.. سندحر جيش الليموراسيين عن بكرة أبيه ونجعلهم يندمون أنهم فكروا في هذا الهجوم بإذن الله.. لن يطول الأمر.. أنا أخبرك سنسحقهم سحقاً وما أن أطمئن إلى النصر حتى أعود إلى موان في (دون) لأصلح الأمر كله وأجد حلاً لهذا المأزق..

ضيق عينيه السوداوين الحادثين وظهرت على وجهه ابتسامة ثقة واستخفاف.



- أنا وسيفي في خدمتك وخدمة مملكتنا.. أعدك يا سيدي أن نحسم أمر المعركة سريعاً لأجل خاطرنا.. الجمعي شنوا هجومهم على خلفية انشغالنا بحفل خطبتك الذي يبدو أن جواسيسهم قد نقلوه إليهم.. ما أتعسهم! تأجل الزواج والحفل! وكأنه ينقصنا سبب آخر للفتك بهم! الحمد لله أن سخر لنا الليموراسيين لنفرغ فيهم إحباطنا.. هيا بنا إن الملك في انتظارنا.. كان صوت حران الصاخب يتردد في أرجاء القصر في ثقة وسخرية وغرور شباب يتوق إلى إثبات جدارته والتفوق على أعدائه.. فزاده صخباً على صغبه.

دخلا معاً إلى قاعة الحكم جنباً إلى جنب وكأنهما رجلاً واحداً في جسدين منفصلين وأخذوا في التشاور مع الملك وقائد جيش التعزيزات عن الوضع الراهن، وشرح حران خطته للخروج من الهزيمة إلى النصر التي لاقت القبول عند الملك والقائد وتقرر أن يسبق كلا من رهان وحران الجيش على جواديهما ليدرسا الوضع على أرض الواقع حتى إذا لحق بهما الجيش وضعا الخطة قيد التنفيذ دون تأخير.

استيقظت موان في وقت متأخر من الليل وصدرها منقبض انقباضاً شديداً.. كانت تعلم أن الأمر ليس له علاقة بالجو الذي أصبح شديد البرودة حتى إن أطرافها تكاد تكون متجمدة رغم كل هذه الأغطية التي تعلوها والنيران التي تُزكي باستمرار في المدفأة الكبيرة كما زادت النيران في الأخاديد التي تحيط بالغرفة من كل جانب حتى بدت ألسنتها كأنها وحوش تريد أن تنقض من مكنها.. انتظرت من رهان أن يأتي بعد حديثهما ولكنه لم يأت حتى غلبها النعاس.. من الممكن أن يكون قد جاء وهي نائمة ولكنها عندما سألت الخادمة أجابتها بالنفي.. عادت لتفكر في كلام أمها.. هل يهرب رهان من عبء الزواج بامرأة عليلة؟ هل

يتخلى عنها؟ لا.. لا ليس هذا رهان الذي عرفته وأحبته.. لا بد أن شاغلاً قد شغله.. إذا لماذا لم يرسل لها؟ أم إنه يتجاهلها عقاباً لها على زلات لسانها؟!!

انتزعها من تفكيرها صوت خطوات تقترب وهمهمات الحرس.. لا بد أنه هو.. تصنعت النوم سريعاً.

- موان.. هل أنت نائمة؟ اعتدلت في سريرها.. نخيبة أملها لم يكن رهان، بل كانت أمها.

- أمي.. لم أنت مستيقظة في هذا الوقت؟

- لم أستطع النوم منذ أن أخبرتني بما حدث بينك وبين رهان.. هل جاءك؟

- لا.. لم يأت.. أجابتها متبرمة.. كانت تعلم أن لهفتها لم تكن سوى لهفة على الملك والمال فهي لا تهتم بغير ذلك مما ملأها بالحنق تجاهها.

- لا بد أنك أغضبته بشدة.. إنني أعرفك.. يا لسوء حظي.. لن تتم هذه الزيجة.

- حقاً؟! هل هذا هو كل ما يهرك؟ ألا تهتمين بي؟ ألا تخشين أن تفقديني إن بقيت هنا؟!!

- يا لك من فتاة سخيفة! ولم أفعل كل هذا؟ أليس من أجلك؟

- لا أظن! كل ما يهرك أو أهمك يوماً هو المال والعيش المترف.. ليته لم يكن أميراً.. ليته ظل ذلك الشاب الرحال الذي

لا يعبا بأي شيء... كسا وجهها الأسي.

- كم أنت حمقاء! لقد أضعت ملك المستقبل من بين يديك!

- حقاً! لم يعد يهمني.. اتركيني وشأني.. صرخت في وجهها
وحبست دموعها عن النزول أمامها وصار صدرها يعلو يهبط في
مشقة وعناء أكثر من ذي قبل لشدة انفعالها.

- عندما يأتي الصباح سنعلم إن كان ما زال مهتما بك.. لم
ترد عليها موان.. كانت تعلم أنها محقة.. إذا لم يأت رهان صباحاً
ليودعها قبل رحيلها فإن ذلك نذير شؤم لا محالة.. نامت نوماً
مضطرباً بعد أن غادرت أمها الغرفة.. وعندما استيقظت بعد
ساعات قليلة كانت متعبة.. بدأ الخدم في حزم ما تبقى من
أمتعتها.. حاولت مساعدتهم ولكن قوتها الخائرة لم تسعفها
فجلست تنتظر انتهاءهم وهي تتوقع كل لحظة أن يدخل عليها
رهان.. ولكنه لم يحدث.. لم يأت إلى غرفتها ليودعها ويخبرها
أنه على وعده.. ولم يأت عند الراحلة أيضاً ليطمئنها ويخبرها
أن اللقاء سيكون قريباً.. رأت أمها وهي تركب المركبة التي
تجرها الأحصنة تنظر إليها مؤنبة.. أشاحت موان بنظرها عنها في
غضب وحبست دموعها التي تجمدت في محجريها.. كانت المركبة
عربة خشبية مقوسة السطح طولها قرابة خمسة أذرع تتسع لأن
يتمدد فيها شخصان بالغان وعرضها قرابة ثلاثة أذرع.. وضع عند
بابها سلم صغير لمساعدتهما على الصعود بسهولة وعندما دخلتاها
وجدتاها مريجة قد فرشت بالوسائد المخملية الحمراء والخضراء
والزرقاء وألقيت عليها فرش ذات فراء بني ضمناً لمزيد من الدفء
والراحة.. وأضاءتها المصابيح ذات النيران البنفسجية فملاؤها دفئاً،
وفي جانبي العربة توجد أربعة نوافذ.. اثنتين على كل جانب..
يمكن غلقها تماماً بالأواح خشبية عند هبوب الرياح واشتداد

الصقيع.. كان هناك عدد من الفرسان يحيطون بالمركبة وعربة أصغر منفصلة يجرها حصان وحيد بدت أنها للمؤن اللازمة للسفر.. عندما تحركت المركبة بهما انشغلت موان بمراقبة القلعة البيضاء الشامخة وهي تبتعد.. كانت النيران البنفسجية تسري في الأخاديد وتحيط بها من كل جانب فتبدو وكأنها تزينت بتاج أرجواني.. تركت أخيراً دموعها تنزل حارة تلهب قلبها على الرغم من الريح الباردة التي تزجر في الخارج والثلج الذي يزداد مع كل خطوة يخطونها.. عندما غابت القلعة عن نظرها أخيراً لما انعطفت المركبة أحست أنها وحيدة تائهة أكثر من أي وقت مضى.. تمنى لو أنه أرسل رسولاً بدلاً عنه ليطمئن قلبها المضطرب ولكنه لم يفعل.. لعله لم يرد لها أن تتعلق أكثر.. يا ليتها لم تقابل رُهان يوماً ولم تعرفه.. تمنى لو طوت هذه الصفحة ونسيتها كأنها لم تكن حتى لا تشعر بهذا الألم الذي يعتصر قلبها.. ولكن أتى لها هذا!؟

* * *



- ولكن ليموراس كانت دائماً وأبداً عدواً لنا.. تاريخ طويل من الحروب.. فكيف نأمن مكرهم الآن ونعطي لهم الأمان؟ إنهم قوم معروفون بخيانة العهود والمواثيق.. كيف تضمن لنا ألا يغدروا بنا؟

ارتفعت همهمات الاستحسان والموافقة بين الحضور في قاعة الحكم التي بدت مزدحمة وممتلئة أكثر من المعتاد..

- بأن نجعل لنا اليد العليا في المعاهدة.. إنهم في أمس الحاجة إلى مساعداتنا.. من دونها ستهلك ليموراس هذا الشتاء لا محالة.. سيموتون جوعاً.. لقد صرف ريبيل الملك الفاسد أموال مملكته كلها لتوطيد حكمه وعلى ترفه وملذاته الشخصية هو وابنه وملئه غير عابئ بشعبه الذي سيتركهم يموتون جوعاً.. إنه في مأزق حقيقي.. سنزودهم بالمؤن اللازمة لنجاتهم من مجاعة مهلكة ولكن قطرة قطرة لنأمن غدرهم.

كان المتحدث ضخيم الجثة خشن المظهر في وسامة ذكورية فجأة.. مجعد الشعر ذو صوت صاخب مليء بالقوة والثقة.. عاد الرجل الآخر ليقول:

- ولكن ليموراس رغم فقرها تمتلك من الجيوش والقوة ما يجب أن نضعه في حسابنا.. فإذا لو قرروا أن اللعبة لم تعجبهم وطمعوا في الوليمة وغدروا بنا؟!!

- إن ريبيل فاسد ولكنه ليس بالأحمق.. ستدحرهم جيوش

سينامجنين عن بكرة أبيهم.. إنه يعلموتنا التي تفوقهم في كل شيء.. إن جيشه ما هو إلا نقطة في بحر جيشنا ولكننا نحتاج هذه النقطة لسد ثغرة معينة في حربنا مع البربر.. إن تعاوننا معه ليس عن ضعف.. هو يعلم بأننا سنتصر سواء به أو من غيره.. ولكن سعينا لهذا الميثاق لسببين الأول أنه النصر الأقل تكلفة والأقصر.. الثاني أن ليموراس معرضة لمجاعة مهلكة إن لم نتدخل ونوقفها فقد تهدد أمن مملكتنا تماماً كما تهدد عرش ريبيل.

عادت المهمات تسري في القاعة مرة أخرى وأراد الرجل استئناف حديثه إلا أن إشارة من الملك الذي يجلس فوق العرش على رأس القاعة أسكته.

- أيها الوزراء والحكام والمستشارون.. لقد أوضح الوزير حُران وجهة نظره وقد استمعتم إلى الطرفين خلال اليومين الماضيين.. إننا نثق بحكم قائد جيوشنا للأمور وما له من نظرة حكيمة ثاقبة وأنه يضع في الحسبان المصالح والمفاسد مثل هذا الميثاق بيننا وبين مملكة ليموراس.. وأنه بأي شكل من الأشكال لن يستهين بأمن المملكة وهو الخبير المحنك في مثل هذه الأمور.. والآن بعد أن عرض وجهات النظر المختلفة سنجري تصويتاً للجلس الموقر.

كان الملك قد اختار منذ بداية الجلسات الاستماع إلى الطرفين المتناقضين.. ولكن لما طال الجدل بينهما وظهر تقارب كفتهما أراد أن يحسم الموقف بميله إلى إحدى الكفتين.. أشار الملك إلى حاجب يقف في إحدى أركان القاعة ويمسك ورقاً بين يديه يقرأ منه:

- باسم ملك سينامجنين المعظم (رُهان بن آريوس الخامس سليل ملوك سينامجنين العريقة).. قرار رقم 70 لسنة 345 من توحيد

المملكة ينص على:

«توقيع مملكة سيناجنين العظيمة صلحاً وهدنة مدتها سنة قابلة للتجديد من تاريخ التوقيع مع مملكة ليموراس بما يقتضي المصلحة في الحرب مع البربر على أن توضع بنود المعاهدة بالتشاور فيما بين الملك وقائد جيوشه وحكام المجلس الأعلى في جلسات الحكم بعد تصديق ملك سيناجنين عليها».. فليفضل السادة الأفاضل الموافقون برفع أيديهم..»

ساد الصمت بعد أن انتهى الحاجب من حديثه ثم ارتفعت الأيادي في الهواء التي لفرحة حُران كانت أغلبية ساحقة..»

- تمت الموافقة والتصديق على القرار رقم 70 لعام 345 من تاريخ توحيد المملكة.

ابتسم حُران في نصر ونظر إلى المجلس المنصرف بعد ساعات طوال من السجال يومين متتاليين الذي ظن في أوقات كثيرة أنه صاحب قضية خاسرة إلا أنه لا يخفى عليه أن دعم الملك لقراره وثقته في بصيرته كان لها أبلغ الأثر في حسم الأمر أخيراً.. كان لا يزال غارقاً في أفكاره عندما جاءه صوت الملك بعد أن انصرف المجلس كله ولم يبق غيرهما..»

- تهانينا يا حُران.. لقد أفضت الرجل.. إن لك لساناً كسيفك لا يعرف سوى الفتك.

- بل هو تأييدكم يا مولاي الذي حسم الأمر.

كان الملك قد نزل من على العرش ويتقدم نحوه.. بدا أكبر من سنين عمره الثلاث والثلاثين لعل ذلك بسبب ازدياد الشعر



الأبيض المتخلل في شعره الأسود الفاحم، في حين احتفظ
حاجباه العريضين بسوادهما واحتفظت عيناه الحادتين بيريقيهما
ووجهه بوسامته وملاحته.

- إنني أثق في حكمك للأمر.. فأنت عسكري قدير وسياسي
محنك.. إذا يا حران يجب أن تبدأ المراسلات مع ليموراس على
الفور لترتيب قدومهم هنا لتوقيع المعاهدة في أسرع وقت.. دعنا
نتهي من هذا الأمر سريعاً قبل اشتداد الشتاء لتتفرغ لتلك
الحرب فأقضي بها على تهديد البربر ونستأصل شأفتهم.

- أمرك يا مولاي.. سننتهي من الأمر في أسرع وقت.. إن
ليموراس نتوق إلى توقيع المعاهدة في أسرع وقت قبل حلول الشتاء
القارس.

في المساء بعد يوم عمل طويل وشاق للملك ووزيره.. خرجا
معا للتمشية واستنشاق هواء الليل المنعش.. مشياً معا في صمت..
كان هواء الليل منعشا مشعبا برائحة الورود التي تحيط بهما.. التي
تعلمها أسماءها الكثيرة وهم بعد صغار وكانوا دائماً ما يتعلمون من
درسها الذي أصر الملك يومها على أهميته.. أما الطفلان الصغيران
الذان تلازما وترافقا منذ الصغر فقد فتنوا بدروس الفنون القتالية
وركوب الخيل والصيد.. ظنا منهما أن الملك ووزيره لا يجدر
بهما الاهتمام بالورود والنباتات وأسمائها ومواسمها وخصائصها
العلاجية.. كانا صغيرين لا يجملان هماً سوى اللعب بسيفيهما
الخشبيين ويأمران وينهيان الجيوش الجرارة التي يقودانها في
الحروب التي تخيلا فيها دحرم لجيوش الأعداء والانتصار عليهم..
لم يعرفا يومها أن اللعبة ستغدو حملاً ثقيلاً ذات يوم.. قطع رهان
الصمت وهو يتحسس إحدى الأشجار العظيمة وافرة الثمار:

- ما أجمل هذه الشجرة! ماذا كان اسمها أيها الوزير؟ ووقف أمام الشجرة..

أجابه حُران في نبرة ذات معنى:

- مولاي إن الملك ووزيره لا يجدر بهما الاهتمام بهذه التوفاه.. ضحكا معاً وتذكرا الأيام الخوالي حينما كانا خالي البال.

- ليتنا اهتممنا يوماً بهذه التوفاه وتركنا أمر الحرب لأيام أخرى.. كان الملك آريوس يستشيط غضباً عندما يعلم أننا نفوت دروس النباتات.. (عندما يفرغ الرجال من الحرب.. يأتي وقت العمل الحقيقي ويزرعون الأزهار) هكذا كان يردد لنا دائماً وكنا نضحك من كلامه.. لم نعي يوماً مقصده تماماً.. ليته هنا اليوم.. بعد كل هذه الانتصارات التي تحققت.. لقد مُني بعدة هزائم قبيل موته.. ولم يسامح نفسه ولكن هزيمته الكبرى كانت فيّ أنا ولده الوحيد ووريث عرشه.. تحمل اتهامي له زوراً بأنه السبب وراء تعاستي.. كان يرى في عيني اللوم والحزن.. أشعر بأنني قد قتلت بصمتي وعزليتي.. لم أفق إلا عندما وجدته ميتاً.. كم من مرة حاول أن يخفف عني وصددته.. كم من مرة حاول أن يتحدث معي فضننت بنفسني عليه.. يقتلني الندم يا حُران.. كم نصحتني يوماً ولكنني لم أستمع لك.

- لن يفيد البحث في الماضي كثيراً يا رهان.. لعلك قد أخطأت يوماً ولكنه كان عاماً قاسياً عليك مررت فيه بالكثير.. لم يكن الأمر سهلاً عليك لذلك لا تُكثر من جلدك لذاتك.. فما إن شعرت بأن المملكة تحتاج إليك حتى انتفضت لتؤدي مهامك على أكل وجه، وها نحن بعد خمس سنين من حكمك وقد نعمت سيناجنين برخاء ورفاهية لم تعهدوها من قبلك.. وحصنتها ضد

أعدائها فأصبحت منيعة ومستعصية بعد أن كادت تكون لقمة سائغة للطامعين.. لو كان آريوس حياً لكان نفوراً بك.. فولده وولي عهده تنحني له جباه ملوك الأرض وأصبحت سينامجنين في عهده أعظم وأغنى الممالك.. فليست العبرة بالبدايات ولكن بالخواتيم.

- أرجو أن يكون ذلك كافياً لمخوغي وعقوقي تجاه أبي.

- سيكفي بإذن الله فهذا ما أعدك إليه منذ الصغر.. ولكن يا رُهان أنت تعلم جيداً إن كان الملك آريوس حياً أي شيء بالتحديد سيحمل همه؟ ألم يحن الوقت بعد يا صديقي.. لقد مضى عهد طويل؟ إنك تحتاج إلى زوجة تنعم بدفئها وتخفف عنك، والأهم تلد لك وريثاً للعرش.

- إن كنت تحمل هم تدفئتي فإن راما تفعل.. تتحدث مثل آريوس تماماً.. لعله أوصاك بذلك قبل موته..

بدت السخرية في صوته وتغير مزاجه..

- لكنها لن تكون ملكة يا رُهان.. كفاك سخرية من الأمر.. لقد حان الوقت.

- افعلها أنت ولا تشغل بالك بي.

- قد افعلها قريباً ما يدريك.. وقد لا افعلها أبداً..

- اسمع.. إن لم تتحرك قريباً فغيرك سيفعل.. إن لياما من أجمل نساء الأرض لا تعتقد أنها ستنتظرك حتى تنفك عقدة لسانك.. إن شئت أحدث الملك إسفيلس في الأمر.

- لا لا تفعل.. يجب أن أفتحها أولاً.

- إذا أفعل.. إن لم تتحرك..

- ها أنت ذا تهرب من الأمر بدعوى تزويجي.. أنت لا تفهم! الأمر معقد.. لا بد أن إسفيلس يريد لابنته ملكاً.. ماذا لو رفضني؟

خَلَّ رُهَانُ أَصَابِعَهُ فِي شَعْرِهِ وَتَظَاهَرَ بِالتَّفْكِيرِ ثُمَّ ضَيَّقَ مَا بَيْنَ حَاجِبَيْهِ وَقَالَ:

- إن كان يصر على تزويجها بملك فله ما يريد.. قد نشن حرباً عليه ونخلعه وأعلنك ملكاً وأزوجهك..

ضحكا معاً وكانا قد وصلا إلى القصر فحيا كل منهما الآخر واقترقا كل إلى مهجعه.

انقضت عدة أسابيع تبادل فيها الجانبان المراسلات، استعداداً وترتيباً لقدم وفد ليموراس لتوقيع المعاهدة قبل أن يجتمع الملك بمسؤولي القلعة الأربعة ليعلمهم أن القلعة تستعد لاستقبال وفد على قدر كبير من الأهمية، وأن القلعة يجب أن تكون على أتم استعداد لهذا الحدث.. وأنه على الرغم من أنه لم يُحدد موعد معين بعد لوصول ذلك الوفد فإن المتوقع أن يكون قدومه في موعد أقصاه شهر إن لم يكن في غضون أسبوعين، لذلك فإن الاستعدادات والترتيبات يجب أن تبدأ على الفور لاستقبال الضيوف وإقامة حفلتين أو أكثر خلال مدة إقامتهم التي قد تمتد من شهر إلى عدة أشهر حسب سير المفاوضات.



- سيكون من دواعي سروري الإشراف على الحفلات الخاصة بضيوف الملك والتأكد من إقامتهم على أكمل وجه كما يليق بسيناجنين العظيمة وملكها.. هكذا كانت إجابة نيبال منظم الحفلات في القصر الملكي وهو يرفع حاجبيه بثقة وخبرة عشرين عاماً في خدمة البلاط الملكي.

- أما عن فكن مطمئناً يا جلالة الملك أن ضيوفكم سيستمتعون بالراحة أكثر مما يحصلون عليها في غرفهم الفارهة في قصورهم في أوطانهم.. كان ذلك سورز مسؤول الغرف والنظافة في القلعة البيضاء.

- أما عن قوائم الطعام فتأكد يا مولاي أنها ستناسب جميع الأذواق وترضيهم وسيقسمون أنها أشهى من أي طعام قد أكلوه من قبل.. كان هذا الطاهي هنتار المسؤول عن الموائد والولائم والمطابخ الذي أوماً عدة مرات، وهو يتحدث بسرعة وبابتسامة واسعة تظهر سنته الذهبية اللامعة.

- هنتار.. إن هؤلاء القوم لا يألفون طعامنا لذلك فإن هذا تحدي لك ولبراعتك.. إلا أنني أثق فيك ثقة عمياء.. انحنى الطاهي انحناءة بسيطة نانخاً صدره في زهو فرحاً بثقة الملك.

- مولاي إنه لشرف لي أن أقوم على خدمة ضيوفكم.. بمجرد أن نزود بالمعلومات عن بلاد ضيوفكم حتى نضع قوائم تلائم ذوقهم ولن نغفل تقديم طعامنا السيناجيني تقديماً محبب إليهم

- أما عن كوجب.. فإن ضيوفنا قد جاؤوا من بلاد أكثر دفئاً وأسطع شمساً، لذلك أظن أنه يجب علينا تحمل جو أدفأ -للأسف- مما نحن معتادون عليه داخل القلعة خلال مدة إقامتهم معنا..

يمكنك زيادة عدد المدافئ والأخاديد كما ترى لضمان مزيد من الدفء داخل القلعة..

أشار رُهان بيده إشارة ذات معنى وبدا عليه عدم تحمله لهذه الفكرة ثم أكل:

- أما غرفهم الخاصة فيجب أن تكون أكثر دفئًا مما قد يستطيع أي سيناجيني تحمله أو تخيله، وكذلك الإضاءة لا بد وأن تكون كافية وساطعة..

انحنى كوج مسؤول التدفئة والإضاءة للملك.

- لا يساورك أقل شك في أنهم سينعمون بالدفء كما لو كانوا في قصورهم يا مولاي.

عندما انصرف الرجال تأكد الملك أن القلعة من الآن ستصبح نخلية النحل حتى موعد استقبال وفد ليموراس وخلال إقامتهم في القلعة مهما طالت بفضل كفاءة هؤلاء الرجال.. انطلق بعدها الملك إلى المجلس الشهري الذي يُعقد للاستماع إلى مظالم الناس ضد مسؤولي الدولة.. فعندما تولى رُهان الحكم استحدث هذا المجلس حتى يشعر كل من في المملكة بأنه مراقب ومحاسب.. وكان ينبثق من هذا المجلس عدد من المجالس الفرعية التي تباشر سير الإجراءات وتحاسب المقصر في المملكة وتعمل على وضع الحلول ومتابعتها لتلك المظالم.. وكان هذا المجلس يُعقد يوماً واحداً في أول كل شهر.. وكان الملك في هذا المجلس يستمع لساعات طوال لشكاوى ومظالم رعيته ولا يهتم مدى صغر تلك الأمور بالنسبة إلى مهام الملك.. فقدره البسطاء على التواصل مع ملكهم وبث مظالمهم كانت أكبر رادع لكثير ممن يسيئون استخدام



السلطة داخل مملكته.. وعلى الرغم من أن الكثير نصحوه بألا يشق على نفسه بمباشرة المجلس بنفسه وإسناده لبعض العدول الثقة فإن هذا لم يزدده سوى تصميم وإصرار على ترأس المجلس والاستماع إلى رعيته بنفسه.

كان الملك يجلس بعد يوم طويل من الاستماع للمظالم وقد انتصف الليل، يستمع إلى رجل طاعن في السن وقد انحنى ظهره وكلل الشيب شعره الذي يصل إلى أذنيه، وكان يضع على رأسه عمامة من الخوص يظهر من تحتها شعره الأبيض كالثلج وكان شكله محبباً للنفس وعلى الرغم من رثاثة مظهره فقد كان يبدو نظيفاً.

- إذا فقد أخبرتني أيها الرجل الطيب أن شكواك ضد رئيس أعمال الغابة.. أليس كذلك؟ قص علي ما حدث؟ كانت نبرته ودودة مشفقة لما يبدو على الرجل من الطعون في السن.

- أنا يا مولاي كما ترى شيخ كبير ولي صغار أعولهم.. ولا أعلم حرفة أكسب منها رزقي سوى الخطابة، ولكني كما ترى يا مولاي ما عدت قادراً على مشاقها.. فقدماي لم تعد قوية كما كانت ويدي أصابها الوهن فما عادت قادرة على حمل فأس ناهيك عن قطع الأشجار وحملها إلى كوخني.. لذلك فكرت أن أشتري الحطب من مسؤول الغابة وأبيعه في السوق وانتفع بفرق السعر كما يفعل مع بعض كبار التجار.. لن يكون ربحي وفيراً مثل الخطابة، ولكن هذا ما أستطيع أن أفعله الآن حتى لا يجوع الصغار.. فذهبت إلى مسؤولي الغابة أستسمحهم أن يبيعوا لي الحطب بالآجل فلا مال لي في الوقت الحالي لكي أدفع وتعهدت أن أدفع عندما أبيع الأخشاب، ولكنهم رفضوا وتعنتوا وأخبروني أنه يجب أن يكون معي المال وإلا فلا أخشاب وألزموني بشراء قدر

كبير من الأخشاب لا أطيق تحمل كلفته.. ترقرت الدموع في عيني الشيخ ورفع يده المرتعشة فمسح بها عينيه.

- لا تحزن أيها الرجل الطيب.. ما كان يجب أن تذهب إلى مسؤولي الغابة من الأساس.. وعلى الرغم من ذلك سوف يُحاسبون على تعنتهم معك كان يجب أن يرأفوا لحالك ويوجهون إلى الخزانة.. فإنك مستحق للرعاية ولك راتب شهري من الخزانة ولكل من هم مثلك لكبر سنك.. كم لك من الصبية؟

- ثلاثة عيال.. تركهم لي ولدي الذي توفي منذ سنتين.

- بارك الله لك فيهم.. سوف أبعث معك أحدهم إلى بيتك.. وسيرسل إلى الخزانة لصرف راتبك الشهري الذي يكفيك وعيالك الصغار.

أشار الملك إلى حاجب كان يقف في آخر القاعة.. فجاءه مسرعا وانحنى أمامه:

- أمرك يا مولاي.

- ابعث أحدهم مع هذا الرجل الطيب إلى بيته وخذ هذه.. أخرج الملك من جيبه صرة لها صليل معدن وأعطائها للحاجب قائلاً:

- اشتر لهم طعاماً وطحيناً وخضراً، وأي شيء هم في حاجة إليه إلى أن يُصرف راتبهم من الخزانة.

- أدام الله ملكك يا مولاي ورفع شأنك.. فلطالما حكم أجدادك سينامجنين بالعدل ولكني أقول لك إنك أرحم وأعظم من حكم

هذه المملكة.

انصرف الشيخ وقد انفرجت أساريره عن ابتسامة صافية وبال مرتاح هانئ، وخرج بوجه غير الذي جاء به وأمسك بيده الحاجب يساعده على المشي.

أسند الملك رأسه إلى عرشه متعباً بعد ساعات طوال من العمل.. دائماً ما يشعر بالفزع بعد الانتهاء من يوم المجلس الشهري.. إذا كان هذا ما يستطيع سماعه في يوم واحد من المظالم.. فكم من المظالم لا يسمعها ولا تصل إليه ولا يستطيع ردها.. دائماً ما يحل عليه هذا الشعور فيضيق صدره وكان عزاءه الوحيد أنه يعلم أن هذا المجلس وإن لم يكن يسمع فيه كل مظالم رعيته فإنه واعظ وراذع لمن تسول له نفسه بالظلم والجور..

لقد أراد منذ استحدث هذا المجلس أن يعلم عاملو مملكته في كل منصب أن أي رجل أو امرأة في سينا مجنين قادر على الوصول إليه ورفع مظلمته إلى مليكهم.. تنهد عندما وصل بفكره لهذه النقطة وتسالت الراحة إلى نفسه حتى أخذته سنة من طول اليوم وثقله، ولكنه تملل في جلسته والنوم يحاول أن يغلبه، وقد جاءه هاجس بأنه قد نسي أمراً مهماً.. أمراً مهماً كان ينتظر البت فيه ولكن النوم يحكم سلطانه عليه رويداً رويداً.. انتفض في مجلسه كي ينفذ عنه النوم وعقله ينبض..

(حُران ووفد ليموراس).. فتح عينيه على اتساعهما يقاوم الإغفاء وقد اعتدل في جلسته.. كان حُران يقف أمامه بجسمه الضخم مفتول العضلات وعباءته السوداء المزينة بخيوط ذهبية..

- منذ متى وأنت تقف هنا أيها الوزير؟



ظن أنه قد غلبه النوم ساعات طوال..

- منذ بضع دقائق لا أكثر يا مولاي.. أخبرني الحاجب بأنك قد استمعت لآخر المظالم منذ قليل وأنت أخبرته ألا يدخل عليك أحداً غيري.. مولاي منذ استحدثت هذا المجلس وأنت تثقل على نفسك.. لو تركت الأمر للمجالس الفرعية..

لوح رُهان بيده في الهواء قائلاً:

- حُران.. إنني وددت لو جعلت هذا المجلس طيلة الأيام دون انقطاع، ولكن أمور الحكم وتعقيدات شؤون المملكة تحتم عليّ أن أكتفي بهذا القدر.. إن هذا الأمر يضبط المملكة من قاعها إلى أعلى قمتها.. كيف لا؟ والكل مسؤول ومحاسب.. دعك من هذا الآن.. أخبرني كيف تسير المراسلات مع ليموراس؟

- إننا بصدد الاتفاق على موعد قدوم الوفد إلى سيناجنين.. أنت تعلم أنهم أرادوا توقيع المعاهدة على أراض صديقة لنا ولهم.. ولكنني أوضحت لهم رغبة جلالتك في توقيعها في أراضي سيناجنين، وأنه لا مجال للنقاش في هذا الأمر، وقد رضخوا في النهاية.. فإن الوقت ينفد منهم والمجاعة تطحن فيهم حتى قبل أن يحل الشتاء.. لذلك فإنهم راغبون بإتمام الأمر بأسرع وقت قبل الشتاء، وقد انتهزت هذه الفرصة بالطبع.. إن هذه المعاهدة لهم بمنزلة القشة الأخيرة التي يتعلق بها الغريق.

- عظيم يا حُران.. إذا تم الأمر كما ينبغي.. يمكننا توجيه ضربة قاصمة للبربر قبل الشتاء.. فالحرب في الشتاء مزيلة بحق حتى بالنسبة لنا.. إننا قادرون عليها، ولكننا يجب أن نتجنب الأسوأ إلا أن نضطر إليه.. لست سعيداً بطبيعة الحال بعقد هدنة مع ريبيل

الفاسد وابنه نمار الذي هو أكثر فساداً وشرّاً.. إنه لا يخفى على أحد أن ربيل لم يعد قادراً على الحكم، وأن مقاليد الحكم كلها في يد ابنه الآن.. إنهم أعداؤنا منذ الأزل، ولكن حتى أعتى العداوات يمكن أن توضع جانباً إن كانت هناك مصلحة مشتركة.. وقد جاء الوقت لنبد الشقاق فيما بين المملكتين.

- إن فضائح نمار وفساد أخلاقه وأخلاق بطانته قد تحدثت بها الدنيا، وشاعت في ليموراس كالنار في الهشيم.. إن رجاله موغلون في الفساد مثله.. يدهسون الناس ولا يباليون.. يفتك بشعبهم الجوع والفقر وقد امتلأت كروشهم المتخمة بالثروات المنهوبة.. ونمار هو رأس هذا الفساد.. إنه لا يبالي.. غارق حتى أذنيه في ملذاته ورغباته السادية في قصره المهيب.

- يوماً ما سينال عاقبة أفعاله يا حران.. أوكد لك أني سأعمل جاهداً حتى يرى تلك العاقبة.. لن يفلت ولكن حتى هذا الحين فلنخفف عن تلك المملكة البائسة وطأة تلك المجاعة الطاحنة.. كان يوماً شاقاً ولم أنم منذ البارحة سوى ثلاث ساعات..

- أما زلت تعاني الأرق؟

- ليس كثيراً.. في بعض الأحيان..

تجنب النظر في عيني صاحبه.. خاف أن يرى فيها كذبه فيعود لحديث الزواج ثانية.

- ما زلت أقول وأكرر أن الوقت قد حان لتفكر في الزواج يا رهان.. أنك في حاجة لمن يشاركك أفراحك وأتراحك يا صديقي.. ومن أفضل من زوجة طيبة وحبذا لو كانت أميرة جميلة..



كان الآن من يحدثه هو حُران صديق الطفولة وليس وزير مملكته.

- إن راما...

كانت على وجه رُهان نظرة خبيثة ليستفز صاحبه بحديثه عن راما ثانية كما حدث من قبل، فقاطعه حُران نافذ الصبر:

- رُهان.. إنها جارية.. لا تحدثني عنها ثانية..

كتم حُران غيظه وكتم رُهان ضحكه فهو يتعمد إغاظه صديقه.. في هذه اللحظة عاد مرة أخرى الصغيرين اللذين اعتادا أن يتشاكسا ويتعاركا.. تذكر رُهان أنهما اعتادا أن يلعبا لعبة الملك ووزيره، ولكن دائماً ما كان رُهان الوزير وحُران الملك لأنه كان يكبر رُهان بسنتين مما كان يُغضب آريوس كثيراً عندما يرى رُهان يتلقى الأوامر من حُران، ويبدأ في تعنيف ابنه بسبب هذه اللعبة وتحذيرهما من لعبها ثانية..

- حُران.. قد اتخذها عروساً يوماً ما..

رأى الدهول والصدمة على وجه صاحبه.. ضحك رُهان لما بدا على وجهه ثم أردف:

- حُران.. لا تنزعج.. إنني أتعمد إغاظتك لأنك لا تفتأ تعود إلى حديث الزواج ولكن من يدري؟

- لأنه يجب عليك...



- نعم أعلم.. لا بد أن أهتم بأمر ولي العهد ووريث عرشي أكثر من هذا.

- نعم.. هذا صحيح.. لو كان الملك آريوس...

- الملك آريوس.. لولا الملك آريوس لكان من الممكن أن يكون ولي العهد هنا..

- انس ذلك الأمر يا رهان.. ألم تنس بعد؟

- لا لم أفعل.. ولكنني أحاول لولا أن وزيرني يذكرني بالأمر في كل وقت..

كان صوته قد ارتفع وأصبح أقرب إلى الصياح، واستعرت عيناه بلهيب الذكريات والحنين.. وجم حُران وأطرق إلى الأرض.. لم يقصد إغضابه بهذا الشكل إلا أن رهان يصبح نزقاً غير متوقع عند الحديث عن هذا الأمر

- تصبح على خير أيها الوزير..

غادر قاعة الحكم مسرعاً في غضب.. شاهده حُران وهو يغادر القاعة ويصنع بابها وراءه.. نظر إلى الباب الموصد أمامه وهو يحدث نفسه في أسى: «متى تنسى يا رهان»؟

دخل رهان غرفته ضائق الصدر بعد حديثه مع حُران، وكان ثقلاً يجثم على صدره فيفرغ منه الهواء ويتركه حانقاً مخنوقاً.. كان يعلم أن حُران حريص على مصلحته وكل همه سعادته، إلا أن ذلك لم يقلل من شعوره بالحنق تجاه حديثه المستمر عن الزواج.. تراقصت الذكريات أمام عينيه وكأنها قد حدثت بالأمس

القريب.. امتلاً قلبه وعقله بالألم وظن أنه سيصرخ في أية لحظة من شدة ما يجد بسبب تلك النار المستعرة في قلبه.. ساحك الله يا حران.. لن ينجو من لهيب الذكريات.. لن ينجو من تينك العينين العسليتين اللتين تطاردانه في نومه ويقظته.. موان! وكأنه قد فقدتها بالأمس، وكان الأمر لم يمض عليه ست سنوات طوال.. كانت غرفته باردة كما يحبها.. النيران البنفسجية الوحيدة فيها تلك التي في المشاعل على الجدران لإضاءتها.. أما الأخاديد التي تجري في الحوائط والمدفأة، فقد أنحمت نيرانها منذ أمد طويل بأمر منه.. وفي وسط الغرفة مخدع كبير نُحِت من رخام أبيض ناصع كالثلج، وقد وُضعت عليه حاشية ناعمة إلا أنه يزيلها في أوقات كثيرة لينام على الصخر الأبيض الشديد البرودة عندما يصيبه الأرق ويجافيه النوم ساعات طوال.. فالصخر البارد يريح لهيب جسده وقلبه المستعرين بالحنين.. وقد حفر على صدر السرير في الرخام الناصع البياض لوحة جميلة مزينة بأحجار ملونة لرجل وامرأة يقفان تحت شجرة كيوان عظيمة ذات الأوراق الذهبية والازهار الوردية التي تشتهر بها غابة لينودام، ويحيط بهما الطير من كل مكان.. وكانت شجرة الكيوان قد زينت بأحجار ذهبية ووردية براقه.. وعلى رأس الرجل تاج مزين بالأحجار البنفسجية وزين شعر المرأة الطويل بأحجار سوداء متألئة، وحولهما ينتشر الطير المزين بأحجار صفراء وخضراء وحمراء وزرقاء براقه.. وكان وجهها الرجل والمرأة بلا ملاح إلا عينين باللون العسلي في وجه المرأة وهي تشخص ببصرها إلى الرجل.

وقفت راما وهي تنتفض في استقبال رُهان الذي بدا عليه الوجوم الشديد خلعت عنه معطفه، وهو يكاد لا يشعر بها، ولا ينظر إليها هائماً في أفكاره.. كانت هناك أمام المخدع مباشرة شرفة واسعة تطل على غابات لينودام الجميلة، وكانت مفتوحة على مصراعها..

- مولاي.. تبدو في غاية التعب اليوم.. تأخرت كثيراً..

قالت ذلك وهي ترفع عنه عباءته.

- نعم يا راما.. كان يوماً شاقاً..

لاحظ اصطكاك أسنانها من البرد فأردف:

- راما.. اغلقي الشرفة.. أخبرتك أكثر من مرة أنه لا يجب أن تموتي من البرد فقط لأعود وأجد غرفتي باردة..

جلس على السرير ونظر إليها وهي تبتم.. كانت راما امرأة جميلة لها شعر أحمر كثير التموج، كأنه السنة لهب يحيط بوجهها الأبيض، وعظام وجنتيها بارزة ولها ذقن صغيرة.. اتجهت صوب الشرفة لتغلقها..

- أحب أن تعود إلى غرفتك فتجدها كما تحب يا مولاي بعد يوم شاق طويل.

- سوف أحل لك هذه المعضلة..

استلقى على السرير على بطنه فصار وجهه في مواجهة اللوحة وأحس أن العينين الجميلتين تحدقان به.

- اذهبي إلى خزانة الثياب تلك وافتحيها ستجدي فيها معطفاً بلون الدم القاني..

ذهبت إلى حيث أشار وفتحت الخزانة.. أمسكت المعطف



الناعم الذي بدا في غاية الجمال..

- البسيه.

- ولكن يا مولاي.. إنه يبدو بمئات القطع الذهبية!

- بل بالآلاف منها.. وهو قطعة جد نادرة إنه من فرو حيوان الطوس (حيوان سينامجيني) .. خفيف جداً ولكنك ستكونين دائماً الدفء وأنت ترتدينه وإن كنت في وسط عاصفة ثلجية.. إنه هدية مني لك..

عاصفة ثلجية! نثر الكلمة في نفسه عاصفة أخرى..

- مولاي.. ولكنه كثير.. كثير جداً..

- صه.. إنني متعب يا راما.. وقد سمعت الكثير اليوم.. فأريحني من ثرثرتك..

لبست راما المعطف وهي لا تصدق فبدت جميلة جداً وتسلى إليها الدفء على الفور.. نظرت إلى رهان وهو مستلق على بطنه وسارح في عالم آخر.. كانت راما تملك من الذكاء والفتنة ما تدرك به أن الأمر ليس مجرد تعب يوم شاق..

- مولاي.. ما بك؟

جلست إلى جانب السرير.

- راما.. دلكي لي جسدي المتعب حتى أغفو..



ظل مستلقياً على بطنه ووجهه مواجه لصدر السرير واللوحه
المحفورة داخله.. أخذ يتحسسها بيده حتى وصل إلى الحجرين
العسلين في وجه المرأة..أخذ يتحسسهما ببطء..

ها هو وكأنه ما لبث أن عاد من الحرب منتصراً ظافراً بعد
غياب شهر متلهفاً للقاء موان وتوضيح كل شيء لها واسترضائها..
وها هو آريوس يستقبله بحفاوة نخوراً به وبانتصاراته التي تزيد
يوماً بعد يوم، ولكن رغم فرحته فإن وجهه يشي بشيء ما.. شيء
لم يعرف رُهان كنهه ولكنه حدسه.. ذلك السؤال الذي طرحه
كثيراً في مراسلاته مع أبيه رغم الحرب الذي كان دائماً ما يُغفل
الرد عنه خلال الشهر الذي غابه.. كيف حال موان؟ هل وصلت
دون بسلام؟ لماذا لا يجيبه ولكن قبل أن يبدأ آريوس في إجابته
كان قلبه قد حدس الأمر.

- يا ولدي.. ما إن رحلت ثم رحلت موان بعدك يحرسها
السارية التي عينتها لذلك حتى هبت عاصفة ثلجية عاتية ثلاثة أيام
دون انقطاع.. كانت عاتية حتى لا يرى فيها كف اليد.. انقطعت
جميع أخبارهم.. وما إن هدأت العاصفة حتى خرج الرجال في
كل مكان بحثاً عنها ولكن دون جدوى لم نجد لها أي أثر.. بحثنا
طويلاً يا رُهان في كل مكان ولكن دون جدوى.. إنني في غاية
الأسف يا رُهان..

كان آريوس يتحدث معه وكأنه أصبح أمراً واقعاً لا يمكن
تغييره، لا بد أن يقبل به ويسلم له.. ولكن رُهان رفض أن
يستسلم أو يسلم للأمر.. جمع الرجال وظل يبحث شهوراً طوالياً في
كل مكان، ويرسل الرسل إلى الأمصار والبلدان لعل أحدهم قد
رأى الراحلة، ولكن دون جدوى.. ولما أصابه اليأس بعد بحث
طويل أشهراً عديدة، اعتزل كل شيء وعكف في غرفته لا

يبرحها ولا يتحدث إلى أحد.. كان بداخله يُحمّل آريوس مسؤولية الأمر كله، لم يبيح له بذلك ولكن آريوس فهم الأمر وأحزنه حال ولده الوحيد، وكثيرا ما حاول التحدث إليه مباشرة أو من خلال حُران، ولكن رُهان صده صدوداً عنيفا وإن لم يصرح بتحميله مسؤولية الأمر.. فكان دائماً ما يتحجج بالتعب والحزن ليتجنب لقاء أبيه.. وظل هكذا حتى مرض الملك، وأصبح على فراش الموت، وطمع الطامعون في مملكته خاصة بعد أن ذاع خبر الشقاق بينه وبين ولي عهده الذي لم يبرح غرفته، حتى ذاع أن الأمير مريض بمرض عضال لا شفاء له.. يومها فقط بعد أن سقط الملك صريع المرض والأسى، أدرك رُهان أنه قد حمل الشيخ الكبير فوق طاقته.. وأنه لم يكن خطؤه أنه فقد موان.. خرج رُهان من عزلته أقوى وأصلب، ولكن آريوس كان قد حان وقته ورحل عنه هو الآخر، لترك رُهان وحيداً يقتله الندم..

تولى رُهان حكم مملكته ولم يكن الأمر سهلاً فقد احتاج الشاب إلى بعض الوقت حتى يُحكم قبضته على المملكة بعد أن عاث فيها المغرضون فساداً مستغلين مرض الملك وعزلة رُهان.. أبعده ذلك العمل المضني بعد موت أبيه عن جرحه وألمه، حتى ظن في كثير من الأحيان أن جرحه قد شفي وأنه تعافى.. ولكنه ما إن يضع رأسه على الوسادة بعد يوم عمل مضم حتى تعود إليه الذكريات حية، فتؤرق ليله وتسهد عيناه ويشتعل قلبه ناراً تحرق كل ذرة في جسده.. تنهد بقوة وقد فرت دمعة من جانب عينه.. تمنى أن تكون الظلمة قد أخفتها عن راما.

- مولاي.. تبدو مهموماً اليوم.. ألا تفضفض لي بمكنون صدرك وما يثقله؟

- إنه الوزير حُران.. لا يفتأ يذكر أمر زواجي..

- ولكن ما الذي يضايقك في هذا يا مولاي.. إنه لأمر يتمناه كل من يحبك ويهتم لأمرك.. وإن كان يعني ذلك أن أبتعد عنك، ولكنه أمر يسعد كل من في المملكة.

- يمكنك أن تقولي بأني لم أشبع منك بعد..

ضحكت راما ضحكة ساحرة وألقت بشعرها الأحمر المموج إلى الخلف..

- دعك من هذا يا مولاي.. لا بد أن تبحث عن عروس تليق بك..

- أبحث عن عروس!

امتدت يده دون إرادة منه لظهر السرير البارد يتحسس وجه المرأة المحفور داخله..

- أميرة من الأميرات الحسنات تليق بك وبعرش سينامجنين العظيم.

زفر بقوة وأغمض عينيه وهو ما يزال مستلقياً على بطنه:

- حسنا يا راما لقد ارتحت من حران وحديثه.. إن تحدثت ثانية فسوف أنفيك من سينامجنين وإن كنت أظن أنك لا تستطيعين التوقف عن الكلام أكثر مما تستطيعين التوقف عن التنفس.. فقط دلّكي لي ظهري في صمت حتى أغفو.. فإذا غفوت فاذهبي إلى مخدعك ولا تنسي فتح الشرفة قبل رحيلك.

- أمرك يا مولاي..

أميرة من الأميرات.. ولم لست أنت يا راما؟

فكر في نفسه متبرماً.. يومها سينفجر حُران غضباً.. ابتسم وهو يتخيل وجهه إذ يخبره بالخبر.. لعله يفعلها يوماً عقاباً له على تعكير صفوه.

عندما تأكدت راما أن الملك قد غط في نوم عميق.. انسلت بحذر حتى لا توقظه، ولكنها لم تقصد مخدعها كما أمرها الملك.. ولم تذهب إلى أي مكان داخل القصر.. بل انطلقت إلى خارج القلعة وهي تعلم أنهم لن يفتقدوها في جناح الجواري بل سيظنون أنها تقضي الليلة مع الملك كما اعتادت من قبل.. ذلك الأمر الذي تحسده عليها أغلب نداءتها، فلم يحظ به إلا القليل منهن لليلة أو عدة ليال على الأكثر.. أما هي فقد حظيت بنصيب الأسد من بينهن جميعاً، فمنذ أن رآها الملك وقد قربها إليه وسحر بشيء فيها رغم أنها تعلم جيداً أن الأمر لم يرق إلى العشق والهيام بها فإنها كانت مفضلته وأثيرته..

تسلت فتاة الملك الأثيرة إلى خارج أسوار القصر لتقابل حبيبها الذي أحبته منذ سنين حتى قبل أن يراها الملك ويقربها إليه.. وعلى أمل أن يتزوجا يوماً ما بمعجزة من السماء وهي التي يحرم عليها وعلى أقرانها من جواري الملك الزواج حتى وإن كان الملك لا يقربهن إلا لماماً.. هي كأبي فتاة تريد رجلاً يحبها لا يشتهيها فقط.. يتشاركان معاً في كل شيء.. ينجب منها أولاده ويكون لهما بيت وتصبح له عائلته وعالمه وهذا ما لن يمنحه لها الملك يوماً ما.. فهو يشتهيها أياماً ليسلي بها لياليه الوحيدة وقلبه المكسوم ويمتلئها أسابيع.. صحيح أنها مالت إليه وظنت أنها تحبه عندما آثرها على



بأقي الجوارى وعاشت أعلاماً ذهبية وهجرت فلسبر فىها الذى
جن جنونه عندما اختفت، ولكنها سرعان ما فاءت إلى نفسها
إذ أنها لم تجد مع الملك ما وجدته مع فلسبر.. كان فلسبر يراها
نجمة فى السماء لا مثيل لها.. ملكة متوجة فى قلبه دون غيرها..
يمنى رضاها ويسعى لإضحاكها وتبسمها وهو فى ذلك يسعى كل
مضى.. حتى أصبح الملك ولياليه بعد ذلك عبئاً ثقيلاً عليها لا
حيلة لها فيه.. كم تمت أن ترك كل هذا وراء ظهرها وتهرب
بعيداً مع حبيبها، ولكنها تخشى إن هى فعلت ذلك أن يقبض
عليها ويزج بها هى وفلسبر إلى الموت زجا كما حدث من قبل مع
غيرها.. ولأنها لا تريد أن تخسر فلسبر فقد أخفت عنه طبيعة
علاقتها بالملك فهو يظن أنها من جوارى المطبخ -جوارى المطبخ
يمكنهن الزواج- وليست من جوارى الملك، ودائماً ما تهرب من
أمر الزواج حتى هددها يوماً بأنه سىتزوج غيرها إلا أنها تعلم أنه
لن يفعلها فهو لسوء حظه وطالعه يحبها ويعشقها حد الجنون..
ودائماً ما تعطي له الحجج والمبررات لتأجيل الزواج أملاً أن يأتى
اليوم الذى يتزوج فيه الملك.. يوماً تأمل أن لا يلاحظ الملك
هروبها فى غمرة فرحه بعروسه حتى تصل إلى بلاد بعيدة آمنة..
وحتى يأتى هذا اليوم فإنها مكجلة بلعنة بهذا القصر وملكه الذين لم
تخترأياً منهما.

* * *

مرت الأسابيع التالية للمشادة التي حدثت بين رُهان وحران سريعاً.. فقد انشغلت القلعة كلها بالاستعدادات والتحضيرات لوصول وفد ليموراس.. وقد مرت أيام بين الملك ووزيره يتحدثان فيها بطريقة رسمية أكثر مما اعتادا.. حتى اشتاق كل منهما لحديث الود مع صاحبه فعادت المياه إلى مجاريها ونسيا ما أزعج كليهما من الآخر، وعادت ضحكاتهما تسري في الليل البهيم وهما عائدان إلى القلعة بعد يوم عمل طويل وشاق.. تلك الضحكات التي تهون عليهما ما يلاقيان من كدر وصعوبات في المفاوضات مع أنذال وصعاليك ليموراس كما اعتادا أن يطلقا عليهم، وهجمات البربر ومصاعب إدارة المملكة..

كانا قد قطعنا شوطاً طويلاً في المفاوضات الأولية والمراسلات التي حُددت فيها الخطوط العريضة والشروط التي على أساسها سيستكمل الطرفان بقية المفاوضات عند وصول وفد ليموراس لسينامجنين للوصول إلى الصيغة النهائية للمعاهدة وتوقيعها.. وقد اتفق على موعد تقريبي لوصول الوفد.. إلا أنه عندما اقترب الموعد جاء رسول من موكب ليموراس ليخبر القصر بأن الوفد أمامه مسيرة يوم وليلة ليصل إلى سينامجنين.. مما أغضب السينامجنيون الذين توقعوا وصولهم خلال أربعة أيام على أقل تقدير، وقد أدى هذا إلى أعباء إضافية على كل من في القصر للانتهاء من اللمسات الأخيرة سريعاً.. مما دفع هنتار مسؤول المطابخ إلى التبرم ورأى أن هذا العمل يدل على قلة ذوق فجّة، ولكنها متوقعة من الليموراسيين، وأخذ يصيح في كل من في المطبخ بداع وبغير داع حتى يستطيعوا الانتهاء من التجهيز لأول مأدبة عند وصولهم.. وقد أدى خبر تعجيل وصول الوفد إلى اندلاع بعض المشاحنات

بين مسؤولي القلعة الأربعة، فقد أراد كلٌّ منهم زيادة عدد الخدم المستخدمين في أعماله مؤقتاً لانتهاه من التجهيزات حتى إن قنتيج اضطرت إلى أن تصبح حكماً لفض تلك المشاحنات!

- أحتاج إلى عشرة من الخدم ليعملوا بتنظيف باقي الغرف الاحتياطية..

كان هذا سوروز الذي جاء بنفسه ليتأكد من الحصول على العمال الإضافيين.

- اسمعيني يا قنتيج إنني بحاجة إلى عشرين منهم للعمل في المطبخ للانتهاه من أصناف المأدبة الأساسية لقد انتهى سوروز بالفعل من تنظيف الغرف الأساسية للضيوف.. لذا يمكنه الانتظار فهو ليس في عجلة من أمره أما في المطبخ فإن الوضع كارثي..

- ليس لك أن تتكلم عن لساني يا هنتار.. احترس..

- كفى!

صرخت قنتيج في وجهيهما حتى إن الرجلين قد انكمشا أمامها خوفاً منها..

- اسمعاني أنما الاثنان.. ليس لدي اليوم كله للاستماع إلى شكوكما ومشاجرتكما.. سياتخذ كل منكما نصف ما طلب من الخدم.. هذا كل ما أستطيع أن أساعدكما به.. هيا انصرفا فلدي أعمال كثيرة..

نظر الرجلان إلى بعضهما شزرا وغادرا، بعد أن أدركا أن المرأة لن تتراجع مهما فعلاً.



استيقظ رُهان في الصباح المرتقب لوصول الوفد وهو يشعر بأن رأسه يطن من كثرة الأحلام.. لا يتذكر منها سوى عينين بندقيتين تومضان في الظلمة.. اعتدل في سريره.. كان صدره العاري مبتلاً قليلاً على الرغم من البرد الشديد في غرفته.. رنا ببصره إلى الشرفة الواسعة المقابلة لسريه المطلة على غابات لينودام الجميلة.. كانت السماء المظلمة يتدرج فيها اللونين الأزرق والبرتقالي الخفيف الذي ينبئ بانبلاج الفجر عما قريب.. قام من سريره وسار ببطء إلى الشرفة.. كان هواء الفجر منعشاً وبارداً وهو يداعب وجهه وصدره فهدأ من روعه وانقباض صدره التي سببتها أحلامه الكثيرة في تلك الليلة.. وقف أمام سور الشرفة وأخذ نفساً عميقاً ليملاً صدره بهذا الهواء البارد.. كتفه قليلاً ثم أخرج في زفرة قوية لعلها تبث مخاوفه وهو اجسه كلها التي يعلم بالألا علاقة لها بأمر المعاهدة مع ليموراس، ولكنها أقدم عهداً وأشد وطئاً على نفسه حتى من معاهدة مع ملوك لطلالما احتقرهم أجداده لظلمهم وانحطاطهم وانغماسهم في ملذاتهم.. ملوك ليموراس الأعزاء.. بل إنه يظن أن ريبيل وابنه ثمار أسوأهم على الإطلاق.

تياً رُهان لمغادرة الغرفة بعد أن اغتسل ولبس لباسه الملكي الرسمي.. عباءته البيضاء المحلاة بالأسنة الذهب الأرجوانية.. ووضع على رأسه تاجه الذي له حواف تشبه أسنة النار مرصعة بأحجار بنفسجية براقه.. هم بالخروج عندما تذكر أمراً قد غفل عنه هو ومسؤولوه تماماً.. فقد أخبر القصر بأن اثنين أو أكثر من أميرات ليموراس أو نساء القصر الملكي -لا يتذكر بالضبط- سيحلون ضيوفاً مع الوفد.. ولما كان من الطبيعي أن تستقبلهم الملكة وأميرات سيناجنين لم ينتبه رُهان إلى حقيقة أن القصر الملكي قد خلا من الأميرات وبطبيعة الحال من الملكة، منذ موت أم رُهان، منذ

عقود طويلة خلت.. فلقد أغفل هذه النقطة تماماً، ولم يستعد لها.. كان من المفترض أن يرسل رُهان إلى إحدى قريباته لتكون في استقبالهم وتعمل على حسن ضيافتهم، ولكن الوقت قد فات الآن.. إنه لمن الحمق أن تأتي بنساء في وفد قادم لتوقيع معاهدة في قصر خلا من الملكات والأميرات لعقود خلت، ولكن يبدو أنه أمر لا يخطر ببال الليموراسيين، كان ظنه أن لهما أميرة مملكة منتينيس وصديقة الطفولة المقربة لن تمنع بأن تؤدي هذا الدور ولكنه نسي الأمر تماماً، ولم يرسل طلباً لمساعدتها، لا بد أن يعين إحداهن لتقوم على ضيافتهن.. لا بد أن تتمتع بحسن الضيافة والفتنة والقليل من حس الفكاهة على الأقل.. وهي أمور تفتقر إليها رئيسة جوارى القصر المرشح الأول لتولي هذه المهمة في ظل الغياب النسائي لهذا القصر الأجوف.. ولكن تلك الحيزبون تمتلك كثيراً من الحزم والقليل من الذكاء وغياب تام لحس الفكاهة أو حتى مجاراتها وفهمها، وهي صفات تجعلها كفوفاً لمنصبها، ولكن ليس لتولي تلك المهمة.. من إذاً؟ هيا فكر سريعاً يا رُهان فالوقت يمر سريعاً، آه إنها هي بكل تأكيد.. راما.. مرت صورتها في ذهنه بابتسامتها العذبة وثرثرتها الحلوة وخفة ظلها.. إنها الأنسب دون شك.. سموت تلك الحيزبون كمداً وغيظاً عندما تعلم بأن الملك قد أسند إلى راما تلك المهمة..

انطلق في طريقه مغادراً غرفته وقد استراح إلى قراره.. لعله يرسل إلى لهما ويحثها على القدوم أيضاً.. سيرسل إليها بالكنسار (طائر سيناجيني قوي وسريع يستخدم في المراسلات).. على الأرجح فإن الوفد قد يمكث في سيناجين قرابة الشهر أو الاثني عشر حسب سير المفاوضات.. وحتى تصل لهما تستطيع راما أن تضطلع بالمهمة على أكمل وجه.. أخذ يتجول في ممرات القصر متفقداً الاستعدادات متدخلاً أحياناً في أدق التفاصيل.. فلا مجال لأن يظهر أي عيب يقلل من قدر المملكة أمام ضيوفها.. هذا ما لن

يسمح به أبدأ.. يجب أن تظهر سينامجنين شامخة عظيمة منزهة عن العيوب والعلل.. يجب أن تبهرهم وتعقد ألسنتهم عن النطق إلا بصيحات الإعجاب والدهشة.

رأي قنتيج وهي تصرخ في إحدى الفتيات التي تبدو أنها كسرت شيئاً ما وتسارع إلى جمع الشظايا، وهي ترتعد تحت وابل من الصراخ والتعنيف من الحيزبون..

- قنتيج.. جيد أنني قد وجدتك أخيراً.. فلا أحد يعلم مكانك بالتحديد.

- مولاي.. عذراً فإني منذ الصباح أعلم هؤلاء الكسولات وأشرف عليهن في أدق التفاصيل، وقد تطلب ذلك تنقلي المستمر في أرجاء القصر فلا أحد ينفذ ما يُطلب منه على أكل وجه أبدأ.

نظرت من تحت جفنيها الثقيلين إلى الفتاة التي ما زالت ترتعد، وهي تجمع الشظايا المبعثرة.. شعر بالشفقة تجاه الفتاة الصغيرة التي ظن أن قنتيج تبدو لها كجبار بثمانية أذرع بشعرها الرمادي المشدود بكل صرامة إلى الخلف والمعكوص في كعكة كبيرة وأنفها المعقوف وبشرتها الصفراء الباهتة.. كانت ضخمة الجثة وتبعث في النفس الخوف.

- إنني مقدر وشاكر لجهودك الكبيرة يا قنتيج.. ولكن رفقاً بهن فهذا ليس وقتاً للتعليم ولا التعنيف.. فليفعل كل منا أقصى طاقته وهذا يكفي.. نظر إلى الفتاة التي بدا عليها الارتياح لكلامه، وابتسم لها كانت ذات ضفائر طويلة بنية، وبدت صغيرة لم تتجاوز الرابعة عشر من عمرها.

- هيا اذهبي يا صغيرتي.. فإني أريد التحدث مع قنتيج على



- ولكن الخزف... يجب أن أقوم...

- سوف يهتم أحدهم بالأمر.

لم تتحرك الفتاة من مكانها، واتجهت بعينها إلى قنتيج تنتظر الإذن منها للمغادرة رغم ما قاله..

- رباه ماذا تفعل بهن حتى إنهن يخشون تلك الحيزبون أكثر من الملك شخصياً..

فكر رُهان في نفسه..

- هيا تحركي.. الملك يأمركِ بالذهاب يا بنت..

جفلت الفتاة وجرت في لمح البصر من أمامهما واختفت.

- عذراً يا مولاي.. إنهن سخيفات معظم الوقت.. جالت ببصرها ببطء في وجهه، ثم انتظرت بفارغ صبر واضح أن يتحدث..

- قنتيج.. لطالما أخفتني حين كنتُ صغيراً..

ابتسم في سخرية وهو يفكر أنها ما زالت تخيفه حتى يومه هذا.. حاول بحديثه هذا أن يخفف من أثر الموقف فهو لا يخفى عليه اعتداد المرأة بنفسها وعدم تقبلها التدخل في شؤون عملها - من أيام الملك آريوس الذي منحها كثيراً من الصلاحيات - إلا على مريض حتى وإن كان من الملك نفسه.. وما هو سيوجه لها صفة أخرى بحديثه عن راماء..

- أرجو أن ترسلي لي راما.. فلقد حاولت الوصول إليها دون جدوى.. يبدو أن التوصل لأي أحد في مثل هذا اليوم أمر مستحيل.. لا بد وأنك قد أوكلت لها أحد الأعمال في القصر.. أريدها في أسرع وقت.

- إن راما في جناح الخدم الشرقي فقد استيقظت وهي تشعر بتوعك وتحجبت بذلك لتبقى في الجناح دون المساعدة في أي شيء.. وإن سألتني فسأخبرك بأن هذه الفتاة قد فسدت بتدليك لها وتستغل ذلك في الكسل والتلكؤ..

امتلاً صوتها بالغيظ والحق.. قاطعها رهان قبل أن تستطرد في بث حقدتها على راما وتبكيته على مكانتها التي لا تستحقها:

- إن الأمر بالغ الأهمية.. لقد أرسلت إليها في الجناحين فلم أجدها.. ابحي عنها وأرسلها إلي..

ثم أردف -بعد أن ظهرت على وجهها أمارات التمليل- في حزم وخشونة:

- (فوراً).

- أمرك يا مولاي..

انطلقت كالسهم لما بدا في نبرته من حزم، وقد لمحت في وجهها أمارات الدهشة والتساؤل عن هذا الأمر البالغ الأهمية الذي يختص به راما، ولولا ما ظهر في صوته من حزم لأمطرته بثرثرتها وأسئلتها محاولة معرفة الأمر.

أقلقه هاجسٌ - وهو يغادر إلى بهو القصر - أن تكون راما بالفعل مريضةً وغير قادرة على تولي المهمة، حينها لن يكون هناك مفر من تولي قنتيج للأمر، ولكنه هداً من هواجسه بأنها لا بد وأنها قد تحسنت لأنها غادرت الجناح.. تمنى من صميم قلبه أن يكون مرض راما ما هو إلا تلكؤ وتكاسل كما أوضحت قنتيج من قبل.

مضى عليه نحو الساعة أو أكثر في بهو الاستقبال، وهو يباشر إعداد الموائد وتعليق الزهور والورود في كل مكان وضبط النيران البنفسجية في الأخاديد حتى تناسب الضيوف، الذين قدموا من بلاد أكثر دفئاً من سيناجنين حتى اضطروا إلى بناء عدد من المدافئ لزيادة الدفء في البهو، وإن كان هذا لا يناسب السيناجنين كثيراً الذين أظهروا تأفهم من الجو الخائق الجديد، قبل أن تأتي راما وهي تهول وقد بدت شاحبة وخائفة.. فأدرك أن قنتيج قد استغلت الفرصة وأمعت في تهديدها بسبب تصنعها المرض..

- راما.. جئت أخيراً، كيف حالك الآن؟

- إنني.. أحسن حالاً يا مولاي.. شعرت بالتحسن فخرجت لاستنشاق بعض الهواء.. والآن أمام تلثم راما وتوترها أيقن رُهان أن قنتيج على حق تماماً فيما قالت بشأن تصنعها المرض لتتملص من العمل، وأراد أن يضحك ولكنه كتم ذلك.

- من حسن حظنا.. اسمعيني جيداً يا راما.. أريد منك الآن أن تذهبي فترتاحي ثم تستعدي وتلبسي أجمل ثيابك وتضعي أحلى عطورك، فإنني سأعهد إليك بمهمة عظيمة، فأرجو أن تكوني على أهبة واستعداد، ولا تخيبي ظني فيك..

- يسعدني أن أخدمك دائماً يا مولاي.. ما هذه المهمة؟

- سوف تكونين المضييفة لأميراتٍ ونساءٍ من مملكة ليموراس قادمين مع الوفد.. وقد اخترتك للباقتك وذكاءك وابتسامتك المشرقة فلا تنسي أن تكون حاضرة دوماً على وجهك.. ابتسم لها.

- تسعدني كثيراً ثقتك في يا مولاي.. إنني لا أصدق.. هذا محل شرف وتقدير.. ولكن سيدتي قنتيج..

تغير لون وجه الفتاة عندما ذكرت المرأة، ولعله حضر في ذهنها صورة لها وهي تصب عليها جام غيظها وحقدها فأسرع يطمئنها:

- دعي أمر قنتيج لي.. سوف أرسل إلى الأميرة ليما للقدوم سريعاً لتولي الأمر.. فقد أغفلت هذا الأمر تماماً، ولكنها لن تصل قبل أسبوع أو اثنين على أقل تقدير..

خفت ابتسامتها قليلاً عندما أدركت أن توليها المهمة أمر مؤقت بوصول الأميرة ليما، ولكنها سرعان ما استعادت إشراقة وجهها فبدت غاية في الجمال بشعرها الأحمر الناري الذي يحيط بوجهها الجميل وتذكر الملك لماذا كانت راما الأثيرة لديه..

- هذا شرف كبير لي يا مولاي.. لن أخيب ظنك..

اتسعت ابتسامتها وأردفت:

- هل أذهب الآن؟

- نعم يمكنك الذهاب.. ولكن لا تتظاهري بالمرض مرة أخرى حتى تهربي من أعمالك.. يمكنك فقط إخباري وسوف



أتولى أمر قنتيج.. ثبت نظره عليها ثم ابتسم:

- ولكن يا مولاي.. لقد كنت أشعر ببعض... حسناً سوف أفعل..

استسلمت في النهاية وإن بدا عليها انجبل والارتباك.

- هيا انصرفي..

شاهدها وهي تمضي في طريقها وقد أحس ببعض الضيق، وإن كان لا يدري له سبباً واضحاً!

كان النهار قد انتصف عندما جاء رسولُ ليوراسي يخبر القصر أن الوفد والراحلة أمامهم نحو الساعة حتى يكونوا على أبواب القصر.. كانت القلعة البيضاء في أبهى صورها.. زين البهو الواسع بالزهور البيضاء والوردية والأرجوانية والزرقاء وألوان أخرى.. ورُصت مائدة طويلة في منتصف البهو وقد رُص عليها مختلف الأطعمة الخفيفة والمشروبات التي تسبق العشاء الذي سيقام بعد أن يرتاح الضيوف قليلاً من عناء السفر الطويل.. وكان الفناء الخارجي للقصر آية في الجمال فقد امتلأت سماؤه بمختلف الطيور رائعة الألوان منها الأحمر والأصفر والأخضر في تناسق وقد انتظمت في دوائر صغيرة وأخرى كبيرة تتشابك وتضيق وتتسع لا يخرج منها طائر عن النظام البديع فبدت كلوحة متحركة جميلة وبديعة في السماء.. فقد اشتهر السينامجنيون بأنهم سادة الطير.. ف لديهم قدرة غريبة على تدريبهم وإخضاعهم فيأتمرون بأمرهم وينتهون بزجرة من أعينهم.. وقد احتفظوا بأساليبهم الخاصة والسرية التي يتوارثونها جيلاً بعد جيلاً منذ زمن بعيد، وإن كان القليل منهم قادر على فهم لغة الطير والتحدث إليهم، فإنهم جميعاً

يستطيعون تدريب شتى الطيور على مختلف المهام، وهم على علاقة رائعة بهم.

كان الملك ووزيره ونفر من حاشيته المنوط بهم استقبال الوفد يقفون في البهو يتحدثون ريثما يصل الوفد الذي اقترب وصوله.. عندما انطلقت الأبواق معلنة وصولهم تحرك الحشد يتقدمهم الملك ويليهِ وزيرهُ ويتبعهم نفر من الوزراء والأمراء.. فتُحت أبواب القصر ووقف الحشد أمام مدخل القصر الذي يعلوه منتظرين اللحظة التي يصل فيها الموكب.. كان أول ما ظهر من الموكب الليموراسي خيالة زرقاء عبرت أبواب القلعة في رزانة ثم تلتها ثلاث مراكب جميلة مزينة بالنقوش تجر كل واحدة فيهم زوجين من الأحصنة.. الأولى -وهي أكبرهم وأنخمهم- وتبدو أحصنتها قوية كانت تحمل الملك الليموراسي والأمير ثم تلتها عربة أقل حجماً بدت أنها للأميرات ونساء القصر لما بدا عليها وعلى أحصنتها من الطابع النسوي فقد كُسيَت من الخارج بالمخمل الأحمر القاني وأسُدت الستائر على نوافذها وكانت أحصنتها بيضاء كالثلج، وإن كانت تبدو هزيلة بعض الشيء ثم تلتها عربة أخيرة أكبر حجماً من التي قبلها وأقل حجماً من الأولى، بدا أنها لباقي الوفد من الوزراء.. وفي مؤخرة الموكب جاءت مجموعة أخرى من الخيالة الزرقاء ومعهم عربة لا بد من أنها كانت تحمل المؤن والزاد للسفر وبعض الخدم وإن بدت خالية تماماً من المؤن في الوقت الحالي..

مال الوزير إلى الملك قليلاً وتكلم بصوت يكاد يُسمع:

- يا إلهي إن كان هذا حال أحصنتهم الملكية.. فال بال الناس في هذه المملكة المشؤومة؟!!

- ولكنها لم تؤثر في أحصنة الملك على ما يبدو..



تحدث الملك في سخرية واضحة ونظره ثابت على العربات دون أن يتحرك أو يلتفت لمحدثه.

توقف الموكب عند السلام الطويلة للقصر التي يقف فوقها الملك وحاشيته ينظرون من عليّة إلى الموكب الليموراسي.. وضعت السلام أمام العربات ونزل الملك ريبيل يسنده الجنود من كل اتجاه -الذي بدا مثل أحصنته لم يتأثر بالمجاعة التي تفتك بمملكته- كان رجلاً أشيب الشعر قد بلغ من العمر عتياً، بدين ضخم الجثة، تدل هيئته على أنه كان شاباً قوياً ذات يوم، ولكنه أصبح الآن يتدحرج ككرة أقرب منه إلى المشي على قدمين.. لديه عينان صفراوان، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة مقبته وهو ينظر إلى القصر الفاره أمامه.. ثم نزل بعده الأمير نمار الذي كان شاباً طويلاً مفتول العضلات وفي وجهه وسامة لا تُخفي قسوته التي اشتهر بها.. كانت عيناه البنيتان ضيقتين وفيهما من الذكاء والمكر ما غاب عن عيني والده.. وجهه نحيف طويل كوجه الحصان، وكان شعره البني منسدل على كتفيه.. عندما نزل جميع الضيوف من عرباتهم انطلقت الأبواق مرة أخرى، فتحرّكت في السماء مجموعات الطير البديعة الألوان مكونين في السماء جملة (أهلاً بالأصدقاء) مرة بلغة أهل ليموراس، ومرة أخرى بلغة أهل سينامجنين في نتابع بديع دون توقف.. اشرأبت أعناق القوم في دهشة وإعجاب نحو السماء يشاهدون الطيور التي بدأت في التغريد والشدو بأصوات لم تُسمع من قبل، فازداد إعجابهم، ثم انطلقت الأبواق مرة أخرى فتحرّكت الطيور بسلاسة رائعة في السماء لتكتب بأجسادها الجميلة ذات الريش الأحمر والأصفر والأخضر وغيرها من الألوان البديعة (نتمنى لكم إقامة سعيدة في مملكتنا)..

كان أول من أنزل بصره عن السماء في فتور واضح هو نمار على الرغم من صيحات الإعجاب والدهشة من حوله.. أحس رهان

بالرضا فقد أراد أن يعلم الليموراسيون أن مملكة سينامجنين تعلو فوق كل الممالك منذ أول لحظة لهم فيها.. وأن ملكها تخضع له الأرضين كلها كما اشتهر عنه بالفعل في كل مكان..

بدأ القوم في صعود السلام -بعد أن انتهت الطيور من غنائها الشادي- يتقدمهم الأمير نمار، وقد بدا عليه الضيق لحركة أبيه البطيئة الذي كان يصعد السلم بصعوبة بالغة رغم مساعدة الخدم له الذين أوشكوا على حمله.. عندما وصلوا إلى حيث يقف الملك وحاشيته.. تبادل الجميع التحيات الرسمية، وتعهد الملك إهمال الأمير نمار-الذي تقدم الوفد حتى يفرض مكانته ويدل علىها- وانصب اهتمامه على الملك ريبيل والسؤال عن صحته، وبطريقة ماكرة أعاده إلى مقدمة الوفد وأجبر الجميع بما فيهم نمار على التمهّل وراءهما.. فرهان يعلم أن ريبيل الذي حنكته السنين وعلمته الكثير -رغم جشعه وطمعه الذين لم يتغيرا على مر السنين- سيكون أكثر حكمة وأقل طيشًا من نمار الذي قد يغلب على طبعه طيش الشباب واندفاعهم، إضافة إلى ما يبدو عليه من غرور وغطرسة، يرى رهان أنها قد تؤدي به إلى الهلاك المحقق، وهو يظن أنه ناج مرتاح البال لذلك فقد عمد إلى إهمال نمار بما يحمله ذلك من رسالة مبطنة..

بعد أن دخلوا جميعا إلى بهو الاستقبال حيث مأدبة الترحيب في انتظارهم وعليها أصناف الفطائر الحادقة والحلوة والخبز الذهبي والمشروبات المتعددة.. وقفوا جميعا حولها يتبادلون كلمات الترحيب وعبارات الشكر.. وسار الخدم بين الضيوف يعاونهم الطير حاملين سلال الخبز والفطائر والمشروبات وتبادل الجميع الأحاديث القصيرة السريعة التي تخللها كثير من الضحكات السخيفة المصطنعة قبل أن يقود الخدم -الذين يجيدون لغة ليموراس- كلاً إلى مهجعه، ليرتاحوا من عناء سفرهم الطويل،

ويستعدوا لحفل ووليمة استقبالهم.

سارت راما ترشد النساء الثلاثة اللاتي جئن مع الوفد.. وقد أدركت أن الملكة لم تكن من بينهم، ويبدو أن هؤلاء النسوة إما أنهن أميرات وإما قريبات للملك، وفكرت أن رحلة إلى سيناجنين التي ذاع صيتها بين الممالك بتفردھا وعظمتھا، بدت لهن أقرب إلى الفسحة والنزهة التي لا تُعوض بل إنها تخيلتهن وهن يتوسلن الملك بأن يسافرن معه للترويج عن أنفسهن.. كانت تقود الاثنتين الأخريين اللتين كانتا أصغر سناً منها امرأة في أوائل العقد الخامس.. وجهها ذو جمال متوسط تزين بكثير من المجوهرات في بهرجة زائدة، وتلبس ثوباً أصفر فاقعاً فضفاضاً مما أوحى إلى راما أنها ليست أميرة ولا قريبة للملك.. وإن بدت أنها تتمتع بسلطة ما على المرأتين الشابتين.. سلطة أقرب إلى سلطة المعلمة والمربية..

كان شعرها البني معقوصاً فوق رأسها في كعكة جميلة الشكل.. وكانت المرأتان الأخريان تبدوان في العمر نفسه تقريباً -أواخر العشرينيات- وبدا وكأنهما صديقتين حميمتين، فقد ظل رأسيهما متقاربين تتهامسان بالأحاديث، وتفلت منهن الضحكات المكتومة وبدا عليهما الاستمتاع.. كانت الأولى ذات شعر كستنائي يصل إلى منتصف ظهرها وعينين زرقاوين وبشرة بيضاء شاحبة وذقن مدبية وكانت جميلة كالحوريات.. والأخرى ذات شعر أسود طويل وعينين واسعتين ولها أهداب ثقيلة وبشرة ذات حمرة صافية.. بدت كأنها تخرج من قصة خيالية من شدة جمالها.. احتارت راما فيمن الأجل من بينهما!

- لقد حللتن أهلاً ونزلتن سهلاً أيها الضيوف العزيزات..

قالت ذلك وهي تقودهن في ردهات القلعة إلى غرفهن التي



أُعدت مسبقاً.

- شكراً لك.. دعيني أعرفك بنفسي.. أنا ديموس وصيفة الأميرة أريانا ابنة الملك المعظم ريبيل ملك مملكة ليموراس المجيدة، وأخت الأمير نمار ولي العهد المبجل وسليمة الملوك العظماء لمملكة ليموراس العظيمة..

أشارت برأسها إلى الفتاة صاحبة الشعر الكستنائي التي كانت تبادل الحديث مع المرأة الأخرى، ولم تكن منتبهة للحديث وصيقتها.. انتظرت راما أن تقدم ديموس المرأة الأخرى، ولكن بدا أنها انتهت من حديثها وأغفلت عن قصد أو عن غير قصد تعريف الفتاة الأخرى.. أدركت راما بذلك أن المرأة ذات الشعر الأسود لا تحظى بمكانة كبيرة، ولعلها صديقة مقربة للأميرة أو قريبة من بعيد، وإن بدا على المرأة حسن الهندام كالأميات تماماً.

أوصلت راما النسوة الثلاث إلى غرفهن.. كانت الفتاة ذات الشعر الأسود هي آخر من وجهتها راما لغرفتها بعد الأميرة أريانا ثم وصيقتها ديموس، وقد تركت لكل امرأة من الخدم من يقوم على مساعدتهن وخدمتهن.. وعندما همت بالخروج وترك الفتاة ذات الشعر الأسود تحدث الأخيرة في رقة وابتسامتها تعلو وجهها الجميل:

- أيمكنني أن أطلب منك طلباً؟

كانت تتحدث في دماثة وبلغة سينامجنين!

- أمرك يا سيدتي.. إنني هنا في خدمتك.. اطلبي ما تشائين..



اختارت أن تناديا ب سيدتي بعد أن أيقنت أنها ليست من
العائلة المالكة.

- لقد طلب مني الأمير نمار أن أرسل إليه مكان غرفتي فور
نزولي فيها.. لذلك أود أن ترسلي إليه أحداً يدلّه عليها.. سيشعر
بالغضب إن أغفلت الأمر.. أيمكنني أن أعتد عليك في هذا؟ إنه
ضروري..

- الأمير نمار! من؟

- نعم، إننا مخطوبان..

أسرعت توضّح.. بهتت راما قليلا ثم استجمعت نفسها سريعاً
وسألتها:

- هل هو ولي العهد؟! إذا فسموك يا مولاتي مخطوبة ولي عهد
مملكة ليموراس..

- نعم إنني كذلك..

ابتسمت في وهن ونجل ثم أردفت:

- سأكون شاكرة لك إن أسرعت بإبلاغه رسالتي.. اسمي
سيتورا.. أست سيتورا..

- أمرك يا مولاتي..

انحنت أمام المرأة التي بدا عليها التعب الشديد فجأة، وغادرت
الغرفة وهي تلعن تلك المرأة المسماة ديموس في نفسها.. التي

أسقطت أمر الملكة المقبلة ولم تكلف نفسها عناء تعريفها بها..
ولكن يبدو أنها أغفلت الأمر عمدًا، فهي في أغلب الظن لا ترى
تلك الفاتنة جديرة بالأمير نمار ولا بعرش مملكتهم التعيّسة، ولم
تظنها راما حمقاء وغبية لتظن هذا.. فإن الفتاة تملك سحرًا وتألقًا
يكفي ليضيء ممالك لا مملكة واحدة ولا عجب إن فُتن بها الأمير..
ولكن حمقاء متعالية كديموس لن ترى هذا أبدًا..

بعد أن أغلقت الباب أخذت تفكر في تلك النظرة التي ارتسمت
على وجه الفتاة وهي تؤكد خطبتها للأمير؟ أكانت بسبب التعب
والإرهاق الناجم عن طول السفر أم أنها كانت تشعر بالملل
والإحباط وهي تتذكر هذه الحقيقة كما استشعرت راما من نبرتها
وقسمات وجهها؟

على كل فإن هذه الفتاة تجيد إخفاء مشاعرها جيدًا.. كانت
رغبة الفتاة في إيصال رسالتها دون إبطاء واضحة تمامًا، ولذلك
فعلى الرغم من تعب راما الشديد وحاجتها إلى النوم استعدادا
لحفل الترحيب الذي سيقام خلال ساعات، الذي يجب أن
تشرف فيه على متطلبات واحتياجات النسوة الثلاث ومساعدتهن
على الوصول إلى أبهى صورة هي ومن اختارتهم من الخدم
لمعاونتها في ذلك الأمر، لذلك فقد عمدت دون إبطاء إلى السؤال
عن مكان غرفة الأمير نمار وتوصيل الرسالة إليه التي استلمها منها
أحد خدمه الذي استراح عندما بلغته راما وأخبرها أن الأمير
كان ينتظر هذا الأمر حتى يطمئن على مخطوبته.. فكرت أن لوعة
الحب ظاهرة عند الأمير الذي في ظل كل ما يحدث ينتظر
رسالة الفتاة الآسرة.. وعندما اطمأنت إلى إبلاغ رسالتها قصدت
مهبجها لتغط في نوم عميق شعرت بأنها قد استحقته عن جدارة.

* * *



استيقظت راما وهي فزعة أن تكون قد فوتت الحفل وأخفقت في أول مهمة يعهد بها الملك إليها، فقد كان المكان حولها خالياً وقد أطفأت جميع نيرانه البنفسجية إلا قليلاً منها ترك لتوفير قدر من الإضاءة..

سرت رعشة في جسدها من البرد.. يبدو وكأنهم نسوها في غمرة الحفل.. ولكن عندما خرجت من المهجع وجدت الخدم يجيئون ويذهبون في الممرات في عجلة وعندما سألت أحدهم -وكان يبدو عليه أنه من خدم المطابخ- إذا كان الحفل قد بدأ.. نظر إليها نظرة معنفة متعالية أوجعتها، وأجابها بأنه لم يبدأ بعد وإن كان قد بقي على بدئه أقل من ساعة زمن.

أسرعت راما تجري وصولاً إلى غرفة الأميرة أريانا، وعندما دخلت وجدت محاطة بثلاث من الخادومات -حمدت الله أنها وزعت المهام عليهن بمجرد أن أخبرها الملك- تساعدنها في ضبط ثوبها الأخضر الزمردي وشعرها الكستنائي مسترسل في كسل على وجهها الجميل المتذمر وقد عمت الغرفة فوضى عارمة.. أثواب ملقاة على الأرض وفرش للشعر في كل مكان.. أحذية مقلوبة على وجهها، عندما رأت راما وقد تعرفت عليها في الصباح قالت في حنق:

- رائع أنك قد أتيت أخيراً.. هؤلاء الخادومات الغيبات عديمات الفائدة.. سوف يقتلني من فرط غبائهن.. كان يجب أن أحضر معي وصيفاتي، ولكن أبي رفض ذلك بدعوى أنهم سيكون عبثاً، وأنا سنجد هنا من الرعاية ما نستحقها.. ليتني لم أسمع كلامه..

هن لا يستطعن إتمام أي مهمة إتماماً صحيحاً.. انظري إلى شعري..
حالته مزرية..

ضيقت ما بين حاجبيها وعقدت ذراعيها أمام صدرها، ونظرت
إلى الخادومات بنظرة متغترسة متعالية، واللاتي بدون لراما وكأنهن
يكتمن الضحكات.

تعجبت راما من كم الشكوى والتذمر التي أمطرتها بها منذ
أن دخلت وأشفتت على الفتيات اللاتي تحملن الأمر ساعات..
كان يبدو كل شيء فيها رائعاً مثالياً إلا تلك النظرة المتغترسة
المتعالية التي تجعل من يراها يظن أنها تشم رائحة بيض فاسد..
تلك الغترسة والعجرفة التي اشتهر بها ملوك ليموراس وأمراؤها
وأكسبتهم سمعتهم السيئة الذائعة الصيت.

- مولاتي.. تبدين رائعة.. لا تزجي نفسك.. سوف أصلح
شعرك في دقائق وكذلك ثوبك..

شرعت راما في إعطاء الأوامر للفتيات وأخذت تضبط الثوب
المضبوط سلفاً وترفع خصلة وتنزل الأخرى ثم ترفعها ثانية..
وبهذا أحست الأميرة أنها تؤدي سحراً قديراً سيجعلها تخطف كل
الأنظار، وبعد قليل من الوقت وكثير من الأوامر والحركة في
الغرفة.. نظرت راما إلى الأميرة في انبهار حقيقي وزائف في آن
واحد، وهتفت في رضا:

- والآن.. كم تبدين آسرة يا مولاتي..

نظرت الأميرة إلى انعكاس صورتها في المرآة، وبدا عليها السرور
وقالت في مودة صادقة:



- شكراً لك..

نظرت إليها في تساؤل، ما اسمك مرة أخرى؟

- راما يا مولاتي

- سوف أذكر جهدك وكفاءتك لملككم عندما أقابله.. لن أنسى هذا..

بدت على وجهها نظرة حاملة..

ولأول مرة منذ أن دخلت الغرفة تشعر راما أن الأميرة أريانا قد تلقت تهديباً من أي نوع في يوم من الأيام ثم ما لبثت أن أردفت:

- أما هؤلاء الغيبات..

زفرت زفرة قوية ووضعت يدها على رأسها وكأنها لا تجد ما تقوله في وصفهن..

عندما غادرت راما غرفة الأميرة أخيراً هُرعت إلى غرفة ملكة المستقبل المحتملة، ولكن عندما وصلت وجدت الغرفة خالية بالفعل إلا من خادمتين قد عينتهما سلفاً لمساعدة الفتاة، وأخبرتها إحداهما أن الفتاة قد نزلت إلى الحفل بالفعل منذ وقت ليس بقليل.. بدت الفتاتان مرتاحتين وراضيتين على نقيض الغيبات في الغرفة الأخرى حتى الغرفة نفسها بدت أكثر ترتيباً ونظاماً، وأخبرها أن الفتاة كانت رائعة الجمال وآسرة وهي تنزل إلى الحفل، وكانت قد اختارت بالفعل الثوب الذي ستلبسه قبل مجيئها ثم ساعداها في لبسه وتمشيط شعرها، ثم شكرتهما كثيراً



على مساعدتهما، وأخذت تكيل لهما المديح والثناء وتبادلت معهما الحديث والضحكات قبل أن تنزل الحفل.. رأت راما أن الهوة بين الفتاتين واسعة، وفكرت كيف تتعامل هذه الفتاة مع كل غطرسة وتكبر الأميرة أريانا، وعندما عادت بأفكارها للصباح حيث كانت الفتاتان تتهامسان وتضحكان لم تذكر أي أثر للغطرسة على وجه الأميرة، ويبدو أن الفتاة بسحرها وذكاءها استطاعت كسب مودة الأميرة أريانا، ونجحت في تكوين صداقة معها على الأقل فيما يبدو، وإن كانت تشك أن فتاتين على هذا القدر من الاختلاف قد تصبحان صديقتين في الظروف العادية بسبب اختلاف طباعهما، ولكن يبدو أن خطبة الأمير من الفتاة أجبرتها على التكيف والتعامل مع الأميرة المتغترسة.. ولا بد أن الأمر قد استغرق منها صبراً طويلاً وحنكة حتى تروض الأميرة وتكسبها في صفها خاصة وأن الأميره - كعادة الأميرات - لا بد أنها قد اعتادت أن تكون الأثيرة وصاحبة المكانة الأولى.. وفي غالب الظن قد شعرت بالتهديد من جمال وفتنة الفتاة التي أصبحت ذات مكانة رفيعة بعد خطبتها لولي العهد ربما قد تفوق مكانة الأميرة المدللة يوماً ما عندما تصبح ملكة ليموراس، ولكن يبدو أن تواضع الفتاة سيتورا وطيبة قلبها البادية على وجهها الجميل مهدت لها الطريق في قلب الأميرة كما فعلت من قبل مع أخيها..

سألت راما إحداهما:

- لقد أخبرتني باسمها صباحاً ولكني نسيته.. يا الله ماذا كان؟
إنه غريب وغير شائع..

- نعم.. إنه أست سيتورا وقد أخبرتنا أن معناها سيدة الثلج في اللغة الليموراسية..



- سيدة الثلج! أمر غريب فعلاً.. فقد ذكر أحدهم أن ليموراس أدفاً من هنا يكاد يسقط فيها الثلوج.. هيا نعود إلى مضاجعنا.. انتهت مهمتنا الآن وسيكون أمامنا كثير من العمل بعد انتهاء الحفل..

لم تشعر راما برغبة في مشاهدة الحفل فهي تعلم أن قنتيج لن تترك لإحداهن فرصة للاستمتاع بالحفل وستكلفها بمزيد من الأعمال بمجرد رؤيتها حتى وإن لم تكن في حاجة إليها بالفعل لذلك فقد أرادت الهروب إلى المهجع.. ولكنها ما إن وصلت إليه حتى أخبرتها فتاة أن قنتيج تنتظرها في البهو بناء على طلب من الملك، فباعت محاولتها للتملص من العمل بالفشل وتوجهت إلى البهو متدمرة.

كان بهو الاستقبال شاسع المساحة حتى إن من يقف في أوله لا يرى بوضوح آخره، وقد زين بمختلف الزهور من كل شكل ولون.. وكانت مدفأة ضخمة تحتل إحدى حوائطه الأربعة تتأجج فيها النيران البنفسجية، فامتلاً البهو دفناً أكثر مما اعتاده السينامجنيون، وامتدت النيران في الأخاديد في بقية الحوائط فسمع حسيسها في البهو كأنه لحن خفي.. وعلى رأس القاعة وُضع عرش الملك، وكان عرشاً عظيماً مصنوعاً من الذهب، وقد جعلت حوافه مثل ألسنة اللهب ورصعت بأحجارٍ بنفسجية تتوهج.. وقد أحاطت النيران البنفسجية العرش العظيم تسري في أخدود حُفر في الأرض على شكل نصف دائرة، وكأنها تحميه وتحذر من يقترب.. وُرصت الموائد في كل اتجاه من حول العرش، وقد وُضعت عليها أصناف الطعام والشراب المختلفة.. وكانت رفرفة أجنحة الطيور التي تحمل سلال الخبز وتضعها في خفة على الموائد، وترشد الضيوف إلى موائدهم وتساعد الخدم وتصيح في أرجاء البهو البديع.. وأحياناً تصنع لوحة فنية بأجسادها الملونة

لشجرة كيوان أو نيران متوهجة أو حتى الملك في لباسه الرسمي،
أو تكتب جملاً مرحبة بضيوف المملكة، وهي في ذلك تأتمر بأمر
الخدم كما دُرِبَت من قَبَل سادة الطير دون أي خلل أو عصيان..
وجلس إلى رأس المائدة الرئيسيّة -التي كانت أطولهم ووضعت في
منتصف البهو- الملك رُهان، وعن يمينه جلس الملك ريبيل بكرشه
المتدلي يليه ولي العهد الأمير نمار ثم بقية الوفد.. وعن يسار الملك
جلس الوزير حران يليه عدد من الوزراء والحكماء.. وبجانب الأمير
نمار تُرك مقعدان شاغران ظن رُهان أنهما ولا بد لامرأتين من
النسوة الثلاث اللاتي قدمن مع الوفد..

كان يتحدث مع الملك ريبيل عندما تشبع الهواء بشذى عطر
كرائحة الياسمين.. عندما رفع عينيه رأى امرأة ذات عينين
زرقاوين فاتنة تقف في ثوب أخضر ينساب على قدمها الرشيق
وهي تنظر إليه.. تبعه ريبيل بعينه إلى حيث ينظر رُهان الذي
كان يتحدث معه قبل أن تقدم المرأة هتف قائلاً:

- جميلتي الصغيرة أريانا..

كانت تقف بنعومة خلف مقعد نمار وهي تضع كفيها على ظهر
المقعد، وكانت ما تزال تحديق في رُهان وهي تبتمس.. تفحصها
رُهان ثوانٍ من قمة رأسها إلى أنحاص قدميها، ثم ابتسم قائلاً:

- لم أعلم يا عزيزي ريبيل أن لديك ابنة فاتنة..

كانت عيناه شبقتين وهي تتفحص الفتاة الجميلة

جلست على المقعد الشاغر بجانب أخيها وقد تورّد خديها نجلاً

- شكراً لك يا مولاي..

عندما تحدثت فقدت قليلاً من سحرها فقد شاب صوتها غطرسة واضحة لم تخطئها أذن الملك..

استمر الحفل حتى منتصف الليل.. كان الملك ريبيل قد اعتذر باكراً عن استكمال المأدبة لإحساسه بالتعب والإرهاق من عناء السفر، وبعد برهة من مغادرته انتقلت أريانا -دون دعوة- إلى جانب الملك وتبادلا الأحاديث والضحكات طوال الأمسية.. كانت رائعة الجمال لولا تلك النظرة المتغترسة على وجهها التي أفقدتها كثيراً من سحرها بعيني رهان.. وعلى الرغم من ذلك فتن بجملها الأسر.

- سمعت أن غابة لينودام ساحرة.. يقال إنها أدفاً ما في مملكة سينامجنين المتجمدة.. إنني متشوقة لرؤيتها كثيراً.. إن الجو هنا بارد للغاية ويسعدني أن أنعم ببعض الدفء..

- إنها كذلك بالفعل.. لسبب ما فهي لا تثلج أبداً في غابتنا الجميلة.. يسعدني أن أريك إياها يوماً ما قريباً.. سوف تقعين في حبها على الفور.. يمكنني أن أساعدك أيضاً في شأن الجو هنا.. سوف أرسل إليك ببعض المعاطف التي تدفئ كثيراً.. إنها هدية لك.. سوف...

قطع حديثه صوت تهشم زجاج تلتته جلبة وصيحات مكتومة.. استدارت الرؤوس لمصدر الجلبة.. كانت امرأة ذات شعر أسود وثوب أزرق نيلي تسرع بالمغادرة والخروج من البهو، وقد تناثرت شظايا كأس مكسورة على الأرض.. لا بد أنه وقع منها أو أنها أزاحتها في طريقها وهي تسرع إلى خارج البهو.. وكان الأمير نمار يتابعها بعينه، وهي تغادر وقد بدا عليه الغضب، وإن بدا على

وجهه المتصلب وشفتيه المزمومتين أنه يبذل مجهوداً كبيراً لضبط نفسه، وقد كور قبضته فوق المائدة وهو يدق بها كالمطرقة ببطء في حركة عصبية تظهر حنقه وغيظه المكتوم.

- العزيزة سيتورا.. لا بد أنها وثمار تشاجرا ثانية.. إنهما لا يكفان عن ذلك على أية حال.. إن ثمار مفتون بمخطوبته كثيراً ولكنه.. إن الأمر معقد تماماً.

- مخطوبته؟

- نعم إنهما مخطوبان منذ ستة أشهر فحسب.. على الرغم من أنهما يعرفان بعضهما منذ سنين، ولكن أبي كان يعارض هذه الزيجة ولا يجد سيتورا مناسبة لثمار.. ولكن ثمار عنيد لا يسهل إثناؤه عن أمر يريده.. تمسك بها رغم تهديد أبي له حتى إنه هدده بحرمانه من العرش.. ولكنني أجده تهديداً أجوف خاصة عندما يكون هو وريثك الوحيد.. في النهاية لم يجد الملك بداً من الموافقة.. أحياناً كثيراً يصبح العاشق كالأعمى أو المسحور.

- لا يبدو أن الملك بمفرده الذي كان يعارض هذا الزواج.

- طبعاً كنت أوافق أبي في رأيه على الرغم من أنني أحب سيتورا فهي رائعة ولكن في النهاية من هي؟ لا أحده.. إن ثمار يستحق أميرة سليلة عائلة ملكية راقية..

علت وجهها نظرة متعالية مقية ثم أردفت:

- أرجو ألا تسيء فهمي! ولكن هذه الأمور تصنع كل الفرق.. وأنت -أيها الملك- ألم تقع في الحب من قبل؟ أظن أنه لم يكن لديك الوقت لتجد الحب بكل هذه الأجداد التي صنعتها..

سيناجنين مملكة عظيمة على مر العصور ولكنها لم تكن يوماً
أعظم..

- بلى أحببت يوماً، ولكنني كنت صغيراً حينها فلم يستمر
الأمر.. كان هذا منذ عهد أحسبه بعيداً جداً.. ولكنني أظن أن
المرء لا يحتاج إلى وقت حتى يقع في الحب.. فعندما تحبين لا
يحتاج الأمر في أحيان كثيرة إلى أكثر من نظرة.. تلك الشرارة
التي تتوهج في قلبك فإما تنطفئ مع الوقت.. وإما تزداد سعيراً.. إن
استمرار الحب هو الذي يحتاج إلى بذل مجهود ووقت؛ لا الوقوع
فيه.

- تزداد سعيراً! إنه وصف أليق بالفراق يا مولاي..

كانت نبرة صوتها عادية، ولكنها رفعت عينيها إليه لترى وقع
كلامها عليه.. والله ما رأته! ذلك الطيف في عينيه.. طيف الحنين
والشوق.. طيف الصباية واللوعة.. ذاك الطيف الذي تعرفه أي
امرأة خاصة عندما يتعلق الأمر بمن تحيك شباكها حوله.

عندما انتهى العشاء بعد منتصف الليل بقليل.. كان الملك أكثر
وجوماً وصمتاً.. اصطحب الخدم الضيوف المتعبين إلى مهاجعهم
واحدًا تلو الآخر، فلم يبق في القاعة سوى رهان وحران.. لاحظ
حران وجوم صاحبه الذي عرفه منذ كانا طفلين صغيرين ولكنه
لم يدر كنهه..

- مولاي.. هل حدث خطب ما؟ هل أزعجك شيء؟

- أشعر فقط بالحاجة إلى هواء بارد منعش.. إن الجو خانق
هنا.. سوف أخرج قليلاً.. لم لا تصحبني لتمشي قليلاً؟ ولكن
دون أن تكثر من «مولاي»



- هذا من دواعي سروري يا مولاي..

ترددت ضحكات حُران الصاخبة في البهو -الذي يكاد يكون خالياً إلا من قليل من الخدم- مناكفة لصاحبه.. هذه اللحظات التي يعودان فيها بالزمن هي الأحب إلى قلب رُهان.. كم يشتاق إليها.. حينها كان هناك كثير من الضحك والسخرية من كل شيء بينهما، ولكنها اختفت تدريجياً مع توليه العرش ومهام الحكم إلا لماماً.

خرجنا من القصر معاً.. اصطدم هواء الليل المتجمد بوجهيهما.. امتلأ رُهان بالحبور وزالت عنه أحزانه دفعة واحدة.. لطالما أحب هواء سينامجنين البارد.. إنه لا يشتكي من الصقيع أبداً.. مشياً بجوار بعضهما صامتين حتى قطع حُران الصمت..

- هل أعجبتك؟ أجدها مناسبة.

- من تقصد؟

سأله في خبث كأنه لم يفهم ما يرمي إليه.

- من حدثها وغازلتها طوال الأمسية وتبادلت معها الضحكات والنظرات..

ضحك رُهان وجلجل ضحكه في سكون الليل المطبق.

- نعم.. إنها جميلة وذكية ولكنها متغترسة تماماً كما يقال عنهم.. نعم يبدو أنها تصلح زوجة مناسبة.. ففي الواقع لن يضر ملكة المستقبل كثيراً من الغترسة والتعالي.



احتار حُران في أمر صاحبه.. أهو يمدح الأميرة أم يذمها؟
ورأى رُهان حيرته فابتسم قائلاً:

- أنت لا تمل.. وكأنه أمر قد أوصتك به أمي قبل موتها لولا
أنها ماتت وأنت بعد في الخامسة لشككت في ذلك حقاً.. لو
أنها حية ما فعلت أكثر مما تفعل أنت.. ولكنك على حق إنها
أكثر من مناسبة خاصة في هذه المرحلة.. فليس هناك أفضل من
الزواج لتوطيد علاقات الملكتين..

عندما أراد حُران الرد على صاحبه.. أشار إليه رُهان بالصمت
وأصاخ السمع.. فقد ظن أنه يسمع حفيف ثوب يقترب في
سكون الليل المطبق..

- أظن أن أحدهم يقترب.. التفت حُران لسمع صوت
الحفيف ثم انشق سياج الشجيرات الذي يحيط بالممر الذي يمشيان
فيه لتخرج منه امرأة.. عرفها رُهان من ثوبها الأزرق الذي لمح
وهي تخرج اليوم مسرعة من البهو إنها مخطوبة نمار.. جفلت المرأة
عند رؤيتهما وتسمرت في مكانها.. كان الظلام حالكاً فلم يجعل
من السهل تبين ملامح المرأة لولا سقوط نور البدر على جزء من
وجهها..

- عذراً.. لقد ضللت الطريق إلى القصر..

تكلمت في اقتضاب ثم أسرعت متجهة إلى القصر..

- أليست هي مخطوبة نمار؟ هل كانت تتجسس علينا؟

التفت حُران إلى صاحبه الذي بدا وجهه ممتعاً وهو ينظر محققاً

في الظلام حيث اختفت المرأة فأردف قائلاً في قلق:

- رُهان؟! -

- ألم تبين ملامحها؟ عينيها؟

- رأيتها رؤية عابرة.. إن الظلام حالك ولكنها جم...

- إنها هي يا حُران..

- نعم.. طبعاً إنها هي مخطوبته التي أحدثت الجلبة على العشاء..

- لا لم أقصد هذا.. إنها موان.. موان يا حُران..

* * *



ضحك حُران في دهشة مفتعلة..

- ما الذي تقوله؟ إن لها اسماً آخر.

- لا يهمني اسمها.. إنها هي.

- كيف لك أن تجزم؟ لقد لمحتها والظلام حالك!

- لقد رأيته.. انعكاس القمر على وجهها.. عينيها.. صوتها.. إنني أعرفها كما أعرفك.. لا يمكن أن أخطئها حتى بعد تلك السنين..

- ولكنها لم تعرفك!

- ماذا تقصد؟

- أياً كانت تلك المرأة لا تبدو لي أنها تعرفت عليك.

- إنها هي.. موان.. تلك العينان التي أقضت مضجعي.. هي لا محالة..

صاح في صاحبه في غضب بسبب نظرة عدم التصديق التي ارتسمت على وجهه ثم انطلق إلى القصر عائداً لعله يلحق بها تاركاً حُران يحدق في الظلام في وجوم ودهشة.. إلا أنه عندما دخل البهو لم يجد له أي أثر..

عندما نزل إلى مائدة الإفطار في اليوم التالي مسرعاً ليتأكد

من صدق ما رأى، إذ إنه عندما لحق بها إلى القصر ليلة أمس كانت قد اختفت.. خاب ظنه فلم يجدها جالسة على المائدة.. انتظر نزولها في ترقب وهو غير قادر على تناول الطعام.. ولكنها لم تأت.. ظهر نمار الذي بدا لعينه اليوم أكثر وسامة وبغضاً لسبب ما، ثم جاءت أريانا التي اتخذت لنفسها مقعداً بجانبه.. حاولت التحدث معه، ولكنه كان منشغلاً عنها شارداً بالذهن، فكفت عن محاولاتها وتناولت طعامها في صمت، وإن بدت متعكرة المزاج.. عندما فقد كل أمل في حضورها سألت أريانا بغتة:

- لماذا لم تنزل صاحبتك؟

أقلت منه السؤال رغماً عنه وعندما أدرك مدى غرابته أردف:

- أخشى أن تكون قد أصابت نفسها البارحة عندما تهشم الزجاج..

دهشت قليلاً لسؤاله المباغت، ولكنها قبلت تبريره وظنت أنه يحاول فتح حديث معها بعد أن صدها أكثر من مرة.

- إنها بخير.. ولكنها فضلت تناول الطعام في غرفتها..

عندما حاولت الاستطرد في الحديث عن أمر آخر صدها مرة أخرى، فقامت من فورها وقد بدا عليها الانزعاج الشديد والغضب.

عندما انتهى الجميع من تناول فطورهم.. استعدوا لمغادرة القصر والانطلاق في رحلة صيد في غابة لينودام كما حدّد من قبل حسب برنامج اليوم.. أجهد فكره ليتذكر البرنامج المعد للنساء، ولكنه لم يتذكر لأنه عهد إلى راما بتنظيم البرنامج الخاص بضيافة



النساء، ولم يهتم بمعرفة تلك التفاصيل وكم شعر بالأسف الآن..

كان الوقت قد حان للانطلاق في الرحلة والجميع في انتظاره ولم يكن لديه الوقت الكافي ليرسل في طلب راماء.. نخرج مكرهاً مضطراً إلى الجمع الذي ينتظره وركبوا جيادهم في اتجاه الغابة.

وعندما وصلوا إليها وقفوا على حافتها مدهوشين.. فالغابة التي لا تكسوها الثلوج -حتى وإن كانت تنزل بغزارة في المملكة- وقفت أمامهم شامخة بأشجارها ذات الأوراق الذهبية الساحرة المميزة وأزهارها الوردية الجميلة.. كان منظرها مهيباً فاتناً يجبس الأنفاس ويأسر الألباب.

وقف جنديٌ يتلو عليهم من رق قواعد المسابقة -البسيطة والصارمة- التي أقيمت على شرف ضيوف المملكة ترحيباً بهم:

يفوز من يأسر أكبر حيوان.. غير مسموح بقتل حيوانات الغابة.. غير مسموح بقطع أشجارها ذات الأوراق الذهبية والمسماة بالكيوان.. وقفت الفرق الأربعة المشاركة في المسابقة جنباً إلى جنب.. فريقان من كل مملكة وكل فريق مكون من رجلين.. الفريق الأول مكون من رهان وحران.. الفريق الثاني مكون من نمار ورجل يلبس خوذة لا يظهر منها سوى عينيه، وقد بدا غريباً أن يضع خوذة حرب على رأسه في مسابقة للصيد.. والفريقان الأخيران من أربعة رجال.. اثنين من كل مملكة.. اصطفوا جميعاً في صف واحد بمحاذاة الغابة استعداداً لبدء المسابقة.. عندما سمع رهان الرجل صاحب الخوذة يتحدث مع نمار هامساً:

- لا أعرف كيف تفوت أريانا هذه المغامرة الرائعة من أجل



عرض راقص سخيف..

التفت رُهان إلى مصدر الصوت الهامس، وقد أجمته الدهشة فلم يكن ظاهراً من خوذة الجندي الذي تغطي وجهه كاملاً غير عينيه، ورغم ذلك تعرف عليهما.. عينان عسليتان واسعتان ذات أهداب سوداء طويلة تطل من تحت الخوذة.. عينان عشقهما منذ سنين طويلة تطلان اليوم باسمتين لرجل آخر غيره.. سرت نار حارقة في جسده تنبعث من صدره فتلهب كل ذرة في جسده وأحس أن العالم كله يدور من حوله بسرعة كبيرة دون توقف.. إنها هي! تتنكر في لباس الجنود وتلبس خوذة تغطي وجهها.. هل تفعل ذلك حتى لا يتعرف إليها؟ وكأنه تلقى ضربة بهراوة على رأسه أفقدته وعيه وجعلته غير قادر على استيعاب ما يحدث.. بحق الله العلي لماذا تقف بجانب نمار وتبتسم له؟ ألم تكن تقف بجانبه آنفاً؟ ألم تكن هذه الابتسامة ملكاً له البارحة تنير قلبه؟ كيف حدث هذا؟! أفاق من أفكاره على أصوات الأبواق تنطلق معلنة بدء المسابقة، ولكنه ظل متسماً في مكانه لا يبرحه حتى جاءه صوت حُران:

- مولاي.. هيا بنا الجميع قد ذهب.. كان حُران يتقدمه ببضع خطوات وهو ينظر إليه في قلق لما كان على وجهه من شحوب وامتعاض.

دخلا الغابة معاً وهو لا يشعر بالأرض تحت قدميه.. منطلقاً كالأعمى لا يبصر أمامه، انهال بسيفه على الأغصان يقطعها دون وعي منه.. رفع سيفه ليهوي به على شجرة عظيمة أمامه.. اعترضه سيف حُران ليقطع عليه الوصول إليها، ولكنه رفع سيفه مرة أخرى في تحد واضح.. صاح حُران:



- رُهان.. ما الخطب؟

نظر إليه بعينين خاليتين وكأنه يفتق من الانغماس في أفكاره..
اكتسى وجهه بالغضب ونظر إلى حُران شزراً.. فقال حُران مفسراً
بصوت أهدأ وأخفض:

- إنها شجرة كيوان يا مولاي..

أدرك أن الملك لسبب ما لا يرى ذلك

- حقاً! إنني آسف لذلك.. شكراً لك.. لم أكن في وعيي..

- نعم لاحظت ذلك إذا ما الأمر؟ تبدو.. تبدو شارداً ذهن
وكانك في عالم آخر.

- إنها هي.. لقد رأيتها مرة أخرى وسمعت صوتها.. موان بعد
كل هذه السنين!

- متى؟ لم تنزل الفتاة إلى مائدة الإفطار.. أنا متأكد..

شعر بالغيظ منه وقد ظهر من حديثه أنه ما زال لا يصدق،
ولكنه تجاهل الأمر.. قال موضحاً له:

- هي تلبس لباس الفرسان.. ذلك الرجل مع نمار ما هو إلا
موان

- الجندي الذي يلبس خوذة تغطي وجهه.. كيف؟

- رأيت عينيها وسمعت صوتها وأعلم أنك لا تصدق ولكنها هي..

أسند رُهان ظهره إلى الشجرة، وكأنه يستند إليها حتى لا يقع من هول الأمر، وتحدث وكأنه يهمس لنفسه:

- تتخفى وراء خوزة.. لماذا؟ لكي لا أتعرف إليها؟ سحقا..

نظر إلى الغابة بأشجارها ذهبية الأوراق، وينابيعها الدافئة التي تتدفق مصدرة خريراً محبباً إليه، طالما كان مصدراً لسعادته وأنسه وزوال أحزانه، لكنها تبدو الآن موحشة لا جمال فيها يؤنسه، ولا راحة فيها لقلبه المضطرم.. اكتسى وجهه بالألم واليأس.. أشفق عليه حُران ولم يشأ أن يجادله طويلاً، فقال مغيراً الموضوع في سخرية، وفي لهجة موحية:

- أعلم أنك لا تهتم بهذا الأمر الآن.. ولكنني لن أسمح لنمار بالفوز في هذه المسابقة أبداً..

مد له ذراعه وفهم رُهان الرسالة المبطنة لكلامه، فشبك ذراعه في ذراع صاحبه وقام واقفاً وهو يقول:

- ولا أي معركة أخرى.. أديك خطة؟

- قطعة لحم طازجة تخرج الضواري.. ما رأيك؟ أخرج قطعة من اللحم الطازج من جرابه الذي يحمله الذي يبدو أن الخدم قد أعدوها له لهذا الأمر.

- مسكين يا حُران.. أدخلها في جرابك لا حاجة لنا بها.. إن أعتى وأكبر المخلوقات هنا ليست في حاجة إلى قطعة اللحم خاصتك.. اتبعني.. ابحث بالقرب من الأشجار عن كرة من الفراء الناعم..



غابة لينودام المليئة بمخلوقات شتى لا يعلمها كثير حتى هو نفسه على الرغم من أنه قضى فيها سنيناً طويلة من حياته متجولاً فيها مستكشفاً إياها.. كتب كثيرة تتحدث عن تلك المخلوقات الرائعة بعضها رآه بنفسه، وبعضها لم يحالفه الحظ في رؤيتها وبعضها ما هو إلا محض خيال الكاتب.. سأله حُران:

- ما لونها؟

- لا أعرف تحديداً.. ربما سوداء أو بنية اللون.. لست متأكداً قرأت عنها في الكتب، ولم أرها من قبل.. نظر إليه حُران متشككاً، فقال له:

- ثق بي..

ظلا يجثان طويلاً وكأنهما يجثان عن إبرة في كومة قش حتى صاح حُران:

- انظر هنا.. أظني وجدت شيئاً.. هل هذا ما تقصده؟

أشار إلى كومة من الفراء البني الفاتح بدت كأنها وسادة صغيرة ملتصقة بجذع أحد الأشجار قريباً من جذورها وكأنها نتوء يخرج منها..

- نعم، أظن هذا ما نبث عنه..

- تبدو ناعمة، ولكني لا أخفيك سرّاً لست أفهم كيف تكون تلك من أكبر مخلوقات الغابة!؟



ابتسم رُهان في ثقة:

- انظر..

استل خنجراً صغيراً من غمده وونخز به كرة الفراء، ولدهشة حُران تحركت على طول جذع الشجرة أرجل كثيرة على جانبي ما يبدو مثل جسد يبلغ عرضه ذراعاً تقريباً، وقد كان ملتحمًا ومختفياً في الجذع فلا يرى إلا بعد هذه الحركة المتسلسلة للأرجل التي تشبه الموجة العملاقة حتى انتهت في أعلى الشجرة، ويصل طولها إلى خمسة أمتار أو أكثر!

- ما هذا؟

- دودة التيفاني.. تعيش متطفلة على الأشجار تغرز أرجلها الكثيرة على طول الجذع وتمتص الغذاء منها، ولكن بالقدر الذي لا يؤذي الشجرة..

- جميل.. ولكن كيف ستخرجها من الغابة أصلاً ناهيك بأن تخرجها دون أن تؤذيها؟

- لا تقلق.. لم أكن لأكلف نفسي عناء البحث عنها إن لم أكن أعرف الطريقة المثلى لإخراجها..

رفع سيفه وضرب به طرف الحشرة فقطعه وبيطء تحركت الدودة وضمت الطرف المجروح إلى داخلها والتفت على نفسها كبكرة الخيط.. أمسك رُهان بذراع حُران وجره بعيداً قبل أن يسقط قرص بني خشن كالصخرة من أعلى الشجرة قطره قرابة المترين محدثاً صوتاً عالياً.. نظر حُران إلى القرص الضخم الذي كاد أن يسقط فوقه:



- لقد كان هذا وشيكًا.. يبدو أن ساعات مكوثك في المكتبة قد أثمرت أخيرًا.. بدا على حُران الدهشة وهو الذي عُرف عنه كرهه للقراءة والكتب.

- نعم.. على الرغم من أنهم لم يحذروا من هذا الهبوط المدوي.. هيا ساعدني على حمل هذا القرص خارج الغابة.. فقد أوشكت الشمس على الغروب..

كان القرص ضخماً وثقيلًا ومليئًا بالأشواك -تبدو أنها وسيلة لدفاع الحشرة عن نفسها عند شعورها بالخطر- مما جعل حمله إلى خارج الغابة مهمة صعبة ومليئة بالجروح والندوب..

عندما وصلا إلى حافة الغابة وجدا أنهما آخر الواصلين إليها.. تحلق القوم حولهما بمجرد خروجهما من الغابة..

- كاد الوقت أن ينتهي..

كان المتحدث أحد أعضاء لجنة التحكيم وكان رجلًا قصيرًا ذا لحية حمراء من مملكة ليموراس.. وكان هو المسؤول عن عرض الحيوانات على لجنة التحكيم المكونة من حكّمين من مملكة سينامجنين وحكّمين من مملكة ليموراس الذين سيصوتون دون أن يعلموا من صاحب كل مخلوق لضمان نزاهة التحكيم..

نظر نمار بسخرية إلى القرص الضخم الذي يشبه الصخرة..

- وما هذا؟ لا شك في كونه ضخماً، ولكن لا أظن -وصححوا لي إن كنت مخطئاً- أن يكون حيواناً!



- إنه حيوان..

تحدث رُهان في برود دون أن ينظر إليه، وعمد إلى أطول شجرة قريبة على حافة الغابة، ووضع القرص الضخم بقربها ملامساً لها..

نظر حُران إلى القرص الساكن تحت الشجرة وشعر بالقلق.. هل سينجح رُهان في إعادة هذا المخلوق إلى الحال الذي كان عليه في الغابة؟ أم أنهم سيصبحون محط سخرية الجميع؟

- يجب أن ننتظر قليلاً حتى يستشعر الشجرة.

تملأ الجمع وهم ينتظرون شيئاً لا يعرفون كنهه، وينظرون إلى تلك الصخرة البنية الصماء ذات الأشواك، حتى إن حُران بدأ يشعر بالملجأ.. إلا أنه بعد مرور دقائق معدودة اهتزت الصخرة، وبدأ لها ما يشبه الرأس وفيها خمسة أعين تتحرك في اتجاهات عدة، والتصقت بالشجرة وفردت جسدها على الجذع، وثبتت أرجلها الكثيرة، وزحفت على طول الشجرة وسط دهشة الجميع الذين رفعوا رؤوسهم عالياً متابعين المخلوق الغريب ومتسائلين إلى أي مدى يصل طوله..

زفر حُران مطمئناً وهو يشعر بالزهو بعد أن كان يجلس أنفاسه خوفاً من خزي الهزيمة.

- إنها حقاً عظيمة الطول..

كان هذا هو الرجل الليموراسي ذا اللحية الحمراء..

حدجه نمار بنظرة جانبية قاسية فأردف في ذل:



- ولكن الأمر في النهاية يرجع إلى قرار لجنة التحكيم.

جاء الحكام الأربعة الذين كانوا يقفون في منأى عن كل هذا حتى لا يعلموا من هو صاحب كل حيوان.. كان نمار قد أسر أسداً برياً ضخماً في ججم البقرة.. وإحدى الفرق أسرت طائراً ضخماً بديع الألوان ذا منقار طويل، يصل طول منقاره إلى ذراعين.. والفرقة الأخيرة لم تنجح في أسر أي من مخلوقات الغابة..

احترار الحكام بين الحيوانات الثلاثة الضخمة فمن بينها الأشرس إلا وهو الأسد البري.. والأجمل وهو الطائر البديع، ولكنهم أجمعوا أن الأضخم والأكبر من بينها هي الدودة التي يصل طولها إلى خمسة أمتار وعرضها ذراع تقريباً، وقد كان هذا هو شرط المسابقة الوحيد (يفوز من يأسر المخلوق الأكبر لا الأجمل ولا الأشرس).. عندها أعلنوا فوز الدودة.. تهكم نمار على الحكم كما يتذمر الأطفال عندما لا يفوزون قائلاً:

- تهانينا أيها الملك فقد أسرت دودة رائعة.. أهنتك على الفوز المستحق..

ولكن صوته وملامح وجهه المتهكمة كانت أبعد ما يكون عن التهنئة.

- شكراً لك أيها الأمير.. إننا هنا في مملكتنا لا نقبل بغير الفوز.. إننا لا نفوز لأننا الأقوى فقط بل لأننا الأكثر حكمة وعدلاً.. إننا لا نسهه من أي مخلوق سواء كان ضعيفاً أو قوياً..

كان الملك يتحدث إليه هادئاً غير عابئ بتهكمه، وهو يتكلف ابتسامة متعالية على وجهه.. تحركت عيناه رغماً عنه نحو الفارس



ذي الخوذة الذي كان يقف على بُعد خطوات وراء نمار..

التقت عيناه بالعينين العسليتين الواسعتين اللتان تطلان من تحت الخوذة وتستمعان إلى حديثه قبل أن يشيح بنظره سريعاً، وهو لا يدري إن كان نمار قد لمح خائنة عينه تلك أم لا.. حيَّاه نمار بإيماءة متغترسة واستدار، وتبعه الفارس ليمتطيا جواديهما..

سرت نار حارقة في جسده وهو يشاهدهما يغادران معاً وتساءل في نفسه: متى سيعتاد الأمر؟

كان حُران يراقبه في حذر بعينين ثاقبتين مشفقتين عليه:

- مولاي.. يجب أن نتحرك حتى نلحق بالمجلس المسائي قبل مائدة الغداء.

- نعم.. هيا بنا.. ربكا جواديهما وانطلقا كالبرق يسبقان الجميع، ولكن في منتصف الطريق تخطاهما فرس يرفرف فوقه شعر أسود طويل يعرفه رُهان حق المعرفة!

* * *



وصلا إلى القصر وانطلقا معاً للحاق بمجلس الحكماء الذي ينعقد يومياً، ويجتمع فيه الملك مع وزرائه والمسؤولين الكبار في دولته والخبراء والحكماء في مختلف المجالات، لمناقشة القضايا المختلفة في المملكة واتخاذ القرارات المهمة..

كان الصمت ما يزال مخيماً على الملك ووزيره منذ غادرا الغابة.. وكان رُهان يحاول جاهداً إبعاد طيف موان عن خاطره بالتفكير في أمور شتى، ولكنه ما يلبث أن يطفو مرة أخرى على السطح مرة تلو الأخرى إلى أن استسلم للاسترسال في خواطره عنها، مما زاده غمّاً فوق غم.. فتارة يراها وهي تضحك، وهما يجلسان معاً في الأجمة القريبة من بيتها، ويسترسلان في الحديث معاً عن ماضيهما.. وتارة أخرى يراها وهي تودعه باكية عندما يقرر استكمال سفره وترحاله، وتأخذ عليه العهود ألا تطول غيبته.. ثم يراها وهي تستقبله والبشر يزين وجهها عند عودته إليها، ثم ما تلبث أن توخره بسهمها الذي تحمله معه للصيد، لأنه قد تأخر في عودته، فيفر راکضاً خوفاً من ثورتها لتلاحقه وهي تهدده وتوعده..

موان حبيته التي عشق عينيها العسليتين وغرق فيهما.. تقف الآن إلى جانب رجل آخر وتبتسم له.. وكأن ألف خنجر يمزقون قلبه.. قطع حُران الصمت وهما يهرولان معاً في ردهات القصر إلى حيث ينعقد المجلس والنيران البنفسجية تراقص في الأخاديد والمشاعل فتضفي على وجهيهما ظلالاً داكنة.

- انسها يا رُهان ولا تعذب نفسك.. أنت تعلم أنه لا فائدة من

الأمر برمته.. يجب أن تواجه الأمر.. لقد اختارت حياة أخرى
ورجلاً آخر.

- كدت أفعل لولا أنها ظهرت من العدم في قصري.. الآن بعد
كل هذا البحث والمشقة.. تنشق الأرض وتخرج منها كما انشقت
من قبل وبلعتها.. كان صوته مشحوناً بالسخرية والمرارة التي
تشوبها القسوة.. قسوة يعانها ويكابدها.

- إذا تعامل كأن شيئاً لم يكن.. كأنها لم تظهر أبداً.. امض في
حياتك وانس الماضي كما فعلت هي.

- أريد أن أعرف يا حُران.. أريد أن أعرف الحقيقة.. لماذا
اختفت؟ ما الذي حدث؟ كيف تجرؤ على الظهور هكذا وهي لا
تبالي و.. وكأن شيئاً لم يحدث؟ وكأنها لم تعرفني يوماً؟ ألم تخش
غضبتي؟ أين كانت كل هذه السنين؟ لقد بعثنا في كل الأمصار
والبلدان برسلاً بحثاً عنها؟ كيف لم ترسل ليموراس لنا بالأمر؟

- لقد توقفت عملية البحث منذ عهد ليس بقريب.. ثم ماذا
سيحدث بعد أن تعرف الحقيقة؟ لن يغير من الأمر شيئاً.. ما
الذي يفيدك أن تعرف متى وكيف ذهبت إلى ألد أعدائك
وارتمت في حضنه؟ ألا ترى كيف تتجنبك وتتعامل كأنها لم
تعرفك يوماً؟ حتى إنها تخفي نفسها منك! ألا يدلك هذا على شيء
عنها؟ الأمر بسيط وواضح.. وجدت صفقة رابحة فاستغلتها ولم
تضيعها.. قصة مكررة منذ الأزل.. لا تتعب نفسك في النبش عن
أمر قد تزيد أملك؟ انسها وامحها من ذاكرتك كما فعلت، فإنها لا
تستحق البكاء عليها.. حمداً لله أنه أراك إياها على حقيقتها.. امض
قدماً في حياتك.. لعل ما يحدث الآن هو خير لك حتى تقلب
هذه الصفحة للأبد..

كانا قد وصلا إلى باب القاعة.. وضع رُهان يده على المقبض ولكنه توقف والتفت إلى صاحبه وكرر سؤاله في غضب مكتوم، والحنق يزيد داخل صدره مع كل كلمة ينطقها:

- كيف تجرؤ على القدوم هكذا وكأن ما كان لم يكن يوماً؟!!

لم يجد حُران هو الآخر الإجابة المناسبة على هذا السؤال، ولكن حُران الذي كان يخشى على إبرام المعاهدة مع ليموراس لم يكن ليسمح لشيء أن يفسد الأمر فأكل مبرراً:

- لا أعلم.. ولكن هكذا هن النساء.. من قال يوماً إنهن يتصرفن وفقاً للعقل والمنطق؟! ربما أرادت أن تغيظك حتى تعلم أنها ستصبح ملكة ليموراس.. لا أعلم حقاً! ولكن كيد النساء قد يصل بهن للجنون في وقت ما..

هز رُهان رأسه وحرك مقبض الباب ليدخل القاعة، وهو يفكر أنه ربما كان حُران مصيباً.. ولكنه ما يزال يجد الأمر غريباً وجنونياً.

وعندما انتهى الاجتماع الذي لم يستمر طويلاً هذا اليوم حتى لا يضطر ضيوف الملك للانتظار على مأدبة الغداء الأولى لهم في المملكة.. فألم الملك ووزيره سريعاً بموجز لأهم الأنباء والتطورات في المملكة، وبتوا في الأمور التي لا تحمل التأجيل، ثم انطلقوا جميعاً إلى المأدبة..

خاب أمل رُهان مرة أخرى عندما لم يجدها على المأدبة، ولكن شعوراً بالارتياح على الرغم من ذلك سرى داخل قلبه، فلم يعد مضطراً لمشاهدتها مع نمار على الأقل.. الذي لسبب ما

اختار أن يجلس في منتصف المائدة بين رجاله عوضاً عن جلوسه عن يمين أبيه كما اتفق اليوم السابق.. وبدلاً منه احتلت أريانا مقعده.. وبعد أن تناولوا الغداء اللذيذ الذي أبدع فيه هنتار، وكان مكوناً من لحم مشوي وعصائد طيبة المذاق وفتائر مختلفة الأشكال والأحجام.. وعندما حان وقت تقديم الحلوى التي حملتها الطيور في سلات بديعة مزينة بالورود وأنزلوها بخفة أمام الضيوف، وكانت كعكة شبيهة لها رائحة اللبن والعسل، مليئة بقطع الفواكه الغريبة، اعتذر الملك ريبيل عن تناولها لشعوره بالامتلاء وحاجته إلى الراحة وغادر القاعة وهو يتدحرج كالكرة، واستغلت أريانا الفرصة لتقترب من رُهان أكثر وتحتل مقعد أبيها.. قضمت قطعة من كعكتها في استمتاع وحركتها في فمها ببطء..

- لديكم طباخ رائع.. ما أحلى هذه الكعكة؟ ولكن الأكثر روعة هو قدرتكم على تدريب الطيور بهذا الشكل المتقن.. كم أجد الأمر بديعاً.. إنه لأمر استثنائي بحق.. هل تستطيعون التحدث معها؟

- ذلك أمر توارثته الأجيال في سينامجنين.. لا نعلم متى بدأ تحديداً ولكنه قديم جداً.. ولكن قلة من السينامجنين من يستطيعون التحدث مع الطير وفهم لغتهم.. نعم.. معظمنا يستطيع تدريبها وجعلها طيعة.. ولكن قلة قليلة من الموهوبين من لديهم القدرة على فهم لغتها والتحدث إليها.. عندما انتهى من حديثه تبادر إلى سمعهم صيحات وصخب كان يحدثه نمار ورجاله، وقد بدا عليهم السكر لأنهم أسرفوا في الشراب.. أحس بالاستياء الشديد وهو ينظر ناحيته.. استياء لم يكن له علاقة بما يحدثه الآن من جلبة على الرغم من سخفها.. أشاح بوجهه عنه في غضب وكان أريانا قد لاحظت تغير وجهه فقالت في لطف:

- لا يكف نمار عن الاحتفال.. أينما كان؟ تملل رُهان في مقعده وانتهاز فرصة حديثها عن أخيها، فقال وهو يزم شفثيه وكأنه يحزر:

- لعله منزج بسبب غياب مخطوبته..

التفت إلى أخيها وشاهدته وهو ينفجر ضاحكًا، ويتبعه رجاله في الضحك كالحمقى، وهي تفكر أن حال أخيها أبعد ما يكون عن الانزعاج، وأردفت:

- منزج! على الرغم من أنني أعلم مدى حب نمار لسيتورا.. فإن أي أحد يعرف نمار جيدًا لن يقول بأنه قد ينزعج -أخي العزيز- لغياب أحدهم حتى العزيزة سيتورا.. كانت نبرة التهمك جلية في آخر كلماتها.

- سيتورا.. هل هذا اسمها أم أنه لقب؟ تمنى أن يبدو سؤاله عابراً.

- لا إنه اسمها.. لم يشأ أن يسأل مزيداً عن هذا الأمر حتى لا يلفت نظرها.

- لماذا لم يتزوجا؟ تمنى ألا تشعر بالحيوية التي دبت في صوته منذ تحول الحديث إلى موان..

- أخبرتك من قبل.. لقد مانع أبي هذا الزواج كثيراً.. ولكن لا أظن صراحة أن هذا هو السبب الوحيد ربما الأقوى، ولكنه ليس الوحيد.. ربما ليس هناك ما يدفعه لإتمام الزواج..

رفعت حاجبها ومطت شفثها وكأنها تتساءل، ثم ضحكت

في خبث وبدت مستمتعة بالنيمة.. أشاح بنظره عنها وتظاهر بالانشغال بالحديث مع أحد الخدم، وإن كان قد فهم تلييحها فسرت نار حارقة في جسده وقلبه.. لعل حُران كان محقًا.. ما يسعى لمعرفة لن يزيده إلا ألمًا ونارًا مستعرة.. في هذه اللحظة حط على كتفه طائر أسود ضخم له رأس أبيض كثيف الريش، يمتد منه خط أبيض رفيع على جسده الداكن يصل حتى ذيله.. حك الطائر رأسه الأبيض في وجه رُهان فابتسم الملك:

- ماونتي.. لقد عدت من الصيد.. اشتقت إليك.

- ما أجمله.. هل هو طائر ك؟

مدت يدها تريد أن تربت على رأس الطائر، ولكنه حرك رأسه بعيدًا عنها وعندما حاولت مرة أخرى.. فتح الطائر منقاره على اتساعه محاولًا عضها إلا أن رُهان تصرف سريعًا وأمسك منقاره.

- تأدب يا ماونتي.. إنه صديقي.

- يبدو متوحشًا.. بدت غاضبة من فعلته.

- ربما قليلًا.. إنه لا يحب أن يلمسه أحد غيري..

أشاحت بوجهها في تعالٍ وشمخت بأنفها عاليًا.

- هيا اذهب الآن يا ماونتي.. أرجو أن تبيت الليلة في عشك لا في الغابة..

حك الطائر رأسه مرة أخرى في وجهه قبل أن يخلق في البهو.. بدت أريانا مرتاحة لرحيل ماونتي، وحاولت الاستحواذ على



انتباه رُهان ثانية.

- إن الشراب لديكم رائع وطيب المذاق.. ولكنني أتعجب كيف لا يوجد خمر على موائدكم؟

لقد أثار ذلك حفيظة نمار بشدة، وهو الذي لا يستغني عن الشرب، وقد أحضر معه بعضاً منه بالطبع، ولكنه يخشى نفاذه سريعاً فهو لم يتخيل ألا يوجد هنا.. حركت شعرها الكستنائي في دلال:

- ملوك سينامجنين لا يشربون الخمر.. إن حليفي الأول هو عقلي ولا أقدر أو أتخيل أن أتخلى عنه بضع دقائق فما بالك ببضع ساعات.. علمني آريوس أن الرجل والملك الحق هو من يملك نفسه قبل أي شيء آخر.. كان الخمر ينزل في مناسبات قليلة منذ أيام أبي الذي علمني ألا أستسلم له.. ولكنني عندما توليت الحكم منعت نزوله على مائدتي، فإني أحب أن أتمتع بصحبة ضيوفهم واعون يقظون.

- يمكن للمرء أن يشرب دون أن يفقد عقله.

- هذا واضح تماماً..

شخص بنظره إلى أخيها الذي كان مستلقياً بوجهه على المائدة وهو يضحك بهستيرية ممسكاً ببطنه من شدة الضحك..

ارتبكت قليلاً وهي تعي ما يرمي إليه وصبغ وجهها بحمرة النجل من أفعال أخيها، فزاد جمال وجهها الفاتن ولمعت عيناها الزرقاوان كالسماء الصافية.. إن أريانا تتمتع بجمال أخاذ يأسر العيون والألباب.. وحتى تتخلص من حرجها مدت إليه يدها



بالكأس الذي تشرب منه.

- على الرغم من كل شيء فهذا الشراب الذي تصنعونه رائع المذاق.. يجب أن تذوقه يا مولاي.. لعل كأسى أشهى من كل الكؤوس الأخرى..

كان الغنج والدلال يطلان من زرقة عينيها الجميلتين دون موارد.. أمسك رهان بالكأس من يدها ورفعها إلى شفثيه، ولكن قبل أن يلمسها ابتسم قائلاً:

- هل تعلمين؟ لا أحب أن أكثر من الشراب قبل النوم وأعرف طعمه جيداً.. كان يعلم أنه يفرغ فيها إحباطه وألمه بفجاجة، ولكنه ظن أنها تستحق ذلك.. فقليل من التواضع سيفيد الأميرة الفاتنة في حياتها.. لقد كره نيمتها الخبيثة التي ملأت نفسه كمدًا وغمًا، وكأنه أراد أن يعاقبها على ألمه دون أن يشعر.. أعاد إليها الكأس في برود فج.. وبحركة خفيفة من يدها، وكأنها لم تقصد أوقعت الكأس على ثوبها حتى تهرب من إحراج الموقف..

صاحت برقة وهي تحاول أن تلمم شملها:

- يا إلهي.. لقد فسد الثوب يجب أن أعود إلى غرفتي.. وقد بدأت أشعر بالنعاس.. عذراً يا مولاي.. وودت لو بقيت لأستمع معك ببقية الأمسية.. أراك في الصباح..

تكلفت الابتسام في وجهه رغم كل شيء.. ابتسم لها وأخذ يراقبها في استمتاع وهي تغادر وقد أنهكها أن تبدو بخير غير مبالية بما حدث حتى اختفت وراء باب البهو.



عندما وصلت إلى غرفتها صفت الباب وراءها بكل قوتها..

هبت الخادمة التي كانت في انتظارها لمساعدتها على خلع ثوبها في ذعر.. كانت سيتورا تجلس على أريكة مخرمة زرقاء بجوار المدفأة وهي تندثر بكومة من معاطف الفرو.. سألتها وهي تفرك يديها المتجمدتين وقد قرأت الغضب الشديد على صفحة وجهها:

- إذا كيف مضت أمسيتك؟

- سيئة.. أسوأ من أي شيء مر بحياتي.. إنه لا يلين، وكأنه خلق من حجر.. قالت ذلك وهي تلقي بحذاءها في وجه الخادمة المسكينة المرتعبة.

- صبراً يا أريانا.. إن هذه الأمور تحتاج إلى وقت.. لم نتقابلا إلا من يومين.. ولكنه لن يملك إلا أن يستسلم لجمالك الأخاذ في النهاية.. إنني واثقة.. استطاعت بكلامها أن تهدئ قليلاً من روعها.

- يااه ولكنك لا تفهمين.. كيف تجعلين نمار يقبل التراب الذي تطأه قدماك الكريمتان..

ظهر الحقد جلياً في صوتها ثم أردفت في ضعف:

- لو تعلمين ما فعلت اليوم.. لقد كشفت كل أوراقى ولكنه ألقاها في وجهي بكل وقاحة وغرور.

- قد يكون الأمر ليس كما تظنين.. أحياناً كثيرة لا يفهم الرجال تلميحات النساء.. لعلك تتخيلين ذلك ولا أساس له من الصحة، قد تمكثين بالساعات تتحدثين مع رجل تلمحين وتلمحين،

وهو لا يفكر سوى في الغداء! ماذا سياً كل اليوم؟ لم تكن واثقة مما تقول ولكنها أرادت أن تهون عليها الأمر..

- لعلك محقة يا سيتورا.. إن الأمر يحتاج إلى الصبر.. ولكني لا أخفيك سرًا أنني لا أطيق صبراً.. أرى نفسي وأنا أقف بجانبه في عرسنا وقد لبست تاج سينامجنين أعظم ممالك الأرض.. والجميع ينظرون إلي في حسد.. إنه يفتني بشعره الرمادي المبعثر وعينه السوداوين تحت حاجبيه العريضين.. عندما ينظر إلي بهما أذوب وكأنني قطعة ثلج لفحتها نار حارقة.. يا إلهي!! ولكنك على حق.. سيستلم في النهاية لسلطان جمالي.. في النهاية أين يمكن أن يجد من هي أفضل وأجمل مني؟

بدت على وجهها نظرة حاملة متعالية.

- إذا لا داعي للحزن والغضب..

شردت سيتورا في أفكارها.. ربما لو تزوجت أريانا من ملك سينامجنين سيخفف هذا من غيرتها تجاهها.

- يا إلهي.. كم أشعر بالتعب.. سوف أخلد إلى النوم.. هل ستنامين هنا الليلة أيضاً؟

- نعم.. لقد طلبت من الخدم أن يحضروا هنا سريراً إضافياً.. إنهم حقاً رائعون ويسارعون في تقديم المساعدة.. أشعر بالوحشة ولا أريد النوم وحدي.. والجو هنا في غاية البرودة في هذه البلاد لا أطيقه حقاً.

- سوف أقبل هذه الأعذار وإن كنت أعرف..



قاطعتها بحدة:

- إنك لا تعرفين شيئاً.. اصمتي

ابتسمت أريانا لصاحبته، وهي تفكر أن سيتورا الوحيدة التي تستطيع أن تكلمها بهذه الطريقة دون أن تصب عليها أريانا جام غضبها، وتلحق بها العقاب.. وذلك ليس خوفاً منها أو من سلطان أخيها، ولكنها على الرغم من أنها تظن أنها غير جديرة بأن تكون ملكة لليموراس، فالجمال ليس كل شيء، وكذلك فإنها تفتقد كثيراً من الصفات اللازمة للملكات، ولكن رغم كل هذا فهي تحبها وتحب حديثها وصحبتها.

فكرت في نفسها.. إنها تشعر بالارتياح لعدم حضور سيتورا المآدب أمام ناظري الملك رُهان.. فعلى الرغم من أنها تعلم جيداً أنها تفوق سيتورا جمالاً وفتنة، فإنها لا تستطيع أن تقلل من شأن جمالها وفتنتها التي سحرت بهما أخاها حتى صار كالمجنون، وهو الذي عاش من النساء ما يزيد على عدد شعر رأسه.

بعد أن إحصار السرير من قبل الخدم صبوا في الأخاديد التي تحيط بالغرفة، وفي المدفأة سائلاً أصفر، ليخفض من ضوء النيران، ويزيد من حرارتها بعد أن لاحظوا ارتعاد سيتورا، فغمر الغرفة دفء عميق تغلغل في جسد الفتاتين على الفور.. أطفئت المشاعل وجاء الخدم بحساء ساخن قدموه لسيتورا وأخبروها أنه سيبعث الدفء في جسدها.. وبالفعل ما إن انتهت منه حتى سرى الدفء في أوصالها المرتعدة وغطت في نوم عميق، وإن ظلت أريانا وقتاً أطول مستيقظة وهي ترى نفسها تلبس التاج بجانب رُهان حتى غلبها النعاس وهي سعيدة.

* * *



سرت برودة في جسدها وأخذتها الرجفة.. كانت الغرفة غارقة في ظلام الليل والبرودة بعد أن أطفأت نيران المدفأة والأخاديد في وقت سابق من الليلة.. أحس برجفتها على الرغم من أنه قد نأى بجسده عنها بعد ليلة دافئة..

- عذراً راما.. سوف أشعل المدفأة الآن.. تدثري جيداً حتى يعود الدفء إلى الغرفة مرة أخرى.. أحكم حولها الدثار وهو يؤنب نفسه على إطفاء النيران.

- كم تحب الليل والبرودة يا مولاي.. إنك سينامجيني حتى النخاع..

ضحك في استخفاف، وهو يقوم لإشعال نيران الأخاديد:

- نعم أحبهما.. ولكنك تخلطين الأمور.. فلقد تربيت منذ الصغر على أن أتحمل الصعاب، وكل ما هو شاق على النفس حتى وقعت في حب التحدي..

أضيتت الغرفة ولم يستغرق الأمر طويلاً حتى غمر الدفء الغرفة فالنيران البنفسجية -التي لا يعرف سرها سوى قلة في المملكة- أقوى بعشرات المرات من النيران العادية، ويمكن التحكم في درجة إضاءتها ومقدار ما ينبعث منها من الدفء بصب سوائل معينة فيها لا يعلم سرها سوى قلة في سينامجنين يتوارثون سرها جيلاً بعد جيل، ويمكن أن تشتعل للتدفئة دون الإضاءة (والعكس صحيح أيضاً).

كانت الغرفة فسيحة، وفي منتصفها مخدع عظيم نُحِت من رخام أبيض، كأنه قطعة ثلج وعلى صدره لوحة جميلة من الأحجار الملونة لرجل وامرأة يقفان تحت شجرة كيوان عظيمة، وحولهما طير كثير يرفرف بأجنحته الملونة.. وعلى المخدع حاشية ناعمة ودثار بني سميك من الفرو الناعم.. كثيراً ما يلقي بها رُهان لينام على الرخام الأبيض للمخدع في استمتاع خاصة في الأيام التي يصيبه فيها الأرق.. وقبالة المخدع شرفة فسيحة تطل على غابة لينودام الجميلة بأشجارها العالية ذات الأوراق الذهبية.. كان المنظر يجبس الأنفاس.. وعلى الأرض اللامعة ألقيت فرش حمراء وخضراء.. مدد رُهان جسده على أريكة مواجهة للشرفة مستغرقاً في أفكاره.. في وقت مبكر من الليلة أطفأ النيران في غرفته عليها تبرد من نيران قلبه المستعرة ثم استدعى راماً عليها تبرد من نيران جسده.. ولكن هيات.. لا البرودة ولا راماً فلحاً في تهدئة نفسه المضطربة.. فلا البرودة أطفأت نيران جسده ولا راماً روت عطش قلبه.. إن ما يبحث عنه بعيد المنال ولا يقبع في هذه الغرفة.. ولم يكن يوماً أبعد من ذلك.. قطعت راماً الصمت وحبل أفكاره المسترسل وهي تسند ظهرها إلى المخدع قائلة:

- مولاي هل تعرف ما يدور بين جنبات القصر هذه الأيام؟

انتبه من أفكاره على صوتها.. يحب ثرثرة راماً.. فهي تسليه وتجعل الدنيا أبسط في عينيه.. ابتسم وسألها وقد التفت لينظر إليها من فوق أريكته:

- ماذا يقولون؟

- يقولون أنك ستزوج الأميرة أريانا.. وأن الخطوبة ستعلن قريباً..



قهقهه رُهان وألقى برأسه إلى الورااء:

- يسعدني أن أعرف منهم عن نفسي ما أجهله.. لقد رأيتها منذ
يومين فقط وزوجوني إياها.

- إذا فالأمر غير صحيح؟

- ما رأيك؟ هل أتزوجها؟ هل ترينها مناسبة؟

- أنا... لا أعلم..

شعرت بالارتباك لاهتمامه بمعرفة رأيها ثم أردفت:

- إنها جميلة بل رائعة الجمال.. ولكن..

- ولكن ماذا؟

نظر إليها مشجعاً:

- ولكنها متعجرفة قليلاً..

أسرعت تقولها وكأنها تزيح عن عاتقها همًا تحمله:

- بل كثيراً.. ولكنها ستكون ملكة لا يضيرها قليل أو كثير من
التعجرف..

ابتسم ثم سألها يستحثها على أن تفضي إليه بما في جعبتها، وهو
يعلم حبها للثرثرة ومعرفة خبايا الأمور.



- ولكن هناك أمر آخر يشغل بالك.. أليس صحيحاً؟

اندفعت قائلة:

- ألا تظن أنها حمقاء؟

عضت شفتيها وكأن الكلمة قد أفلتت منها على الرغم من أن رُهان يعلم تماماً أنها لم تفلت بل كانت عن قصد..

ضحك عالياً:

- وهذا صحيح، ولكنها لن تحكم أيضاً..

- إذا فالأمر صحيح.. ستتزوجها؟

- الأمر مطروح.. ربما.

- إذا لماذا ليست الأميرة ليما؟ إنها الأجدد والأجمل.. ألا تظن ذلك؟

- ليما العزيزة أحد الاحتمالات القائمة، وإن كنت أظن أن مشاعري تجاهها لا تتعدى مشاعر الأخوة.. لطالما أحسست أنها أختي الصغيرة لا أكثر.

- ولها أخ شرير..

ارتعدت في خوف وكأنها ترى شبحاً ثم أكلت:

- إنك لا تعرف ما يقال عنه.. فجأة.. تيقظت جميع حواسه



والتفت إليها بكل جسده ليراها بوضوح أكثر ثم سأها، وهو يحاول
ألا يبدو مبالياً كثيراً، وكأنه سؤال عابر:

- ماذا يقصدون بشيرير؟ لا بد أنهم يقصدون غطرسته أم أنهم
يقصدون شيئاً آخر!

بدت مترددة، ولكنها استجمعت شجاعته لما رأت من اهتمام
على وجهه لم يفلح في إخفائه، وقالت:

- لا أدري إن كان هذا هو الوصف الصحيح له.. ولكن يبدو
أن الأمير يستمتع في كثير من الأحيان بتعذيب الجوارى.. هل
تفهم قصدي؟

أوما لها والألم يعتصر قلبه..

- لقد جاء مع الأمير ثلاث من جواريه.. جميعهن يحكين عنه
ما تشيب له الرؤوس.

- لعلهن يبالغن في الأمر.. لعله عنيف بعض الشيء.. أراد أن
يجعلها تفضي بكل ما لديها..

- لا أظن أن الأمر يقتصر على قليل من العنف.. ولا يمكن أن
تكذب الفتيات الثلاث..

التفت عنها مخفياً ملامح وجهه محاولاً أن يبدي اهتماماً أقل،
ولكنه استكمل حديثه:

- وماذا عن مخطوبته؟

شعر بالحرارة تسري في جسده تلهبه.

- الأميرة سيتورا.. هي لا تتحدث كثيراً.. ولكنها لطيفة جداً..
لا أظن أنها من ليموراس فهي تختلف عنهم كلية.. هي تعامل
الجميع بطيبة وعفوية كم أشفق عليها من الزواج برجل مثله.

- لا شعري بالشفقة تجاهها.. إن أرادت فسخت الخطبة..

رفع كتفيه في لا مبالة.

- أشك أن يكون الأمر بهذه السهولة يا مولاي.. ما سمعته عن
الأمير الشاب يجعلني أظن أنه لن يسمح بحدوث هذا حتى وإن
رغبت هي بذلك.. ولكن على كل حال لا يبدو أنها تشتكي..
لعل بريق الملك جعلها تقبل وتتغاضى عن انحراف الأمير..
ولعلها لا تعلم بانحرافه..

أخبرتني سيور إحدى الخدم أنهم عثروا عليها بعد عاصفة ثلجية
عظيمة، وكانت قد دُفنت في الثلوج وهي أقرب إلى الموت من
الحياة، وقد مات كل من كان معها.. وظلت في هذه الحالة
الحرجة ما يقارب الشهرين.. وقد سخر الأمير نمار الذي أغرم
بالفتاة منذ أن وقعت عيناه عليها كل معالжин المملكة للاعتناء
بها.. وعندما استعادت الفتاة صحتها كان تعلق الأمير قد بلغ
أقصاه ومنذ ذلك الحين وهي تسكن القصر.

أربكهُ دفع المعلومات التي قدمته له إذا فقد أنقذها نمار من
الموت بعد أن تخلى هو عنها ورحل؟ لهذا السبب بقيت معه
وفضلته وفاءً لدين إنقاذه حياتها؟ أم لأنها أحبته بصدق؟ في
الوقت الذي ألغى هو فيه الزواج.. وجدت الأمير الشاب يهيم بها
عشقاً وينقذ حياتها فمحت حبها القديم وطوت صفحته؟ وبدأت

حياة جديدة مع ملك المستقبل..

أحس بصدوره يضيق وأصبح الجو خانقًا أكثر مما يحتمل.. غادر مكانه وعمد إلى الشرفة دون أن ينبس بكلمة.. وقف ليستنشق هواء الليل البارد عله يقلل ألمه الذي تعاضم.. تمنى أن يذهب كل هذا الألم طي النسيان.. ليته لم يجدها.. ليته لم يعرف كل هذا وظل على أمل العثور عليها يوماً ما حتى ينسيه الزمن.. ليتهم يرحلون.. ما أهمية هذه المعاهدة على كل حال؟ تستطيع سيناجنين أن تكسب حربها دون مساعدة.. من يخدع عندما يظن أن عقوداً من العداوة المتأصلة بين المملكتين قد تُمحي بمعاهدة؟ هؤلاء قوم عرف عنهم أن لا عهد لهم؟ لا.. لا.. إنه غاضب ويجب ألا يسمح لعواطفه باتخاذ قرارات نيابة عنه.. هذا أمر خطير.

عاد إلى الغرفة وألقى بنفسه على الفراش.. كانت راما تجلس على الطرف الآخر للفراش تشعر بأنها قد قالت شيئاً أغضبه لما رأت على وجهه علامات الانزعاج والضيق، لكنها لم تدرك أيّاً من كلامها أزعجه إلى هذه الدرجة:

- مولاي.. هل أزعجتك بثرثرتي؟

- لا يا راما.. إنني أفكر في بعض الأمور بخصوص المعاهدة مع ليوراس.. لا تشغلي بالك..

أراد أن يصرف انتباهها عن حديثهما الأخير.. شرد في أفكاره ثم حدث نفسه بسخرية:

- لطالما ظننت أن (دون) لا يأتي منها إلا الخير.. ولكنني كنت مخطئاً



- وما مشكلة (دون) يا مولاي؟ إنها مقاطعة جميلة بالفعل كما سمعت.. لم تستطع أن تكبح جماح فضولها خاصة أن الملك لا يعنفها عليه.. حتى وإن لم يجبها وصددها فإنه يظل سمحاً معها.

- أظن أنني سمعت من أحدهم أن الأميرة سيتورا منها

- لا.. لا يمكن أن تكون قد سمعت هذا.. لقد اختلط عليك الأمر بكل تأكيد ذلك لأن الأميرة نفسها لا تعلم من أي البلدان هي!

- ماذا تعنين؟

- أخبرتني سيور أن الأميرة -منحها نمار اللقب على الرغم من معارضة أبيه- عندما أفاقت لم تكن تتذكر أي شيء عن نفسها أو حياتها قبل الحادثة.. كانت كالطفلة التي ولدت من جديد وهذا ما جعل الأمير أكثر تعلقاً بها، فقد أحس أنها ولدت على يديه له من جديد.

نزل عليه حديثها كالصاعقة..

- هل أنت متأكدة مما تقولين؟

- نعم يا مولاي.. فقد مات كل من كان معها.. حتى أنها عندما أفاقت استغرقت عدة أيام لتستعيد قدرتها على الحديث.. ولما كانت تتحدث عدة لغات بطلاقة وكأنها لغتها الأم احتاروا جميعاً في أمر نشأتها وأصلها.. وقد أخبرهم المعالجون أن الأمر قد يستغرق منها عدة سنوات لتتذكر، وقد لا تتذكر على الإطلاق خاصة أنها فقدت جميع الخيوط التي تربطها بماضيها.. وقد سماها

الأمير أست سيتورا أي سيدة الثلج باللغة الليموراسية، وتظن سيور أن الأمير نمار يحاول جاهداً أن يخفي ماضيها الذي لا بد أنه يعلم لمحة منه على حد قولها.. فالعربة التي حملتها في العاصفة وجميع أغراض الأميرة، وحتى جثث من معها ولباسهم قد اختفت تماماً بعد الحادثة.. كل ذلك لا بد أنه كان يحمل دلالة على أصل الفتاة وقصتها.. وهي تظن أن الأمر له مغزى لمن يعمل عقله على الرغم من أني أتوقع أن خيال الفتاة سيور خصب بعض الشيء.. أوما لها رهان في هدوء، وهو يحاول التحكم في أعصابه بعد ما سمعه منها:

- نعم لا بد أن سيور تلك تحمل خيالاً خصباً.

- هذا ما ظننته أيضاً..

استمرت راما في ثرثرتها التي لا تنتهي.. فأخذت تقص عليه ماضي سيور وعمل أبيها فلاحاً وأما المريضة التي كانت تعمل في القصر الليموراسي قبلها.. تظاهر رهان بالاستماع لها إلا أن عقله كان يعمل بسرعة مفكراً في كل ما قالته.. استمر في تظاهره بالاستماع إليها دون أن يعي بالفعل ما تقوله حتى أصبح صوتها يأتيه من بعيد وأصبح غير قادر على تحمل مزيد من ثرثرتها، وأراد الانفراد بنفسه ليصفو ذهنه، فأمرها بالانصراف بعد أن تبادل معها بعض الأحاديث الأخرى حتى تظن أن الأمر مجرد لغو وثرثرة جوارى لا أهمية له..

بعد أن غادرت ظل رهان يذرع الغرفة جيئة وذهاباً فقد كان هول ما كشفته راما عظيم.. بعد أن حسم أمره لبس ثيابه وغادر غرفته.. كان الوقت قد تأخر فقد انتصف الليل منذ وقت غير قليل، وكان القصر يغط في نوم عميق، ولا يُسمع بين أرواقه

سوى حسيس النيران البنفسجية في الأخابد، ولا يرى بين جنباته سوى تراقص ظلها..

وعندما وصل إلى مبتغاه توقف أمام بابٍ وطرق عليه بخفة أولاً ثم طرقتاً أشد عندما نفذ صبره وتذكر نوم صاحبه الثقيل..

جاءه صوت حُران الناعس والغاضب من وراء الباب:

- اللعنة.. من يطرق الباب هكذا في مثل هذه الساعة؟ صل أن يكون الأمر مهماً وإلا سأقتلع عينيك من محجريهما..

انفتح الباب ووقف أمامه حُران عاري الصدر لا يلبس سوى سروال وهو مدهوش لرؤيته، يفرك عينيه وكأنه يشك أنه ما زال يحلم.

- مولاي.. عذراً.. تفضل.. أفسح له الطريق ليدخل وأسرع يضع عليه قيصاً.

- أولاً توقف عن قول مولاي.. فقد جئت إلى حُران صديقي لا إلى وزيرٍ.. ثانياً أعتذر عن المجيء في هذا الوقت، ولكن ما علمته جعلني غير قادر على النوم وأردت التحدث إليك بشدة.

- ما الأمر يا مولد.. أقصد يا رُهان؟ هيا تحدث..

كان صوته قلقاً يشوبه الفضول.

عمد رُهان إلى أريكة حمراء، فجلس عليها وبدأ يقص على صاحبه كل ما سمعه من راما منذ قليل وحُران ينصت إليه وهو يهز رأسه في بعض الأحيان ويبدو مذهولاً في أحيان أخرى دون



أن يقاطعه وعندما انتهى رُهان من الحديث تحدث حُران قائلاً:

- إنه لمذهلٌ كم تكشف النساء من أسرار عندما تثرثر..

شعر رُهان بالغيظ من تعليق صاحبه..

- صحيح.. ولكن ما رأيك؟

- أصبحنا الآن نعرف كثيراً مما كنا نجهله.

- نعم هذا صحيح تماماً.. إن ما قالته يغير كل شيء..

- يغير كل شيء! ماذا تقصد؟ أنا لا أفهم ما الذي يغيره بالضبط؟

فكر رُهان أن صاحبه أصبح أحمق أو أنه يتحامق..

- إنها لا تتذكرني، وهذا يفسر تجاهلها لي طوال الوقت وكأنها لم تعرفني يوماً.. صحيح؟

- إذا؟!!

احتر حُران فيما يقول لصاحبه فهو لا يفهم ما يرمي إليه.

- كما قلت لك إنه يغير كل شيء..

بدأ حُران يفهم ما يرمي إليه صاحبه وإن لم يستوعب الأمر تماماً:

- ليس كل شيء يا رُهان.. ما زالت مخطوبة لرجل آخر.. رجل

اختارته كل هذه السنين وعاشت في قصره.. وأغلب الظن أنها تحبه.

- تحبه! ألم تسمع ما قصصته عليك من أفعال الرجل المشينة؟!!

- هذا ما قصته راما نقلاً عن جوارى لديه.. بغض النظر عن صحته لأنها مجرد ثرثرة جوارى.. الناس فيما يعشقون مذاهب.. ما يدريك كيف يعاملها؟ لعله يعاملها معاملة أخرى غير ما قيل لك؟ وإلا فلماذا لم تتركه وترفض الزواج به؟ قد تظن هي أنه صفقة رابحة فيوماً قريباً ستصبح ملكة ليموراس! هناك مئة احتمال واحتمال.

- يعاملها بشكل آخر؟ الرجل لا يستمتع إلا بتعذيب من تحته؟ أية صفقة هذه؟ ناهيك بكونها رابحة.. وإن رجلاً مثل نمار لن يتنازل بسهولة عما يريد.. فما بالك وهو أمير متغطرس أحمق؟ لقد سمعت راما أن البقاء معه قد لا يعود إليها سواء بالإيجاب أو بالرفض.. احتقنت الدماء في وجهه وهو يصيح في صاحبه من شدة الغضب وهو يراه مجادلاً إياه لا محالة رغم ما يسوقه إليه من البراهين والأدلة.

- اسمعني يا رهان.. هذا الصلح مهم للمملكة سيوفر علينا الكثير ويختصر طريق النصر.. نعم هناك طرائق أخرى ولكنه أقصرها ولا يجب أن يفسد من أجل امرأة.

- من أجل امرأة! لقد كانت من نساء القصر يا حران.. لقد أعلنت الخطبة والزواج من قبل الملك.. أو لعلك قد نسيت أعراف وقوانين القصر؟

- بل أحفظها عن ظهر قلب.. ولكن الأمر مختلف هذه المرة..

ماذا تريد أن أقول لك.. أن أشجعك لكي تفسد المعاهدة من أجل امرأة ارتمت في أحضان رجل آخر؟!

انتفض رُهان واقفا وقد أعماه الغضب

- ويلك.. لقد نسيت أنك تتحدث إلى ملك سينامجنين!

- لا لم أنس يا مولاي.. ولكنني أسدي إليك النصيح الذي طلبته من صديقك.. أما الوزير حُران فقد أقسم على الولاء والطاعة لك حتى آخر نفس.. أعرف أنك يا رُهان تقدم خير هذه المملكة على أي شيء آخر.

- لذلك يجب علي أن أتركها تضيع مني ثانية! من أجل المعاهدة الخربة! لقد ضاعت مني سابقاً لأنني خفت على ملكي وولي عهدي!

سقط رُهان على الأريكة حائراً منك القوى وحُران يقف عاجزاً ويشاهده ممزقاً ولكنه لا يستطيع مساعدته.. وضع رُهان وجهه بين كفيه وهو يقول في أسي

- سينامجنين وموان! متى تلتقيان!؟

مرت الأيام التي تلت الجدل بين الملك ووزيره محومة مليئة بالأحداث.. وتوالى انعقاد الجلسات بين الفريقين للاتفاق على الصيغة النهائية لبنود وشروط المعاهدة.. في تلك الجلسات أدرك رُهان وبطانته أن نمار قد تسلم بالفعل مقاليد الحكم من أبيه استعداداً لتنصيبه ملكاً.. ففي أغلب الجلسات غاب الملك عن الصورة.. وإن كان الرجل العجوز ما زال يستأثر لنفسه بالكلمة الأخيرة في مجريات الأمور، فقد كان كل شيء يجب أن يعرض عليه قبل الموافقة عليه إلا أنه ترك كثيراً من الأمور لتصرف وتدير ولي عهده نمار، وبدأ أن عرض الأمور عليه صوري شرفي وأن حقيقة الأمر أن الكلمة الفصل تبقى عند الأمير.. الذي وإن كان شاباً يافعاً فإنه يتمتع بذكاء حاد وحنكة، ولا يستخف بخبرة أبيه الذي يعود إليه للمشورة.. مما جعله خصماً لا يستهان به في المفاوضات.. إلا أن ضعف موقف مملكته وفقرها وحاجتها من جانب، وقوة سيناجنين واستغنائها على الجانب الآخر لم تترك لذكاء الأمير الشاب كثيراً ليفاوض عليه.. فوضعت سيناجنين كل شروطها وأرغمت عدوها اللدود على الخضوع لها.. وذلك أن المعاهدة ستؤمن المؤونة لشتاء قارس البرودة في ظل نقص شديد للغذاء داخل ليموراس قد أدى إلى وقوفها على حافة مجاعة طاحنة قد تأتي على الأخضر واليابس فيها.. وقد تودي بملك ريبيل وولي عهده إن زادت حدتها.. فاكتفت ليموراس بأنها قد تحصنت ضد برد الشتاء بخيرات سيناجنين الوفيرة ورأته نصراً محققاً في ظل الظروف الراهنة واستطاعت سيناجنين أن تملي على ريبيل وولي عهده شروطها الكاملة.

وبينما استمرت الجلسات بين الفريقين.. لم تنقطع الأحاديث

الهامة المحمومة والمتقطعة أيضاً بين رُهان وحران عن حقيقة موان على قلتها بسبب انشغالهما الشديد.. ولم ينقطع الجدل الدائر بينهما، فحران يثير التساؤلات والشكوك خاصة في ظل احتجاب الفتاة عن الأعين وعدم ظهورها على الموائد أو في جنبات القصر منذ جاءت الذي فسرهُ كل منهما حسب هواه.. فرُهان يرى أن هذا دليل دامغ على أن نمار يخفيها حتى لا يتعرف رُهان عليها.. أما حران فيرى أنه يفعل ذلك غيرة عليها وأن الفتاة بفرض صحة أنها موان تتجنبه.. ويتساءل إن كان رُهان بالفعل قد تحقق من ملاح الفتاة جيداً.. ففي المرتين اللتين رآها فيهما الأولى كانت لمحة في الظلام والأخرى كانت الفتاة تلبس خوذة تغطي وجهها كله.. وهو الأمر الذي أنكره رُهان بشدة فهو لا يحتاج أكثر من لمحة حتى يتعرف على موان..

وهكذا ظل حران يعيد شكوكه على رُهان واحدة تلو الأخرى كلما سنحت له الفرصة.. التي يجد لها رُهان أجوبة منطقية أحياناً تدحض صاحبه، وأحياناً يعرض عنه ويتجاهله، وأحياناً يعترف له أنه لا يجد تفسيراً لشكبه.. إلا أنه في جميع الأحوال كان لا يتزعزع عن القول بأن الفتاة هي ضالته المنشودة.. موان.. حبيبته التي فقدتها منذ ست سنين.. إلا أن شكوك صاحبه قد وجدت طريقها إلى نفسه خاصة مع عدم ظهور الفتاة على الموائد وفي القصر، ولذلك فقد عمد إلى تقصي مكان غرفة الفتاة وتعهد المرور من أمامها كلما سنحت له الفرصة أملاً في رؤيتها عن قرب.. لكن الباب ظل موصداً في وجهه.. حتى إنه فكر أن يبقى متربصاً مخفياً أمام الغرفة طوال اليوم، فليس هناك بد من أن تخرج في وقت ما.. لكن حمى الجلسات والمفاوضات لم تترك له هذه الفرصة بسهولة.. ولكنه ذات مرة وهو يمشي بين أروقة القصر بالقرب من الغرفة المنشودة، وقد تعمد المرور من أمامها في غدوه ورواحه كلما سنحت له الفرصة.. سمع همساً محمومًا

قادمًا من خلف باب إحدى الغرف.. ارتفع الهمس قليلاً بسبب غضب المتحدث، فشعر بالفضول وخفق قلبه واقترب من الباب ووضع أذنه عليه يصيخ السمع..

- لقد حذرتك من قبل يا سيتورا.. ولكنك تتعمدين عصيان أوامري..

- لقد مللت الحبس في غرفتي يا نمار.. لو أنك تتركني أتجول قليلاً حتى داخل القصر..

- قلت لك من قبل أنني أخشى عليك.

- مم؟!!

- أنا لا آمن هؤلاء القوم.. إنهم يتربصون بنا.

- يا إلهي لماذا جئت بي إذا؟ لماذا لم تتركني في ليموراس؟!!

- لا أستطيع تركك ورائي.. أنت تعلمين ذلك جيداً.. والآن لا تخرجي من غرفتك إلا عندما آذن لك.

- لا.. لن أفعل يا نمار.. إن أريانا تدخل وتخرج كما يحلو لها.. فلماذا لا تخشى عليها هي الأخرى؟

ارتفع صوتها في تحد واضح.. قاطعها بحدة:

- لا شأن لي بما تفعله أريانا.. أنت من يهمني.. والآن لا تمتحنني صبري يا سيتورا.. أنت تعرفين أنني لا أسمح لأحد بعصيانتي.. وتعلمين جيداً قسوة عقابي.

- نمار.. إنك تؤلمني.. أرجوك.

لم يستطع رُهان تمالك نفسه عندها وفتح الباب بقوة مباغته..
ظلت عيناه مثبتة على الأمير الذي يمسك بمرفق الفتاة بقوة ثم قال
في هدوء وهو يمارس أقصى درجات ضبط النفس:

- آسف.. لقد أخطأت الغرفة.. لقد ظننت أن الوزير.. لم يكمل
جملته وجمال بعينه بين الاثنيين، وقد بدا عليهما الارتباك لدخوله
المباغت.. سحبت الفتاة يدها وأدارت ظهرها للرجلين وتحركت
نحو إحدى النوافذ تنظر خارجها..

- هل يمكنني مساعدتكما في شيء؟

بدا السؤال غريباً من رُهان ولا محل له..

- شكراً لك يا مولاي.. لقد كنت أتحدث مع سيتورا مخطوبتي
على انفراد..

مط الكلمات الأخيرة بطريقة موحية وتكلف ابتسامة صفراء..

- آه.. نعم.. إذا سوف أراك في المجلس..

لم يغلق الباب على الفور وظل واقفا لحظات ممسكاً بقبضة
الباب بقوة والغضب يغلي داخله، ولكنه في النهاية أغلق الباب
بقوة، عندما تأكد أن مزيداً من الكلام لن يقال، وإن وقف
هكذا طيلة اليوم..

ظل ساكناً أمام الباب منتظراً أن يسمع أي جلبة، ولكن بدا



الوضع ساكناً وبدا الاثنان قد توقفا عن الجدال بسبب مباحثته.. انطلق في طريقه وهو يمتنى أن يشطر نمار إلى نصفين بسيفه، ويحدث نفسه بأن كل ما تعانيه موان التي زالت كل شكوكه التي أثارها حُران في نفسه بحديثه عندما رآها الآن ما هو إلا بسبب خطأ اقترفه منذ ست سنوات.. كان لهذا المشهد أبلغ الأثر في نفسه.. لم يستطع أن يحوّه من أمام عينيه طوال النهار.. وظلت نبرتها المتألّمة تتردد في أذنه فتعذبه وتضنيه.

كانا -هو وحُران- يهرولان معاً في ردهات القصر ليلحقا بإحدى الجلسات، وقد بدا على رُهان الوجوم منذ أول النهار حتى أكثر مما اعتاده حُران في الأيام الفائتة.. كان رُهان قد اتخذ قراره بعدم البوح بما سمعه وراه من حديث موان ونمار في وقت سابق من الصباح.. فهو لم يكن حتى ليحتمل الاستماع إلى نفسه وهو يقص ما حدث الذي يجعل الدم يغلي في عروقه كلما تذكره، ولم يكن ليتحمل مزيداً من التفسيرات والحجج التي قد يسوقها صاحبه ليبرر له الأمر، لذا فقد احتفظ بالأمر لنفسه.. قطع حُران الصمت الثقيل بينهما عندما قال في سعادة:

- مولاي.. نسيت أن أخبرك أن الأميرة ليما على وشك الوصول إلى القصر خلال ساعات.. كما أخبرتك من عدة أيام فقد بعث رجالنا أنها تقترب من سيناجنين ولكن أرسلوا لنا فجراً أن موكب الأميرة أمامه أقل من نصف يوم ليصل.

- رائع.. لقد وصلت في الوقت المناسب حتماً.. ابتسم لوزيره الذي بادله الابتسام بنظرة متشككة قلقة.

كان رُهان قد أرسل في طلب حضور الأميرة ليما عندما حل وفد ليموراس ضيفاً على القصر لتتولى مهمة ضيافة نساء القصر



الليموراسي.. وعلى الرغم من أن وصولها قد تأخر كثيراً عما ظن رُهان فقد أسبغ قرب وصول أميرة الشمال القصر بلون الفرح والسرور وسط كل هذا الجدل المتفجر داخل غرف الحكم في المفاوضات وخارجها بين رُهان وحران بشأن موان.. وشعر كل منهما بجور وخفة عندما جاء الطير يعلن عن وصول الأميرة وصديقة الطفولة خلال ساعة من الزمان.. وأحسا بأنها قد تخفف كل هذا التوتر الناجم عن زخم الأحداث الراهنة وما دار بينهما خلال الأيام القليلة الفائتة.. فلطالما كان لها هذا المفعول المهدئ على الرجلين.. فقد اتسمت الفترة التي تقضيها مع الطفلين ثم الصبيين خلال الصيف من كل عام بالهدوء نوعاً ما والسكينة.. فامتلى القصر بالضحكات والأحاديث الهادئة بدلاً من المشاحنات والصياح.. وركوب الخيل والتريض بدلاً من المبارزة بالسيوف والقتال.. وعلى الرغم من أن زيارتها قد قلت كثيراً منذ أن أصبحت شابة فاتنة فإنها احتفظت بصداقتها القوية مع الملك ووزيره.. كانت جميلة هادئة وعاقلة تتسم بالذكاء الذي قد يخيف بعض الرجال أحياناً.

وقف رُهان وحران في انتظار موكب الأميرة على أبواب القصر ولولا وجود الليموراسيين في القصر لانطلقا على فرسيهما لاستقبالها في الطريق كما اعتادا في الصغر.. فع لهما تسقط الرسميات ويعودان كما كانوا صغاراً يلهوان ويضحكان ويتسامران.. انطلقت الأبواق وفتحت بوابات القصر ودخل الموكب يتقدمه عدد من الفرسان الصفر على الخيول ثم مركبة الأميرة التي كانت من خشب الجوز المحلى بالمخمل الأحمر، وقد أسدلت على نوافذها ستائر مخملية خضراء ثم تلتها مجموعة أخرى من الفرسان الصفر ثم مركبة صغيرة تحمل المؤن والزاد لسفر بعض الخدم الخاص بالأميرة..

بمجرد دخول الموكب، انطلق حُران ليصل إلى المركبة أولاً
عندما فتح الباب أحد الفرسان ووضع سلماً لتنزل عليه الأميرة.

- ليمًا! عودًا أحمد.. اشتقنا إليك كثيرًا.. نظر رُهان لصاحبه
لطالما أحس بانجذاب حُران لليما.. لكن حُران لم يكن ليصرح
بذلك أبدًا وعلى الأرجح فإن السبب في ذلك -حسب ظن رُهان-
خوفه من الرفض من قبل الملك إسفيلس، فالأخير يرغب في
زواج ابنته من ملك أو أمير على أقل تقدير، وقد كان الملك
أريوس وأسفيلس يتمنيان زواج الأمير والأميرة، وقد صرحا
بذلك في أكثر من مناسبة إلا أن تصريجهما لم يلق ترحيبًا من
أبنائهما الذين جمعت بينهما علاقة الأخوة والصداقة.. مد حُران
يده ليساعدها على النزول.. كانت ترتدي معطفًا من الفرو البني
الكثيف يحيط بوجهها البرونزي اللون وتلمع عيناها الزرقاوان في
حبور، وقد انساب شعرها الطويل الذي يشبه سبائك الذهب
على ظهرها.. كانت فاتنة كما عُرف عنها.. ويبدو أن لقب أجمل
النساء الذي لازمها منذ الصغر قد استحقته عن جدارة.

- حُران.. كم اشتقت إليك.. واشتقت إلى سينامجنين العزيزة..
نظرت من فوق كتفه إلى رُهان الواقف خلفه، وهو يتسم والذي
أراد ترك مبادرة الترحيب لصاحبه وانحنت انحناءة بسيطة وهي
تقول:

- كيف حال ملكنا القدير؟

- بخير حال يا صغيرتي.. أطلت غيابك عنا هذه المرة فوجدنا
عذرا كي تزورينا.. غرفتك في انتظارك دافئة كي تستريح
وسياأتي لك الغداء في غرفتك.. فأنا وحُران قد تناولنا الغداء
بالفعل ولدينا بعض المهام التي يجب أن ننهي منها قبل أن ننضم



إليك على العشاء.. شعر بالدفء يتسلل إليه وهو ينظر إلى وجهها الجميل الباسم فلطالما كانت بمنزلة أخت صغيرة له.. ذلك الوجه الذي يذكره بأيام لم يكن يحمل فيها همًا ولا ألمًا.

- إذا أراكما على العشاء.. لا أظن أنني قد أتناول أي طعام الآن.. كل ما أحتاج إليه هو النوم والراحة.. جاء الخدم لحمل الأمتعة واصطحبوا الأميرة إلى غرفتها بعد أن ودعت الرجلين المسرعين إلى إحدى جلسات التفاوض.

عندما اجتمع ثلاثتهم على العشاء بعد يوم طويل ومرهق للملك ووزيره.. كانت ليما قد أخذت غفوة بعد تعب السفر وشعرت بالانتعاش والحياة، وكذلك كان حُران رائق المزاج رغم تعب اليوم.. فإن رُهان كان منشغل الذهن أغلب الأمسية.. أسهما في أفكاره الخاصة لا يستطيع أن ينسى صوت موان المتألم الذي سمعه آنفًا.. أما آماله في أن قدوم ليما قد يخفف عنه ويلهيه قليلًا فقد تبجرت وأصبحت محض أوهام.. حتى إن ليما لاحظت شرود ذهنه فقالت تداعبه:

- يبدو أن الأمير نمار خصم قوي كما سمعت من قبل؟

انتبه رُهان عند ذكر اسم نمار والتفت إليها:

- حقًا؟! هل سمعت هذا؟!!

سأل ساخرًا..

- كيف حال المعاهدة إذا؟

- تسير على نحو جيد.. أظن أننا قد نصل إلى الشكل النهائي

للاتفاق خلال أيام قليلة..

نظر إليه حُران بطرف عينه..

- رائع.. فهذا يعني أنكما ستكونان أقل انشغالاً وأستطيع عندها الاستمتاع بصحبتكما وربما الخروج للصيد أيضاً..

كان وجهها الخجري وصوتها مفعمين بالحماسة وعيناها الزرقاوان تلتمعان بالاثارة..

- ربما.. سيكون ذلك رائعاً دون شك.. فإن وجهه وصوته كانا باردين وبعيدين..

ابتسم في وهن ثم أردف قائلاً:

- عذراً يا ليما.. إنني أشعر بالتعب.. كان يوماً طويلاً.. أعتذر إليك لن أستطيع أن أسهر أكثر من ذلك.. وأنت يا حُران لا تدع الحديث يأخذك طويلاً فلدينا غداً يوماً حافلاً.. نظر إليه نظرة ذات مغزى محذراً ثم غادرهما سريعاً.

بعد أن تناولا حلوى اللبن اللذيذة وكعكة العسل واستمتعا بهما.. خرجا يتجولان معاً قليلاً حول القصر.. كان الوقت قد تأخر فتحسسا طريقهما بصعوبة على ضوء النجوم وسكون الليل يحيطهما إلا أن حُران أشار إلى طائرين أصفرين لهما ذيولان طويلان، كانا يقفان على أحد الأغصان فطاراً على إثر إشارته ثم عادا بعد قليل، وهما يجملان مصباحين تتراقص فيهما نيران بنفسجية، وظلا يحلقان فوق رأسيهما لينيرا لهما طريقهما.. قطعت ليما الصمت.



- يسعدني دائماً العودة إلى سينامجنين.. هذا القصر وما حوله مليء بذكريات طفولتنا.. ضحكنا ولعبنا وشجارنا وعويلي.. قد أفسدني إسفيلس بكثرة تدليله وقد تحملتما الكثير..

ابتسمت في رقة فلهعت العينان الزرقاوان بطيف الذكريات.

- وكم يسعد سينامجنين عودتك إليها يا ليماء.. ما زلت في عيني تلك الصغيرة التي تبكي من أجل الحلوى أو من أجل لعبتها التي خطفها منها رهان لإغاظتها..

نظر إليها بعينين حانيتين ولانت تعابير وجهه الخشنة والوسيمة معاً في آن واحد.

- كنت أجري إليك لأشتكي منه، فتشتبكان معاً حتى أقف بينكما لأنهي العراك..

كان رهان يستمتع بإغاظتي..

- أذكر حينما دفعك في مياه البحيرة ثم أدرك أنك لا تجيدين السباحة فهرعنا نحن الاثنان لإنقاذك.. وما إن نجحنا في دفعك للحافة واطمئنا عليك.. اشتبكا معاً في عراك آخر، وظلت أنا ورهان متخاصمين عدة أيام بسبب تلك الحادثة.

- كان رهان مشاكساً ومناكفاً في صغره، وكنت مدللة بطريقه سيئة.. لكن رهان صار أهدأ وأعقل مع الزمن.

- نعم وأنت صرت أكثر تدليلاً..

ضحك ضحكاً صاخباً كعادته ثم أردف:

- ولكن على الرغم من أنه صار أكثر تعقلاً، إلا أنه مازال لديه نفس التهور والاندفاع عندما يتحمس لشيء ما.

- نعم.. في الحقيقة لم نختلف كثيراً عما كنا صغاراً.. ما زال رُهان يحمل الصبي المشاكس نفسه الذي يطفو على السطح في أوقات معينة.. وما زلت تلك الطفلة التي أفسدها تدليل أبيها.. وأنت يا حُران ما زلت في داخلك ذلك الطفل القوي الذي يظن أن كل شيء قد يُحل بالعراك.

- جعلت الأمر يبدو وكأننا ثلاثة حمقى يا ليماء..

نظر إليها معاتباً وقد ضيق ما بين حاجبيه.

- لا.. لم أقصد هذا بالطبع.. ولكن ما قصدته أن السنين والحياة قد تغيرنا، ولكن يبقى شيء ما فينا عصي على التغيير أو التطويع.. دعك من كل هذا.. ما به رُهان؟ شيء ما يشغل تفكيره ويحيره.. لم يكن على طبيعته اليوم فأنا أعرفه جيداً.. وكأنه يخفي أمراً ما.. ما الأمر يا حُران؟ تردد حُران قليلاً ثم اتخذ قراره وشرع يحكي لها بالتفصيل ما حدث منذ أن جاء الوفد إلى القصر.

وبعد أن انتهى من حديثه قالت بصوت مدهوش:

- يا إلهي؟ موان بعد كل هذه السنين..

- نعم.. أمر لا يعقل.. ولكن من يومها ورُهان منشغل الفكر بالأمر. حتى يخيل إلي في بعض الأحيان أنه لم يعد مهتماً بالصلاح والمعاهدة أو أي شيء من هذا لولا أنني أعرفه جيداً وأعرف

حرصه على مصلحة المملكة.

- ولأني أعرفه جيداً أيضاً أظن أن ما تقوله صحيح تماماً.. هو لا يفكر سوى بأمرها.. هل تتذكرها؟ لعله مخطئ بعد كل هذه السنين.

- أنا لم أر موان من قبل كثيراً.. كان رهان دائماً ما يسافر إلى بلدتها، وذلك قبل أن يخبرها بحقيقته ويطلب يدها.. أخبرني أنها لم تصدق يوم أن أخبرها أنه ولي عهد مملكة سيناجنين.. عندما جاءت إلى القصر لم أكن موجوداً.. وعندما عدت كانت مريضة طريحة فراشها تلازمه بأمر من المعالج.. لذلك فإني حقاً لا أستطيع تذكرها.. حتى يومنا هذا فهي لا ترى في القصر إلا لماماً.. تتناول طعامها في غرفتها وإذا خرجت -وهذا نادراً- تغطي وجهها، وإن كانت تعتزل الاجتماعات في أغلب الأوقات.. ويظن رهان أن هذا دليل آخر على جرم نمار فهو مقتنع أنه يخفيها حتى لا يتعرف عليها.. ولكن أعود إلى إجابة سؤالك بأني متأكد أن رهان مصيب رغم أنني لا أعترف له بذلك.. لا يمكن أن يخطئ الرجل امرأة أحبها يوماً ما.

- إنني أتذكر الآن.. كانت فترة عصبية عليه.. أتذكر كيف كان ضائعاً بعد فقدانها.

- عصبية! الأمر كان أسوأ من ذلك بكثير.. لقد فقد رهان رغبته في الحياة.. كان لا يأكل ولا ينام ولا يكاد يكون مستيقظاً.. يبكي كالطفل الصغير.. لا يتحدث ولا يفعل شيئاً سوى الاهتمام بأخبار الرسل الذين يرسلهم بحثاً عنها.. حمل الأمر كله لأبيه ولم يعد يتحدث إليه واعتزل الناس جميعاً حتى أنا، وظننت في فترة أنه على شفا الموت حتى فوجئ بمرض أبيه

الذي تكالب عليه الأعداء ومُني بهزائم عدة كادت تطيح به، فإذا به يستنجد بولده الوحيد.. خرج رهان من معزله مكرها لكنه لم يستطع ألا يلي نداء الواجب الذي رُبي لأجله.. إنك تعرفينه جيدا.. ظن الجميع أنه قد فات الأوان وأنه لن يقدم ولن يؤخر.. استخفوا بالشاب الذي أعياه الحب والهوى.. لم يفهموا أن هذا الشاب إنما أعياه حقاً أنه لا يقبل بالهزائم ولم يخلق لها.. أطيح بالأعداء ووطد حكم أبيه وأذعن له الملوك.. ومات الملك آريوس وهو يرى ولده يحصد الانتصار تلو الآخر.. ولكنه رغم ذلك لم ينس الأمر.. وأظن أنه حتى آخر لحظة لم يغفر لأبيه ولا لنفسه رغم تظاهره بعكس ذلك.. والملك المنتصر الذي أحاطت به أجمل النساء لم يستطعن الفوز بقلبه ولا تسليته عن ما فقد.. ظن دائماً أنه سيجدها وهذا ما أتعبه وجعل الأمر عصياً على النسيان.. ولكن هل تعلمين؟ لقد ظننت مؤخراً بأنه قد سلم لحقيقة أنه يجب أن يتزوج ويمضي قدماً! أظن أن الزواج كان كافياً لينسيه كل الماضي.. ولكن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن.

- وقد كان مصيباً.. لقد وجدها!

- نعم.. ولكن الأمر مختلف..

قاطعته:

- هل تظن أنه سيدير ظهره للأمر؟! أنت واهم.. ليس رهان..

- لكن الواجب يحتم عليه ذلك.

- نعم ما بين الواجب والحب.. يقف هو.. رجل قد هُزم يتوق لأن ينتصر.. وقلت من قبل أمثال رهان لم يُخلقوا للهزائم..



ظهر القلق على صفحة وجهه، فأردفت بصوت واهن:

- ولكنها ليست حرباً.. ليته يفهم هذا قبل فوات الأوان.

* * *



استيقظ حُران على صوت طرقات كأنها تأتي من بعيد.. لبث لحظات حتى يستوعب أن الأمر لم يكن حلماً يحلم به في نومه.. نظر إلى السماء التي تظهر من وراء نافذته المفتوحة.. كانت زرقتها داكنة.. هل معقول أنه قد استغرق في النوم حتى المغيب؟ جاءتته الطرقات ثانية تستحثه ولكنها أخشن هذه المرة.. فرك وجهه ليذهب عنه آثار النوم وحاول التركيز.. هل الوقت فجراً؟ أي أنه لم ينم سوى بضع ساعات بعد أن ودع ليماء.. من الذي يجرؤ على إيقاظه في هذه الساعة بهذا الشكل؟ سيندم أن أمه قد ولدته إن لم يكن الغزاة على أعتاب القصر.. انتزع نفسه من على سريره الدافئ وألقى عليه قيصاً..

فتح الباب وقد لاحت علامات الغضب والاستهجان على وجهه الضخم فزادته قسوة..

- عذراً يا سيدي على إيقاظك في هذه الساعة.. ولكن مولاي يريد أن يراك في الحال؟

كان لا بد أن يتوقع هذا.. فمن غيره يجرؤ على إيقاظه في هذه الساعة؟! لم ينبس بينت شفة، وأشار إلى الجندي بيده لينصرف وشرع يغلق الباب إلا أنه لاحظ جمود الجندي في مكانه وعدم تحركه..

نظر إليه مستفهماً وقد رفع حاجبيه في دهشة مشوبة بالغضب..

أسرع الجندي قائلاً في اضطراب:

- طلب مني الملك ألا أغادر إلا معك سيدي الوزير..

أغلق الباب بقوة في وجهه..

رُهان بحق الله ماذا تنوي في هذه الساعة؟ لبس ملابسه سريعاً
وخرج ليجد الجندي ماكنًا أمام الغرفة ينظر إلى الأرض..

تبعه الجندي كظله فزجره في عنف:

- هيا اغرب عن وجهي ولا تتبعني..

سار يحث الخطى إلى قاعة الحكم، وهو يفكر في المصيبة التي
حدثت وتستدعي إيقاظه في هذه الساعة.. عندما دخل القاعة
كان الملك جالساً على عرشه المرتفع منغمساً في الحديث مع أحد
الرجال..

عندما اقترب رأى أنه رئيس الحرس الملكي والقصر إيفنكس..

- صباح الخير يا مولاي.. جاءني رسولك فأسرعت بالقدوم..

انتظر حُران توضيحاً ولم يسأل الملك مباشرة.. كان الملك قد
قطع أحاديثه مع رئيس الحرس عندما دخل حُران..

التفت إلى إيفنكس منيها حديثه:

- حسناً.. يمكنك الانصراف الآن إيفنكس.. وضع ما أخبرتك
به عين الحسبان..

- أمرك يا مولاي.. التفت إلى حُران محيياً ثم انطلق إلى خارج



القاعة.

- والآن.. اصغ إلي جيداً يا حُران..

ظل رُهان وحران داخل القاعة يتحدثان حتى ارتفعت الشمس في السماء عالياً.. خرجا من القاعة وهما ما زالا يتحدثان..

كان الملك يتحدث والوزير يومئ برأسه مجيباً، وعندما وصلا إلى منتصف الردهة قال:

- حسناً يا مولاي.. سوف أذهب حتى أتابع سير كل شيء كما أمرت.

شاهده رُهان وهو يسير مبتعداً ووقف وحيداً شاردًا في أفكاره حتى جاءه صوت من خلفه:

- رُهان.. هل أنت في طريقك إلى مائدة الإفطار؟ أخبرني هتار أنه أعد إفطاراً مميزاً اليوم احتفالاً بوصولي..

كان قد التفت إليها وهو يبتسم.. كانت آية في الجمال بشعرها الذهبي الطويل وعينيها الزرقاوين اللتين تلمعان فوق وجهها البرونزي اللون.

- صباح الخير يا عزيزتي ليماء.. إن أخبرك هتار بهذا فيجب ألا أفوت إفطاراً كهذا بكل تأكيد..

تمشياً جنباً إلى جنب في صمت حتى وصلا إلى قاعة الطعام.. لم يكن هناك كثير من سكان القصر في ذلك الوقت المبكر على المائدة التي امتلأت بالفطائر اللذيذة والخبز الطازج والعسل

والجبن وغيرها من الأطعمة.. وكان يبدو أن هنتار بالفعل قد أضاف عدة أصناف خصيصاً للأميرة ليما، وهو يعلم جيداً ما هي الأصناف التي تحبها منذ الصغر.. نظر رُهان إلى عجة البيض الشبيهة، وهو يجلس على رأس المائدة، وقال مبتسماً:

- يبدو أن هنتار قد أوفى بكلمته حقاً.. يؤسفني أن أعترف أنه يضمن علينا بهذه العجة المميزة إلا في الأعياد والمناسبات.. جلست ليما إلى يمينه وهي تبسم.. جال بنظره سريعاً على المائدة، وكأنه يبحث عن شخص ما..

- هل تبحث عنها؟

سألته وقد شرعت تمضغ طعامها ببطء..

- إذا فقد أخبرك حُران.

- هل ضايقتك ذلك؟

- لا إطلاقاً.. كنت سأخبرك على أية حال.. وكنت متأكداً أنه سيقص عليك الأمر كله عندما غادرتكما البارحة.. أعني أن هذا أفضل.. أن تسمعي القصة من وجهة نظر غيري.. ونعم إنني أبحث عنها.. ولم أنفك أبحث عنها منذ فارقتني يا ليما..

كانت لهجته دفاعية وكأنه يتوقع هجومها عليه.. أطرقت برأسها في صمت وتفهم..

- إذا ماذا ستفعل؟

ضيقت ما بين حاجبيها في قلق..



- ما يفعله الرجال في هذه الحالات..

قضم حبة عنب في استمتاع واضح.

- لا أخفيك سرًا فإني لا أعلم ما يفعلونه..

قالت ذلك في سخرية واضحة ثم أردفت وهي تفكر.. ولكنك لست كأني رجل يا رهان.. أنت ملك.

- نعم.. ليتني كأني رجل يا ليما لأنني في النهاية رغم كل شيء بشر من لحم ودم.. عصر الأسى قسمت وجهه وبحركة عصبية رغمًا عنه خلل أصابعه في شعره الرمادي المبعثر.. لاحت في عينيها الزرقاوين نظرة تفهم وزمت شفيتها وبهزة خفيفة من رأسها عادت لتناول إفطارها.. جال ببصره ثانية يتفحص المائدة وكأنه يتمنى أن تكون قد حضرت خلال الدقائق القليلة المنصرمة.. كان غيابها عن المائدة أمرًا متوقعًا.. فعلى الرغم من مرور أكثر من شهرين منذ حل الوفد ضيفًا على القصر إلا أنه لم يرها على الموائد سوى مرة أو مرتين.. دائمًا ما كان الطعام يذهب إليها في غرفتها.. حتى إنه لم يشاهدها في جنبات القصر وحدائقه حتى أمس عندما سمعها تتحدث مع نمار-رغم أنه كان يتعمد المرور من عند غرفتها- حتى خيل إليه في بعض الأحيان أنها محض خيال.. فإنه عندما وصل إلى هذه المرحلة من الشك وعدم التيقن ربض يومًا ما بالقرب من غرفتها متسللاً بغية أن يراها ويتأكد من وجودها حتى رآها تخرج من غرفتها بشعرها الأسود الطويل وعينيها العسليتين، فلم يتمالك نفسه وأراد أن يحدثها وقبل أن يهم بالتحرك من موقعه.. تسمرت في مكانها وكأنها خائفة من شيء ما ثم عادت إلى غرفتها سريعًا كأنها تذكرت شيئًا وانتظرها أن

تخرج مرة أخرى ولكنها لم تفعل.. فكر أن يطرق بابها ولكنه شعر بالحمق حينها وعدل عن الفكرة.. أنهى إفطاره سريعاً وكأنه أراد الفرار من استمرار الحديث مع ليما أو الاستفاضة في أفكاره المعذبة له.. غادر المائدة بعد أن اعتذر من ليما لكثرة مشاغله هذا اليوم وقد بدا عليها الإحباط لمغادرته سريعاً.. كان عليه اللحاق بإحدى جلسات التفاوض على المعاهدة التي شارفوا على الاتفاق على معظم بنودها واقتربوا كثيراً من توقيعها.. عندما وصل كان الجميع في انتظاره لاستئناف المشاورات حول مائدة مستطيلة عظيمة الطول تصل إلى أربعة بزين (وحدة قياس سينامجين تساوي مترين ونصف تقريبا) وقد كان تأخره عن قصد.. كان الملك ريبيل يجلس وبجواره ولي عهده -الذي بدا عليه التملهل في جلسته- وعدد من حاشيته.. وقبالتهم على الجانب الآخر من المائدة يجلس حُران بمفرده وفق تعليمات مسبقة من رُهان بعدم حضور أحد غيره لهذه الجلسة.. وأكد للجانب الليموراسي ضرورة حضور الملك لهذه الجلسة خاصة بعد تغيبه عن كثير من الجلسات السابقة، وقد بدا أن هذا الأمر قد أزعج الأمير نمار بعض الشيء، وكأنه رأى فيه تقليلاً من شأنه.. جلس الفريقان متقابلان في تحفز واضح لم يقله طول الجلسات واستمرارها قرابة الشهرين.. استمرت الجلسة لساعات متواصلة دون انقطاع.

- إذا أنتم تريدون الحصول على حصتكم من الغلال دفعة واحدة.. ولكني أعتقد أن هذا غاية في الصعوبة، فمعنى هذا -وأتمنى ألا تنزعجوا من كلامي- ولكنه لا يضمن لنا التزامكم بالحرب معنا ضد البربر..

قال حُران ذلك بفظاظة واضحة وهو يشير ضمناً لسمعتهم التاريخية في نقض العهود.

- ما زال هناك باقي الحصص من الأخشاب والسلع سنحصل عليها خلال دفعات ربع سنوية.. ولا أرى أي ضرر في الحصول على حصة الغلال على دفعة واحدة لتأمين ليموراس ضد الشتاء القارس القادم..

كان نمار هو المتحدث وقد أوما ريبيل موافقاً.

نظر حُران إلى الملك نظرة ذات مغزى، الذي تحدث في النهاية بحزم واضح منياً صمتاً ثقيلاً:

- ستحصلون عليها على ثلاث دفعات واحدة قبيل الشتاء والثانية في نصفه والأخيرة قبيل انتهائه.. اعذروني ولكن لديكم تاريخ طويل في نقض العهود ولا فرار من أن أضمن جانبكم في هذه الحرب التي قد تطول.. أما باقي الحصص فكما تقرر من قبل ستكون حصصاً ربع سنوية..

فكر نمار قليلاً ونظر إلى وزرائه الذين بدا عليهم الاستسلام، إذ أدركوا أن هذا أقصى ما قد يحصلون عليه، وأن الملك قد نطق بقوله الفصل في هذا الشأن.

- ألا تكفيك كلمة الملك ريبيل!؟

- لا.. لا تكفيني أيها الأمير.. يجب أن تكون هناك ضمانات كافية..

كان يتحدث بنبرة باردة، ولو أنه يمدح الملك لا يذمه، وأخذ الأمير نمار نفساً عميقاً بدا وكأنه لضبط النفس، ثم تحدث من تحت أسنانه، وهو يتسم ابتسامة صفراء ملأت وجهه حقداً:

- إذا فقد اتفقنا على كل شيء... متى ستوقع المواعيد؟

قالها سريعاً وكأنه حمل ثقل يريد التخلص منه في أسرع وقت..

- ربما غداً ولكن هناك أمر صغير آخر يجب مناقشته قبلها.

- أظن أننا قد قتلنا جميع البنود بحثاً..

بدا عليه الضجر وهو يتأمل بوضوح في مقعده..

- لا تقلق.. إنه لا يخص بنود المعاهدة، ولكنه وثيق الصلة بها
رغم كل شيء..

هز رأسه بشيء من الاستهزاء الخفي..

اعتدل نمار في جلسته بعد أن كان مسترخياً في مقعده، واقرب
بجسده من الطاولة، وقد رفع حاجبيه مستغرباً وألم بوجهه طيف
خفيف من القلق، وتبادل رجاله حوله النظرات والهمسات ثم
قال في جدية واضحة:

- وما هذا الأمر يا جلالة الملك؟

تبادل حُران ورُهان النظرات فيما بينهما، ثم قال رُهان وقد
اكتسى وجهه بالقسوة:

- إنه أمر قديم ظُن أنه قد طُمس مع الزمن.. إنني الملك رُهان
بن آريوس ملك سيناجنين المجيدة والثلاث أنهار أمركم بتسليم
الأميرة موان إلينا.

نظر نمار فيمن حوله ورفع حاجبيه في دهشة مفتعلة

- يسعدنا ذلك يا جلالة الملك غير أننا لا نعرف من الأميرة موان حتى نسلها لكم؟

- أووه حقًا.. عذرًا.. ماذا تدعونها الآن؟ (أست سيتورا) ربما!

انتفض نمار واقفًا وهو يصيح:

- سيتورا! وما دخل سيتورا مخطوبتي في الأمر؟

ظل رُهان جالسًا في مقعده بأريحية، وقد ثبت عينيه على وجه محدثه ولم يبد عليه الانزعاج..

- مخطوبتك! لنعد بالزمن قليلًا عندما أرسل المبعوثون من مملكتنا إلى بلاطكم بمواصفاتٍ وصور للأميرة المفقودة التي اختفت في عاصفة ثلجية عاتية دون أثر بعد بضعة أيام من إعلان خطبتنا ومنحها اللقب الملكي من قبل الملك آريوس، وبذلك قد أصبحت من نساء القصر الملكي.. وإني لأتذكر جيدًا عودة مبعوثينا وهم يؤكدون أن الأميرة لم تشاهد قط في ليموراس ولا الأراضي المحيطة بها، وقد أكدتم لهم أنكم لن تدخروا جهدًا في البحث عن الأميرة.. وفي هذا لقد وفيتم بالفعل! ولكن يبدو أنكم أغفلتم إعادتها للأسف وتسليمها لنا.. ظل الرسل يتوافدون على الممالك والبلدان قرابة العامين يتحسسون أخبار الأميرة دون جدوى بما فيهم مملكتكم.. وفجأة.. تظهر بعد سنين في القصر مع الليموراسيين تحت اسم آخر وتحجب عن الأنظار، ويلثم وجهها حتى لا يُتعرّف عليها وتظن أن الأمر سيمر من تحت أنفي.. إن لم تكن ضيفي وفي قصري، وقد أعطيتك الأمان والحماية منك لقتلتك قتلاً، ولكن ربما في المرة القادمة لن أرحمك أبدًا.. كان

الصوت الذي بدا هادئاً غير مبال وكأنه يقص على صغير حكاية قبل النوم قد تحول الآن إلى صياح يصم الآذان يرتفع أكثر مع كل كلمة مليئاً بالغضب والقسوة، حتى صار وجه الملك محمراً من شدة الغضب.

- لم يصلنا أي رسل ولا صور لأmirات مفقودات! إن ما تفعله الآن كفيل بأن يشعل حرباً ضروساً أيها الملك.

- إن ملك سيناجنين العظيمة الأنهار الثلاثة لن يسمح بتهديده حتى، ولو كان تهديداً أجوف لا قيمة له.

- هب أنها الأميرة ضالتك.. لقد مرت ست سنوات على كل هذا.. لعلها أرادت الفرار منك وأحبت أميراً آخر وستتزوجه.. ألم تحسب حساباً لهذا؟!

- إني لأعجب -أيها الأمير- كيف عرفت أن الأميرة فقدت منذ ست سنوات لا أكثر ولا أقل.

- أنت قلت ذلك..

- لم أقل شيئاً عن ذلك.

- إن كنت تعتقد أنك ستغتصب مني مخطوبتي، فإنك واهم لن تطول شعرة منها.

- أنت لم تفهم كلامي أيها الأمير.. أمامك خياران لا ثالث لهما إما أن تسلم الأميرة طوعاً ونمضي في المعاهدة وتنقذ قومك من مجاعة أكيدة توشك أن تودي بعرشك وعرش أبيك، وإما أن ترفض وساعتها أوكد لك ستلتهم المجاعة مملكتك وعرشك

وسنسترد الأميرة على أية حال سواء شئت أم أبيت.. فكر جيداً
قبل أن تتخذ قرارك.. وأياً كان..

- أيها الملك المبجل.. تمنح الملك ريبيل الذي نسي الجميع وجوده
لصمته المطبق، وكان صوته واهناً وأردف:

- لا بد أن هناك لبس في الأمر أو خلط.. لماذا لا نسأل الفتاة؟

- جلالة الملك لا يوجد لبس ولا خلط.. إن الأمر مؤكد لنا بما
لا يدع مجالاً للشك.. وإني لأحسن الظن بك أن الأمر برمته
حدث من وراء ظهرك، وأن الملام الوحيد هو ابنك.. ولكن
بطلبك مني الآن سؤال فتاة أنت تعلم جيداً أنها لا تتذكر أي شيء
عن ماضيها قد يجعلني أعيد التفكير في الأمر.. أليس هذا صحيحاً؟

كان رُهان مرعباً في ثورته العارمة، وكأنه تمساح قد أطبق فكيه
على فريسته فلا مفر لها.

- آه.. صحيح..

ارتبك الملك فكأنه كان يتوقع عدم معرفة رُهان بهذا الأمر ثم
أردف:

- ولكنني أؤكد لك أيها الملك بأني لا أعلم عن حقيقة الأمر
شيئاً..

- أبي.. كيف...

صاح نمار غاضباً..



- كفى يا نمار.. إني أمرك بالصمت.

- لقد أخطأت بالقدوم إلى هنا.. كان يجب أن أبقى معها في ليوراس حتى تنتهي من هذا الأمر السخيف، ولكنك ألححت عليّ بالقدوم.. كل هذا خطؤك أنت ولكنني لن أسمح..

كانت ثورته أشبه بثورة طفل أخذت منه لعبته أو حلواه المفضلة.. تحرك بسرعة في اتجاه رُهان، وهو يصيح ولكن قبل أن يضع يده على مقبض سيفه لمع نصل سيف حُران تحت ذقنه، وقد حزت شفرته رقبتة فتوقف مبهوتاً!

- هل تتجرأ وتهاجم ملك سينامجنين؟ يا لك من أحمق سفيه أيها الأمير.. لولا أنكم ضيوف الملك وفي قصره لقطعت رأسك وعلقته على باب القصر؟ كان صوت حُران الأَجش بطيئاً ومنخفضاً وأشبه بالفحيح، وقد ضيق عينيه وبدأ على وجهه القاسي الازدراء لِنمار ثم صاح عالياً:

- إيفنكس..

دخل الغرفة رئيس الحرس الملكي وقد كان ينتظر بالخارج.

- اصطحب الأمير نمار إلى غرفته وأبقه تحت حراسة مشددة.. لا يغادر غرفته حتى يشرفنا برحيله عن القصر..

التفت الجنود الذين دخلوا في أعقاب رئيسهم حول نمار وأحاطوا به.. وقف مبهوتا وكأنه لا يعلم ماذا يفعل، وتحرك فمه ليتكلم ولكن نظر إليه أباه نظرة زاجرة، فتحرك وقد ألقى على حُران نظرة احتقار وازدراء وهي أقصى ما يستطيع فعله.. ساد الصمت قليلاً بعد أن غادروا القاعة ثم قطعه الملك ريبيل بصوته



الواهن:

- أيها الملك العظيم يجب أن تعذر الأمير نمار.. إن هذه الفتاة قد سحرت لبه منذ أن وقعت عيناه عليها.. ولا أعرف لماذا؟ ماذا يرى فيها؟ إنه ولد عاقل وحكيم في أغلب أحواله إلا عندما يتعلق الأمر بها.. وكم تحداني أنا أبوه وملكه بسببها لرفضى زواجه منها حتى أنني هددته بحرمانه من العرش ولكنه لم يبال.. حتى أذعنت له في نهاية الأمر مكرهاً؟ فنحن كما قلت لا نعرف عنها شيئاً كما أنها ادعت أنها لا تتذكر أي شيء عن ماضيها، وكنت أعتقد أنها لا تليق به أبداً.. وأنا على يقين أن الأمير نمار لم يكن على علم بأمر خطبتكما أما هي فإنني أتساءل حقاً.. ولكني الآن أحب أن أوجه إليك نصيحة كأب لك، وخذاها من رجل له خبرة عظيمة مع النساء.. احذر من هذه الفتاة.. إنها من ذلك النوع الذي يستحوذ على الرجال، ويسلبهم عقولهم وهذا لا يليق بك..

- شكراً لك على نصيحتك أيها الملك، ولكني أستطيع أن أقرر بنفسى.. كانت لهجته حازمة ليقطع عليه الاسترسال في حديثه، وهو ما تركه يسهب حتى هذه اللحظة إلا أنه طمع في أن يعرف شيئاً إضافياً عن تلك السنين الست التي أمضتها بعيداً عنه فلها رآه يهذي قطع عليه الطريق منياً حديثاً.. تمنح الملك مرتباً ثم أردف:

- ماذا عن المعاهدة؟ أرجو ألا يكون ما حدث قد غير شيئاً؟

نظر رُهان إلى حُران نظرة طويلة ذات مغزى ثم تحدث أخيراً:

- سوف نمضي في هذه المعاهدة ونرى أن ما حدث من الأمير مجرد خطأ أحمق من ولد أرعن، ولكن بما أن الأمور قد تأزمت

أكثر بين المملكتين مما لا يبشر بالخير، فأنا أرى أن تحصلوا على المعونات على خمس أو ست حصص دون تقييد منا بوقت معين إلا أنني أضمن لك ألا يجوع شعبك!

ازدرد الملك ريقه بصعوبة، كان يعلم أن رهان يريد بذلك عقابه وعقاب ابنه على ما حدث والإمعان في إذلالهما لتجرؤ نمار عليه إلا أنه لم يكن أمامه سوى التسليم.

- ولكن هذا يعني أن المعونات ستصبح كل شهرين؟

- نعم.. وقد يطول قليلاً عن ذلك أحياناً.. لذا أنصحكم بالاعتقاد.. كما أنك سترسل رجالك لاستلام المعونات وتوصلها لكم.. فجنودي سيكونون مشغولين إما بحماية المملكة، وإما بالحرب لذلك سوف أبعث إليكم عندما يحين الموعد لإرسال مبعوثيكم.

- اتفقنا.. وأكرر مرة أخرى أسفي على ما بدر من الأمير نمار..

كان صوته أكثر وهناً واستسلاماً.. قام رهان واقفاً وكذلك فعل حُران من بعده وانتبه ريبيل متأخراً فساعده رجاله على الوقوف.

- لم أكن أحب أن تنتهي زيارتكم بهذا الشكل رغم كل شيء.. ولكن الأمير نمار اضطرنا لذلك للأسف.. سوف يبقى رجالك تحت الحراسة المشددة ولن يُسمح لأحدهم بمغادرة غرفته حتى ترحلون بسلام عن القصر.. أظنك سوف تفهم الأمر..

أنهى حديثه ببساطة وكأنه يدعوهم لتناول العشاء، ثم غادر القاعة سريعاً وتبعه حُران قبل أن يستوعب ريبيل وحاشيته ما قاله..

وما إن خرج حتى دخل الجنود وأحاطوا بالملك ورجاله وهم ما زالوا يعانون صدمة ما قيل واصطحبوا كل واحد منهم إلى غرفته في صمت ووجوم مشوب بالقلق والحزني.

سار الملك وبجانبه وزيره بعد أن غادروا الغرفة.. قطعاً معاً جنباً إلى جنب ردهات القصر الطويلة المضاءة بالنيران البنفسجية التي تسري في الأخاديد بجوائط القصر وتبعث الدفء في القلعة الباردة.. عندما وصلا للردهة الخارجية للقصر وكان الوقت عصراً وقد بدأت السماء تصبح أكثر زرقة بعد أن توارت الشمس خلف السحب.. قطع حران الصمت بصوته الأَجَش الصاخب:

- لقد فاجأتني بالأمر كله فجراً يا مولاي.. لماذا لم تطلعني على الأمر من قبل؟ عندما استدعيتني فجراً لتخبرني بما ستفعله بهت تماماً؟ كنت أظن أن أمراً على هذا القدر من الأهمية ستطلعني عليه قبلها بأيام وربما أسابيع.. لم أعتد منك أن تخفي عني شيئاً على هذا القدر من الأهمية.. اكنست لهجته بنبرة عتاب..

تنهد رُهان.. كان يشعر بثقل يزحف على صدره لا علاقة له بحديث حُران- رغم أنه لا يفضل الخوض فيه - ولكنه توقعه وكان مستعداً له..

- كنت قد اتخذت قراري منذ زمن يا حُران، ولم يكن ليثني عنه أي شيء.. لا حديثك ولا اعتراضك.. كنت أعلم أنك ستحاول أن تقنعني بالعدول عن الأمر.. ولم يكن هذا وارداً.. وفرت عليك وعلى نفسي كثيراً من الجدل الذي لا طائل منه.. لم أعد قادراً على التحمل أكثر.. لم أكن لا أتركها ترحل مرة أخرى أمام عيني.. لقد فقدتها من قبل عندما سمحت بذلك، ولم أكن لأكرر ما حدث ثانية.. لقد سمعت ورأيت كيف يعاملها

هذا الوغد؟ سمعت صوتها متألماً لم أكن لأدير ظهري لها.. كان صوته في نهاية حديثه منخفضاً وضعيفاً وكأنه لا يخرج منه.. كان يحدث الآن حُران رفيق عمره وصديق طفولته.. أحب الرجال إليه وأقربهم إلى نفسه.. كان حديث صديقين مقربين.. لا ملكٍ ووزيره.

- إذا وماذا الآن؟

- سيظل الملك والأمير وحاشيتهم تحت حراسة مشددة حتى يرحلوا في أقرب وقت.. غداً على الأرجح.. اتفقت مع إيفنكس على أخذ التدابير اللازمة وقد يُجردون جميعاً من أسلحتهم.

- وماذا عنها؟

- أرسلت إليها خادمة لتخبرها بأن الأمير نمار يريد مقابلتها، وقد قادتها إلى غرفة قد أعدت لها من قبل.. كانت الطريقة الوحيدة لإبعادها عن غرفة أريانا التي لسبب ما تمكث فيها كثيراً من الوقت.. لا بد أنهما مقربتين من بعضهما..

- إذا فهي تنتظر الآن في غرفة وحيدة معتقدة أن نمار سيأتي ليقابلها؟

- نعم منذ ساعة تقريباً.. وقد أمرت بإيصادها.

- ماذا؟! لماذا؟! كنت اكتفيت بوضع حرس على باب الغرفة!

- ظننت أن هذا سيكون أكثر أماناً.. ولكنني أمرتهم أن يفعلوا ذلك دون أن تلاحظ.. لن تعرف إلا إذا حاولت الخروج.



- من المؤكد أنها ستحاول الخروج لترى لماذا تأخر نمار؟ إذا لماذا أنت هنا؟ هيا اذهب سريعاً قبل أن تدرك أنها حبيسة غرفة موصدة؟ لن يكون في صالحك أن تجزع الفتاة في هذا الوقت الحرج.

- أعلم.. أعلم.. سأذهب ولكن.. لا أعلم يا حُران ماذا أفعل؟ ماذا أقول؟ إنها لا تتذكر عني أي شيء.. عني وعنهما.. إنني مجرد غريب عنها؟ يا إلهي..

- وقت التفكير ولى يا صديقي.. هذا وقت الأفعال.. هيا اذهب.. لأن تكون مجرد غريب أفضل من أن تكون مجرد غريب يجلسها في غرفة موصدة الأبواب.

- نعم.. نعم.. سأذهب الآن.. أخذ نفساً عميقاً ومضى في طريقه وهو يمتنى من صميم قلبه ألا يكون الأمر كارثياً.

* * *

عندما وصل رُهان إلى الغرفة.. سأل أحد الحارسين اللذين يقفان أمام الباب:

- هل حاولت الخروج؟

- نعم يا مولاي.. وقد ثارت وأخذت تطرق الباب طرْقاً شديداً عندما أدركت أن الغرفة موصدة.. حاولت طمأنتها ولكن دون جدوى.. وأخذت تسأل عن الأمير نمار حتى.. حتى اضطررت في النهاية إلى الإدعاء أنه سيتأخر قليلاً حتى تهدأ.. أضاف الجملة الأخيرة بمزيج من الارتباك والتساؤل من أنه قد فعل الصواب..

أوماً له رُهان الذي انقبض صدره أكثر بعد حديث الجندي وامتقع وجهه:

- أحسنت صنعاً بتهدئتها.. لم يكن في حالة تسمح له بالتفكير إن كان ما فعله الجندي أحسن الحلول، ولكن في النهاية كان قرار إغلاق الغرفة خطأه وحده ولكنه يعلم أنه اتخذته تحت وطأة عاطفته المرتبكة، ولم يكن قراراً حكيماً بأي حال من الأحوال.

- افتح الغرفة.. اذهباً ولكن كونا على مقربة..

- أمرك يا مولاي.. تنحى الجندي جانباً بعد أن فتح قفل الغرفة ثم أديا التحية له وسارا حتى وقفا على مرأى البصر في آخر الرواق.

طرق رُهان الباب طرَقًا خفيًّا.. ثم أخذ نفسًا عميقًا وفتح الباب وولج إلى الغرفة..

كانت غرفة جميلة مستطيلة الشكل.. على أطول أضلاعها مدفأة ضخمة تطلق فيها النيران البنفسجية.. وفي منتصفها سرير جميل عليه أستار محلاة بخطوط ذهبية، وقد أعدت مائدة مستديرة أمام الشرفة المسدل عليها أستار مخملية خضراء، وقد رصت عليها أصناف من اللحم والدجاج والفطائر الحادقة والحلوة والفاكهة.. وفي أحد الأركان كان تقف مرآة طويلة في إطار ذهبي تصل إلى الأرض.. كانت الغرفة دافئة جدًا.. أدفأ من أي غرفة أخرى في القصر، وذلك لأنه بجانب المدفأة العظيمة تميز الغرفة عن غيرها بأخدودين أحدهما مرتفع، والآخر في منتصف الحوائط تسري فيهما النيران بدلًا من أخدود واحد كما في باقي غرف القصر، وقد أعدت بناءً على أوامر سابقة من الملك.

وعلى أريكة مخملية أرجوانية مواجهة للمدفأة كانت تجلس الفتاة القلقة بشعرها الأسود الفاحم المتهدل على وجهها وعينيها العسليتين الواسعتين المدعورتين ذات الأهداب الطويلة، وهي تضم ساقها بقوة وتشبك أصابع يديها على رجليها، وعلى وجهها نظرة متسائلة هي مزيج من الخوف والحيرة وربما الغضب.. تعلقت عيناها بوجهه وهو يقف على مدخل الغرفة وكأنها تحاول تذكر شيء ما وسألته في توجس:

- من أنت؟ وأين نمار؟ لم يحدث بينهما منذ أن حلت ضيفة على القصر أي حديث بل لم تقدم له من الأساس.. فهي لم تره منذ أن جاءت إلا لمحات قصيرة عابرة.. رغم أنها كانت كافية له للتعرف إليها فإنها بدت الآن لا تعلم حتى أنه هو الملك من نظرتها المتشككة.

- لماذا أغلقتم عليّ هذه الغرفة وتركتم هنا أنتظر؟ ماذا يحدث؟
كانت عيناها زائغتان وكأنها تبحث عن الإجابة في وجهه أو
الأسوأ كأنها تنتظر ظهور نمار من ورائه.

- هل تسمحين لي بالدخول؟ كان ما يزال واقفاً عند مدخل
الغرفة على أعتاب الباب المفتوح.

- لقد دخلت بالفعل؟ ماذا يحدث؟ بحث عن صوته فلم يجده..
نظر إليها.. لأول مرة منذ أن عادت يستطيع أن يطيل النظر إليها..
هي موان بكل تفاصيلها التي أسرتهم يوماً ما.. تمنى لو يستطيع أن
يضمها إليه ويبتس إليها شوقه وطمأته.. يخبرها كم تعذب بفقدانها؟
كيف بكى ليلته وهو يتذكرها؟ كيف استحوطت حياته بحجماً
أسوداً برحيلها؟ لو تعلم أنه كالميت الذي ردت إليه روحه وبعث
من جديد بمراها؟ ولكن هيات.. ها هي على بعد أقدام منه لا
تشعر بأي شيء من هذا.. لا يستطيع أن يخبرها بأي من هذا
والأنكى من ذلك كله.. هي لا تعرفه!.. لا تتذكره.. ولا تتذكر ما
جمعهما من حب يوماً ما.

- من أنت؟ وماذا أفعل أنا هنا؟

أعادته صيحاتها المدعورة من فوران مشاعره لأرض الواقع
فكأنما سقط من عليّ.

- أنا المله.. أنا رهان.

- أنت الملك؟ أنت ملك هذا القصر؟ أليس هذا صحيحاً؟

هدأت قليلاً وقد ضيقت ما بين حاجبيها.

- بلى.. صحيح.

- مولاي.. ما الأمر؟ هل الأمير نمار بخير؟

كان صوتها أهدأ الآن وعيناها العسلتان مفتوحتين على
وسعهما، تطل منهما نظرة حذرة..

- نعم إنه بخير.. لا تقلقي.. أضاف الجملة الأخيرة على مضمض..
ضيقته ما بين حاجبيها في حذر وتساءلت في شك:

- إذا؟!!

لم تزد وانتظرت..

- إذا يا موان..

- من؟ بماذا دعوتني؟

- أرجو أن تسمعيني حتى النهاية.. لا تقاطعيني أرجوك.. هلا
جلست؟

كانت قد وقفت من قبل فعادت إلى الأريكة الخضراء وجلست
وقد عقدت ذراعيها أمام صدرها..

- هل تشعرين بالبرد؟

- لا

- إذا سأفتح الشرفة قليلاً..



ذهب إلى الشرفة وفتحها ثم خرج إليها.. استنشق الهواء البارد وحاول حبسه داخل صدره على يهدئ من اضطراب قلبه الذي يسمع قرع دقاته كالطبول في أذنيه.. عاد إلى الغرفة ليجدها جالسة كما تركها..

- إذا.. بدأ الأمر كله منذ ست سنوات مضت..

تجنب النظر مباشرة إلى عينيها ثم أردف:

- عندما أعلن الملك آريوس -أبي- خطبة ابنه وولي عهده.. مُنحت الفتاة التي هام الأمير بها عشقًا لقب الأميرة وأعلنت الخطبة في حفل كبير.. وخطط للزواج في شهر قليلة، ولكن لظروف طرأت خارجة عن إرادة الأمير أُجِّل الزواج لأجل غير مسمى..

حزن الحبيبان لذلك ومما زاد الأمر سوءًا اضطراب الأمير وقتها للذهاب إلى الحرب تاركًا الفتاة التي أحبها وراءه، التي رحلت بدورها عن مملكته.

بدا عليها عدم الفهم ونفاد الصبر وشك أنها أرادت الحديث، فأسرع يكمل قصته:

- ظل الأمير في الحرب شهرًا، وعندما عاد نُجِع بنخب فقدان حبيبته في عاصفة ثلجية عاتية.. بحث عنها في كل مكان ولكن دون جدوى.. رسمها أفضل رسامي المملكة وبعث برسمها ووصفها -الذي طابق شكلها تمامًا ذلك أن الأمير كان يحفظ كل تفصيلة في حبيبته- إلى كل الممالك والمدن والقرى ولكن دون جدوى..



عادت الرسل خائبة الرجاء في كل مرة، ومعها وعد بمزيد من البحث عن الحبيبة الضائعة، ولكنه لم يفقد الأمل بأن يجدها، لقد كان هذا هو الأمل الذي يعيش عليه وله بعد أن فقد كل رغبة في الحياة.. نظر إليها بطرف عينيه ثم أكل:

- مرت الأيام والشهور والسنين وأصبح الأمير ملكًا وهو لا يستطيع النسيان.. ولا الماضي في حياته فذكرها حية في قلبه تعذبه وتضنيه.. صار كالمريض الذي لا يرجى شفاؤه إلى أن جاء اليوم -بعد أن فقد كل أمل في العثور على حبيبته- الذي رآها فيه أمامه عينيه وفي قصره.. ولكن لحسرتة كانت مخطوبة لرجل آخر غيره.. حاول أن يبلع مرارته وأن يدفن حبه ونفسه ويقلب هذه الصفحة إلى الأبد ويمضي قدما.. فقد اختارت رجلا آخر غيره مما فسر له اختفائها كل هذه السنين..

- مولاي.. حقًا أنا..

أشار إليها بالصمت في نفاذ صبر لمقاطعته:

- صبراً.. لقد شارفت قصتنا على الانتهاء..

نظر إليها بعينين بأستين وقد استطاع أخيراً أن ينظر إلى العينين العسليتين:

- بعد أن أقنع نفسه أنه يجب أن ينسى كل شيء جمعهما معاً.. اكتشف الحقيقة الصادمة مصادفة.. هي لم تفر منه، ولم تختار رجلاً غيره.. اكتشف لماذا لا يرمش لها جفن عندما تلمحه؟ لماذا تمر من أمامه ولا تعره انتباهاً، وكأنها لم تعرفه يوماً ناهيك بأنها أحبته؟ لماذا يرى في عينها الخواء إذا تصادف والتقت عيناها؟



إنها لا تعرفه حقًا.. لا تتذكره ولا تتذكر أي شيء عن ماضيها
لا عنها ولا عنه ولا عن قصتهما معًا.. وكان ذاك الحقير الذي
خطبها يعلم جيدًا من هي وخبأها لنفسه فقد أحبها هو الآخر،
وهو لا يستطيع لومه حقًا! اغتصبها من حبيبها إلى أن جاء اليوم
الذي اضطر فيه أن يذهب بها إلى عرين غريمه، وأظن أنه لم
يستطع تركها مخافة أن تهرب فقد أبقاها دائمًا تحت عينيه..

بدا كالجنون وهو يقص عليها آخر الجمل، وقد أخذ يذرع الغرفة
جئة وذهابًا أمامها في انهيار واضح ويخلل أصابعه بعصبية في
شعره الرمادي المبعثر حتى سقط على ركبتيه كأنه جبل قد تزلزل
فاستحال ترابًا.. ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تحاول أن تكذب
فهمها للأمر.

- مولاي.. سيدي.. أنا لا أفهم ما علاقة الأمر بي؟

- ما علاقة الأمر بك؟! إن الأمر يبدأ وينتهي عندك يا موان..

كانت عيناه متوسلتين يائستين ملؤهما الشوق..

- اسمي أست سيتورا.. صاحت في حدة..

- هذا ما أطلقوه عليك هم.. بعد أن عثروا عليك وأنت لا
تذكرين أي شيء.. اسمك الحقيقي موان..

- ما هذا الهراء؟ هل اخترعت هذه القصة عندما علمت
بحادثتي؟ هل هذه تصفية حسابات بينك وبين نمار تستخدماني
فيها؟ أريد الخروج من هنا!

مرقت من جواره واتجهت إلى الباب.. لم يعترض طريقها..

قام واقفاً بهدوء بعد أن تمالك نفسه وجاء صوته هادئاً من ورائها:
- آسف يا موان.. لكن لن يُسمح لك بالخروج أو مغادرة
القصر..

فتحت الباب لتجد الحارسين يسارعان باعتراض طريقها
ويمنعاها من الخروج.. تفهقرت في صدمة وكأنها غزال وقع في
شرك يعلم أنه لا فرار منه.. التفتت إليه وصرخت:

- ما هذا؟ أهذا ما يفعله ملوك سينامجنين العظام؟ يختلقون
القصص ويأسرون نساء ضيوفهم؟ هذه ليست أخلاق ملوك بل
أخلاق لصوص وصعاليك؟ أخرجني من هنا.. دعني أرحل..
ترقق الدمع في عينيها العسليتين رغماً عنها..

- إلى أين يا موان؟ هل تريد حقاً العودة إليه؟ إلى الأمير
الفاسق الذي أذاقك شتى أنواع الإهانة والعذاب؟ عهدتك أبية
حرة!

- انظر من يتكلم! يخطف النساء ويأسرهن ثم يتحدث عن العزة
والحرية والإباء؟ أية وقاحة هذه؟

كانت تصرخ في وجهه وهي تذرع الغرفة جيئة وذهاباً وترفع
شعرها الأسود عن وجهها وتمسك رأسها بيديها وكأنها تمنعها من
الانفجار..

- هذه غرفتك الآن.. إن احتجت أي شيء سيكون الحرس في
خدمتك أمام بابك لا يغادرونه.. وسيُرسل إليك بخادمة تقوم على
رعايتك.. لن تُرغمي على فعل أي شيء.. كل طلباتك أوامر لكل
من حولك يا موان.

- كف عن مناداتي بهذا الاسم.. إن كانت طلباتي أوامر إذا
دعني أرحل..

- إلا هذا! صرخ بأعلى صوته وهو يشعر بقلبه ينفطر ويفقد
أعصابه وهو يراها مرتاعة بهذا الشكل أمامه ثم تمالك نفسه وتهد
قائلا:

- آسف.. ولكني لا أستطيع تركك ترحلين ثانية.. كل ما
أطلبه منك هو فرصة.. فرصة واحدة ثم قرري بعدها.. انظري..
حاولي أن تأكلي شيئاً وأن تنالي قسطاً من الراحة.. لا بد أنك
متعبة ومشوشة.. بعدها يمكنك التفكير أفضل.. أشار إلى المائدة
المعدة مسبقاً التي امتلأت بشتى أصناف الطعام والشراب.

- تصبحين على خير.

- أي خير وقد أصبحت أمة أسيرة تباع وتشتري؟ ليت الموت
يأتيني قبل الصباح!

انهارت على الأريكة المخملية، وقد أخفت وجهها بين كفيها
وهي تنسج في صوت مكتوم..

وقف أمامها عاجزاً لا يدري ماذا يفعل لا هو يستطيع الاقتراب
منها، ولا حتى مواساتها بالكلام؟ هو الملك الذي يؤمر فيطاع
ويتمنى فيلبي..

لم يكن يوماً أكثر عجزاً وحرناً.. تردد قليلاً ثم التفت ليخرج
من الغرفة وهو يفكر أنها تحتاج وقتاً كي تستوعب ما حدث وتهدأ
وتمنى من كل قلبه ألا يطول ذلك الوقت كثيراً.

- لا تتحركا من أمام الباب لأي سبب كان.. مفهوم؟ وجهه حديثه للجنديين الذين بدا عليهما الدهشة لما سمعاه من الصيحات والصراخ..

- أمرك يا مولاي.. أسرعا يجيبانه ثم انطلق في طريقه لا يلوي على شيء، ولا يفكر في شيء سوى أنه يجب أن يسرع ويرسل إليها راما حتى تبيت معها وتراقبها حتى الصباح.. كان يخشى حقاً أن تؤذي نفسها.

مشى مسرعاً في أروقة القصر والنيران البنفسجية في الأخاديد والمشاعل تهتز أمام ناظريه أكثر من المعتاد، وقد شعر وكأن العالم برزح تحت صمت ثقيل يضغط على أذنيه، فيجعل من قرع قلبه المختلط بحسيس النيران وصوت أنفاسه اللاهثة شديد الصخب في سكون الليل المطبق.

كان لقاتهما عاصفاً أكثر مما تخيل.. في الحقيقة كان أسوأ من كل توقعاته.. ترن كلماتها وصرخاتها في أذنيه.. يرى أمامه جزعها وهلعها منه فينقطع نفسه ويشعر وكأن الهواء قد غادر العالم بلا عودة.. رمته بكل التهم التي سمعها من قبل عن أسوأ وأقبح الرجال.. وكانت حجة أمامها ضعيفة واهنة.. وقف أمامها لا يستطيع الذود والدفاع عن نفسه.. ألم يكن في النهاية في نظرها مجرد رجل ولع بامرأة فاغتصبها؟ أزعجته الفكرة فهز رأسه في ضيق وكأنه يذب حشرة تزعجه.. لقد كانت خطيبته ولولا ما حدث كانت ستصبح امرأته.. ولكن هل يبرر ذلك ما فعل؟ أكان هذا هو السبيل الوحيد لئيلها؟ أم أن غرور الملك الذي لم يعتد إلا أن يحصل على ما يريد.. كانت له الكفة الغالبة في ميزانه العليل - كما لمح له حران من قبل-؟ أفاق من تصوراته أمام باب غرفة

خشبي.. تذكر وجهته وغايته.. راما.. طرق الباب طرقة خفيفاً
ولكنه ملح..

انتظر ثم أعاد الطرق ثانية ولكنه أشد قوة وإلحاحاً..

جاءه صوت ناعس يشوبه الغضب:

- من الذي يطرق الآن؟

- الملك.. افتحي يا قنتيج..

ذهب إليها بنفسه ليتأكد ويؤكد لها مدى أهمية الأمر.

- ماذا؟ الملك؟ عذراً يا سيدي.. لحظة واحدة..

سمع حركة سريعة خلف الباب ثم صوت ارتطام ولعن.. انفتح
الباب لتطل منه المرأة وقد تبعثر شعرها الرمادي الذي تشده دائماً
إلى الخلف على شكل كعكة، وقد لفت نفسها برداء أحمر قاني
وبدت مشوشة من أثر النوم:

- مولاي.. مولاي..

انعقد لسانها وفتحت فمها ولكنها عادت وأغلقتة.

- قنتيج.. اسمعيني.. أرسلني راما فوراً إلى غرفتي.. أيقظها من
النوم وأرسلها إليّ سأكون في انتظارها.. هل تفهميني يا قنتيج؟
كانت تنظر إليه بغباء وهي ما زالت نصف نائمة وفمها مفتوح من
الدهشة.. ولولا أنه لم يكن في مزاج جيد لضحك مليء فيه، وهي
تقف أمامه عاجزة عن الكلام مبعثرة الشعر والثياب..



هزت رأسها بعد برهة ونطقت بصعوبة:

- أمرك يا مولاي.. سوف أرسلها حالاً..

تركها ذاهلة وعاد إلى غرفته.. ظل يذرع الغرفة جيئة وذهاباً في قلق وهو يتساءل عما تفعله موان الآن.. كانت الشرفة مفتوحة على مصراعها والرياح تعصف بالخارج وتطير الستائر، وقد امتلأت الغرفة بالهواء البارد.. بعد وقت قصير -أحس وكأنه دهر- طرقت راما باب غرفته واستأذنت في الدخول.. كانت مذهولة وعلى وجهها آثار النوم وقد ازداد تبعثر شعرها الأحمر وأحاط بوجهها فبدا كأنه شعلة متوهجة من النيران.. استمعت إليه في صبر ووجوم وهو يقص عليها ويشرح لها الأحداث الأخيرة في ضوء الماضي الذي جمعه بموان في كلمات مبعثرة نافذة الصبر.. عندما انتهى من حديثه تكلمت في حذر:

- إذا مخطوبة الأمي.. ولكنها تراجعت عن إتمام كلمتها وأسرعت تقول:

- أقصد أن هذه الفتاة هي كما فهمت كانت مخطوبتك منذ سنوات ثم اختفت.. والآن قد احتجرت في غرفة لتبقى في سيناجنين، ولكنها لا تتذكر أي شيء.. ومهمتي أن أبقى معها وأتأكد من سلامتها، وأصبح عينك التي تنقل لك أخبارها ساعة بساعة؟!!

- نعم يا راما.. لا يمكنني أن أفكر فيمن هو أفضل منك للقيام بهذا الأمر.. ستحسنين صنعاً وما حييت لن أنسى لك هذا الجميل.. سيكون بمنزلة معروف تسديه إلي شخصياً..



لاح في عينيه رجاء وكأنه يأمل بطريقة ما أن تصلح راما ما
فسد بينه وبين حبيبته..

- مولاي.. هذا حقًا شرف لي.. ولكن.. لا بد أن الفتاة
مذعورة وغاضبة أيضًا.. لا بد أنها في غاية الأسى.. إنها ليلة
عصيبة عليها.. لا أقصد أن أحملك الأمر ولكن..

عجزت عن إكمال ما بدأت، ورغم ما قالته فقد بدت، وكأنها
تلومه وتذكرت ليلتها الأولى عند تاجر الجواري بعد أن باعها
زوج أمها، وانتزعها من حضن أمها، وهي طفلة مذعورة ترتجف
ولا تجد من يطمئنها.. شعرت أن الفتاة تعاني الأمر نفسه، وإن
اختلفت الظروف والمسميات.. خافت أن يكون الازدراء التي
تشعر به قد ظهر على وجهها أو في صوتها فأطرقت برأسها إلى
الأرض تهرب من عينيه.. ولكن الملك لم يكن في حالة تسمح له
بالاهتمام أو حتى ملاحظة أي شيء آخر غير المهمة التي أرادها
منها.

- نعم.. إنها كما تصفين بل وأكثر من ذلك.. أرجوك ساعديها
يا راما.. اعتصر وجهه الأسى والندم مشوبًا بالرجاء، وكأنه يأمل
أن تؤدي سحرًا ما لإصلاح الأمر مما جعلها تشعر بالقلق من
ضخامة المسؤولية التي يعهد إليها بها.

- أمرك يا مولاي.. سوف أبذل قصارى جهدي.. انتابها
إحساس بالشفقة عليه رغم كل شيء فهي لم تره من قبل في هذه
الحالة المرتاعة.

- هيا اسرعي.. سوف أرسل إليك (ماونتي) ليأتيني بالأخبار..
لا تكتبي فقط أخبريه الرسالة وسوف يوصلها إلي..



نعق الطائر ذو الرأس الأبيض القوي من فوق غصنه الضخم
المثبت على الحائط ثم طار وحط على كتف صاحبه.. دهشت
راما فهي لم تعلم من قبل أن الملك قادر على التحدث مع الطير
وفهم لغتهم.. فهي سمة نادرة بين أهالي المملكة، ويبدو أن الملك
يحسن إخفاء الأمر ويقصد ذلك.. لكنه في هذه الحالة المروعة لم
يعد يهتم بإخفائه.

- أمرك يا مولاي.. همت بالانصراف، وعندما وصلت إلى
الباب لتخرج استوقفها صوته:

- راما.. إنني أعتد عليك.. راعها نبرة الرجاء والتوسل في
صوته.. لم تسمع الملك يتحدث هكذا أبداً من قبل، التفتت إليه
فإذا بالدموع تترقق في عينيه القويتين غير مبالٍ بإخفائها عنها.

- سوف أبذل قصارى جهدي يا مولاي.. أعدك.

انصرفت وهي تعلم جيداً أن مهمتها ليست باليسيرة أبداً.

بعد أن خرجت راما ظن أنه سيشعر بالارتياح لتوليها المهمة..
ولكن ما زاده الأمر إلا قلقاً.. امتلأت رأسه بالأسئلة التي
لا يجد لها أجوبة.. هل ستنجح راما في تهدئة الفتاة المدعورة
الخائفة؟ أم أن الأمور ستزداد سوءاً؟ أحس وكأن جسده يشتعل
رغم أن نيران الأخاديد كلها قد أُنحمت من قبل، والرياح
الباردة تعوي في الغرفة، فالشرفة مفتوحة على مصراعها.. أزاح
حاشية سريره الذي يواجه الشرفة.. فلمع الرخام الأبيض البارد
الذي نُحِت منه المخدع وخلع قميصه وتمدد عليه.. ظل ساكناً في
مكانه وأفكاره تحوم حوله في الظلام تعذبه وتضنيه.. ظهر في
السماء ظل أسود لشيء يقترب من الشرفة.. كان هذا ماونتي

قد عاد من رحلة صيده.. سرُّ رُهان بعودته في هذا الوقت.. حط الطائر الأسود على صدر صاحبه العاري في خفة.. ربت عليه رُهان في حنان.

- ماونتي.. حمدًا لله أنك عدت الآن.. أريد منك أن تذهب إلى غرفة في شرق القصر التي أخبرتك عنها من قبل.. ستجد فيها راما وفتاة.. تلك التي حكيت لك عنها كثيرًا.. راقب الفتاة جيدًا.. عذرا يا صديقي ستحرم النوم هذه الليلة.. إياك أن تترك السماء إلا لتأتيني بالأخبار.. هذه أول ليلة لها ولا بد أنها ستكون جد صعبة.. وافني بأخبارها ساعة بساعة.. احرسها من أجلي..

ربت مرة أخرى على رأسه الأبيض كثيف الريش وانحنى له الطائر الضخم ثم حلق خارجًا إلى السماء الفسيحة..

ظل ممددًا على سريره يقتله القلق ويجافيه النوم.. عندما سمع طرقًا خفيفًا على الباب.. قام مسرعًا وألقى عليه قبصًا وفتح الباب وهو يتوقع أن يرى راما، فقد أخبر الحرس من قبل ألا يردوها في أي وقت، ولكنه بهت عندما رآها..

- أريانا!

وقفت أمامه بشعرها الكستنائي وعينيها الزرقاوين، وهي تلبس معطفًا أخضر من فرو نادر قد أهداها إياه عندما اشتكت من برودة الجوائف.. كان حارسا يقف خلفها ويبدو عليه التبرم.

- مولاي.. لقد أصرت على رؤيتك وهددت بقتل نفسها بخنجر معها إن لم ندعها تمر.

- رُهان.. أرجوك.. أريد أن أتحدث معك.. مُنعت من



الدخول إلى غرفة أبي أو أخي.. أرجوك.. ترققت الدموع في
عينها..

أشار رُهان للحارس بالانصراف.. شعر بالذنب لأنه نسي أمرها
تماماً.. لا بد أن الأمر قد وصل إليها وهي تشعر بالخوف وتتوق
إلى فهم ما حدث.

- تفضلي..

أفسح لها الطريق ودخلت الغرفة الفسيحة وعيناها مثبتة عليه..
أشعل رُهان نيران الأخاديد وأغلق الشرفة، فأصبحت الغرفة أكثر
دقاً.

- هل هذا أفضل؟

- نعم كثيراً..

- إنني آسف أنني لم أرسل لك أحدهم ليطلعك على الأمر.

- إذا فالأمر صحيح! ما سمعته صحيح..

- ما الذي سمعته بالضبط؟

- أنك ألغيت المعاهدة وأسرت مخطوبة أخي التي وقعت في
غرامها..

- ليست هذه الحقيقة بالضبط.. الأمر يطول شرحه.. ولم ألغ
المعاهدة حتى هذه اللحظة..

كانت لهجته باردة وجافية..

- اشرح لي يا مولاي.. إني أسمعك.

- رغم أنني غير مضطر لذلك.. ولكن لا بأس.. الحقيقة أن أخاك هو الذي خطف مخطوبتي، وجاء بها إلى هنا وهو يتوقع أن يمر الأمر من تحت أنفي.

- سيتورا!! مخطوبتك! ما هذا الهراء!؟!

- ليس هراء إنها الحقيقة.. لقد تاهت في عاصفة ثلجية بعد حفل خطبتنا بأيام ليجدها أخوك ويخفيها طوال هذه السنين رغم رسلنا لمملكتم برسم الأميرة المفقودة.. اسمها الأميرة موان وليست سيتورا..

أكد على جملته الأخيرة في تحد واضح.

- حتى وإن صح ذلك! لقد مرست سنوات! إنها لا تليق بك يا ملك سينامجنين! أنت تستحق من هي أفضل منها.. ما الذي يميزها تلك الغبية!

- حدث أنني لا أرى أية امرأة أفضل منها.. ولا حتى بنات الملوك الأميرات المتعجرفات.

- اسمعني يا مولاي.. إنك واقع تحت تأثيرها وسحرها كما فعلت مع أخي من قبل.. إنني أعرفها جيداً.

- كفى هراء! ماذا تريدن يا أريانا؟

ضيق ما بين حاجبيه العريضين الأسودين وبدا عليه الضجر.

كان يفصل بينهما بضع خطوات.. اقتربت منه اكثر حتى أصبحت مواجهة له تكاد تلامسه ثم بحذر.. أراحت رأسها على صدره..

- مولاي.. منذ أن رأيتك وأنا لا أفكر في سواك وأن أبقى بجانبك العمر كله.. إنني أحبك.. دعني أبرهن لك عن حي الليلة.. أنا لا أريد سواك يا مولاي..

رفعت إليه رأسها الجميل ولاح في عينيها الزرقاوين الشوق والوجد..

اشتعلت في جسده ناراً.. هو الذي لم يقرب امرأة منذ أكثر من شهر.. تقف إحدى أجمل النساء التي رآها لتعرض نفسها عليه.. وهو في أشد الحاجة للانتصار.. وهو يتوق إلى أن يحب.. تملكته رغبة عارمة في أن ينساق معها.. أن يلبسها.. يقبلها.. ولكن ماذا بعد؟ إنه يعلم يقينا أن الأمر لن يتعدى الليلة.. لن يتعدى هذه اللحظة الجامحة.. وهي لا شيء له.. ولكنه سيصبح كل شيء لها، لذلك لا بد أن يملك نفسه.. أن يجمع رغبته تلك لأنها ستدمره.. لا لن يفعل ذلك.. لن يستغل ضعفها.. ولن يخون أباه حتى وإن كان فاسداً عريداً..

أمسك ذراعيها بيديه وأبعدها عنه بلطف.

- اسمعيني يا أريانا.. إنك جميلة حقاً وذكية.. كثير من الرجال يتمنونك.. ستعثرين على من يحبك ويقدرك ويجعلك ملكته.

- إذا أنت تختار تلك الحقيبة عليّ..



ضغط بيديه على ذراعيها واقترب من وجهها قائلاً في غضب:

- الحقيرة يا أميرة أريانا من تعرض نفسها على رجل لا يحبها وهي لا تعباً بشرفها ولا بشرف وكرامة أبيها.. حرااa

صرخ بأعلى صوته حتى أنها انتفضت بين يديه.. دخل الغرفة حارسان مسرعان:

- أمرك.. مولاي.

- اصطحبوا الأميرة أريانا إلى غرفتها.. وضعوا عليها حراسة مشددة.. ولا يُسمح لها بالخروج منها حتى تغادر غداً.

- مولاي.. أرجوك.. إني آسفة.. امنحني..

أدار لها ظهره وصرخ عالياً مقاطعاً كلامها:

- هياااa

جاء الحارسان إليها ليقتاذاها.. كانت مبهوتة ومصدومة مما قال وفعل، ولكنها حزمت أمرها في النهاية ومشت بينهما في استسلام وخنوع بعد أن أدركت أنه لن يسمح لها بمزيد من الحديث وأنه قال كلمته الفصل..

ولكنها توقفت عند باب الغرفة قبل أن تغادر، وقالت في تهكم مشوب بالحقد والاستمئاع:

- إن كنت تظن أن سيتورا قديسة يا ملك سينامجنين! فإنك

واهم وإلا لم يستطع أخي تركها وراءه؟

ألقت كلماتها المسمومة ثم غادرت في هدوء.. زفر بقوة عندما خرجت وهو يشعر بالازدراء تجاهها.. يا لها من حقود لئيمة! آه من النساء وما تصير إليه حينما تشعر بالغيرة! ألقى بنفسه مرة أخرى على الرخام الأبيض البارد لمخدعه بعد أن أحمذ النيران ثانية وفتح الشرفة على مصراعها كما كانت من قبل، وظل ينظر إلى السماء المظلمة مترقباً عودة ماونتي، وهو يعلم أنه لن يرمش له جفن هذه الليلة.

* * *



انتشرت أشعة الشمس في أرجاء غرفة الحكم بعد أسابيع من تساقط الثلج الكثيف.. عم الدفء بعد طول غياب فارتفعت الروح المعنوية بين قاطني القصر وبدأت الابتسامات على وجوه الجميع.. إلا أن رهان الذي أظلت وجهه الجميل نظرة ساهمة وهو ينظر إلى المجلس المنعقد أمامه في القاعة ويستمع إلى التقرير الصباحي بدا وكأنه لا يسمع ما يقال حقاً.. حتى إن وزير الغابة الذي يعد من أهم وزرائه قد اضطر إلى مناداته أكثر من مرة حتى انتبه له أخيراً.

- عذراً.. هلا أعدت ما قلت مرة أخرى يا سيماريب؟

لم يخف على أحد في القاعة سبب وجوم الملك.. فبعد سويغات من لقائه العاصف بموان، امتلأ القصر بالقييل والقال وتبادل قاطنو القصر الأحاديث الهامسة والتكهنات عن الأمر واختلفت الروايات المتناقلة عن الفتاة بعد أن أضاف كل واحد منهم حيكته الخاصة للقصة حتى تناقل البعض أن موان ابنة غير شرعية للملك الراحل وأخت الملك رهان الذي كان يبحث عنها بعد أن أفصح له أبوه عن أمرها على فراش الموت، وعهد إليه بالبحث عنها.. إلا أن قلة في القصر كان يعلمون حقيقة الأمر ومع ذلك لم يكلفوا أنفسهم عناء تصحيح الأقاويل وتركوا الأمر للأيام.. ولكن حتى هذه القلة استنكرت بينها وبين نفسها ما فعله الملك، وما قد يسببه من حرج بأن يقال أن ملك سينامجنين المعظم قد خطف امرأة رجل آخر كان يحل عليه ضيفاً في قصره وأسرهما.. إلا أن رهان عندما خطا خطوته توقع كل هذا اللغظ والقييل والقال، ولم يكن هذا اللغظ هو سبب شرود ذهنه وهذه النظرة

الساهمة الواجبة المرترسة على وجهه اليوم.

كان حُران يرمق صاحبه بطرف عينه في قلق واضح.. وقد مرت ثلاثة أيام منذ لقائه مع موان الذي لا يخفى على أحد في القصر -سواء اعتقد أنها أخته أو حبيبته- أنه لم يمر بسلام.. وعلى الرغم من تجنب الملك ذكر الأمر لصاحبه صراحة والحديث فيه، ويبدو ذلك بسبب موقف حُران من الأمر كله بادئ ذي بدء.. فإنه كان يرى الضيق على وجه صاحبه كل مرة يأتيه ماونتي بالأخبار من راما وقد أبدى حُران دهشته من مجيء ماونتي عدة مرات في اليوم على غير العادة.. ففسر له الملك الأمر في اقتضاب سمج بأنه قد طلب من راما موافاته بالأخبار أولاً بأول.. مرة أخرى لم ينتبه الملك إلى حديث وزيره، وعم المجلس صمت مطبق بعد أن اضطر سيماريب لمناداة الملك عدة مرات دون إجابة منه.. كان للصمت المطبق أبلغ الأثر فانتبه الملك أخيراً..

- عذراً.. أشعر بالتعب اليوم ولا أستطيع التركيز.. سوف ينوب عني الوزير حُران في هذه الجلسة.

سرت الهمهمات في المجلس عند مغادرته التي علم جيداً كنهها، ولكنه لم يهتم بها على أية حال.. فلأول مرة منذ توليه الحكم منذ خمس سنوات يغيب الملك عن المجلس الصباحي ويبدو كأنه غير عابئ بالتقارير والأخبار.. فلقد كانت هناك أخبار أخرى تؤرقه وتحرقه من الداخل كالنار.. منذ ثلاثة أيام والأخبار تأتيه من راما لا تغيير فيها، وإن كان يأمل في أول يومين بأن هناك تغييراً سيحدث فقد خاب ظنه أخيراً، موان ترفض الأكل والشرب والحديث أيضاً، ولكن المصيبة الأكبر أنها ترفض الدواء.. هذا الدواء الذي أنقذ حياتها منذ ست سنوات خلت عندما عثروا عليها مدفونة تحت الثلوج وتكاد تكون أقرب للهوت منها للحياة..

الدواء الذي يجعل جسدها قادراً على تحمل البرد الذي لم يكن لجسدها وقلبها قدرة على تحمله من قبل.. وعندما خطط رهان لاستبقاء موان.. كان الحصول على تركيبة هذا الدواء أولى أولوياته.. لذلك عندما غادر وفد ليموراس منذ يومين أبقى رهان الطبيب المصاحب لهم الذي جاء مع الوفد ليعتني بصحة الملك العليل- حتى يتأكد من تحضير الدواء لموان تحضيراً صحيحاً.. حتى إذا ما يعلم معالج القصر تركيبة الدواء عندها سيتمكن من العودة إلى بلاده سالمًا.. ومن دون هذا الدواء تصبح موان في خطر عظيم كما كانت من قبل منذ ست سنوات.. قد ينهار قلبها وجسدها خلال أيام لعدم تحمله الجو القاسي لسينامجنين كما حدث من قبل.. وعلى الرغم من الدفء النسبي الراهن بسبب توقف سقوط الثلج فإنه لن يدوم سوى أيام قليلة ليعود الثلج للتساقط بكثافة أقوى هذه المرة.. ظل يفكر طوال الأيام السابقة متمنياً أن تتخلى موان عن عنادها وتخور قواها فتعدل عن عزفها عن الطعام والدواء، ولكن بدا أن كل ساعة كانت تزيدها قوة في قرارها وضعفًا في جسدها حتى أصبح يخشى عليها الموت.. كانت كما عهدتها من قبل صلبة الإرادة، لكنه لا يتذكر أنها كانت غير مبالية بحياتها، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن ما عاصرته في القصر الليموراسي لم يكن سهلاً حتى إن فكرة أن تمر به تارة أخرى -في اعتقادها- يجعل حياتها بلا قيمة في نظرها.. لا بد أنها تود العودة إليه على الرغم مما أذاقه لها، فعلى الأقل هي تألف وتعرف ما ينتظرها في ليموراس.. فكر في حزن أنها ترى أن مثله مثل نمار بل ربما أسوأ فعلى الرغم من كل شيء قد أنقذ نمار حياتها من قبل.. ضاق صدره لهذا الخاطر.. كان متعباً غاية التعب فهو لم يستطع النوم منذ ثلاث ليال لانشغال فكره دون انقطاع.. كيف يمكنه الخروج من هذا المأزق حتى هداه تفكيره إلى خطة يرجو نجاحها.. اتفاق يعقده معها ويتمنى أن ينجح.. لأنه إن لم ينجح لن يكون أمامه سوى خيار إطلاق سراحها، وهو حكم

بالموت عليه، ولكنه لحسن الحظ فهي لا تعلم وجود هذا الخيار لأنه قد يُفشل كل محاولة له معها إن علمت به..

وصل إلى غرفتها.. وقف برهة أمام الباب يستجمع شتات نفسه وأخذ نفساً عميقاً ثم طرق الباب.. فتحت له راما وأطلت برأسها تتحدث هامسة

- مولاي.. حمداً لله أنك جئت.. إن الوضع يزداد سوءاً.. همست وعيناها تتسعان في خوف.

- يمكنك الرحيل يا راما وأخذ قسط من الراحة.. وابعثي بغيرك لتبيت هنا الليلة.

- لا يا مولاي.. سوف أبقى معها.. يسعدني خدمتك.. أرجو أن تفلح في إقناعها.. حاولت الحديث معها ولكنها لا تستجيب ولا ترد وتظل ساهمة وكأنها في وادٍ آخر.

- هيا يا راما.. اذهبي الآن.. قاطعها بلهجة أمرة نافذة الصبر.

- أمرك يا مولاي.. سوف أعود بعد قليل إن أردت شيئاً..

بعد أن رحلت راما.. دخل في هدوء ووقف عند مدخل الغرفة.. كانت موان تنزوي في أحد أركان السرير وهي تضم رجليها إلى صدرها وتحيطهما بذراعيها وكأنها تحضن نفسها بحثاً عن الدفء والأمان.. كان شعرها الأسود مسترسلاً على وجهها كما كان منذ ثلاثة أيام، ولكنها كانت أكثر شحوباً وقد ازرقَّت شفثاها الورديتان وبدا تنفسها ثقيلاً وغير منتظم وله صفير.. ستقتل نفسها! فكر في نفسه في جزع وهو يشاهدها تجلس مستسلمة لا تبالي بحياتها.. لم تلتفت إليه.. ظلت نظرتها ساهمة ترنو إلى

الخارج وهي تنظر إلى السماء الزرقاء التي تظهر من نافذة الغرفة.

- موان.. موان.. زفر بقوة ثم استسلم وناداهما.

- سيتورا.. على الرغم من أنها لم تلتفت إليه فإن شيئاً ما في وجهها الجميل أخبره بأنها بدأت تصيح السمع قليلاً.. شيء ما في عينيها العسليتين الخاويتين أنبأه أنها قد تصغي ولو قليلاً.

- اسمعيني.. أعلم بأنك ترفضين الطعام والشراب والدواء.. تمتنعين عن الحديث.. أعلم بأنك تحاولين إيذاء نفسك جاهدة وترين أنه مخرج جيد من كل هذا، وأنت حقاً لا تهتمين بما سيحدث لك، ولكنني أهتم يا موان.. أو سيتورا إن شئت.. إنني أهتم بذلك حقاً ولذلك سوف أعرض عليك صفقة.. اتفاق بيني وبينك.. إن وفيتِ وفيتِ.. فكري قليلاً.. إن استمرت فيما تفعلين تخسرين كل شيء.. صحتك.. حريتك.. حياتك.. ولكن إن قبلت بالاتفاق ستحصلين على كل ما تريدين.. حياتك وحريتك، ولن تخسري شيئاً في المقابل.. أخيراً التفتت إليه ببطء وجالت ببصرها في وجهه وكأنها تبحث عن الخديعة فيه..

أسرع يقول وقد أحس بالبشر لالتفاتها إليه وإن ارتسمت على وجهها نظرة حذرة:

- اتفاق بسيط بيني وبينك.. تأكلين وتناولين دواءك.. تتحدثين وتتنزهين وإن كنت لا تمنعين فلا تحاولي الهرب، وإن كنت لا أريدك أن تحملي همّ هذا الأمر، فلن أدعك تغيبين عن عيني.. وأظن أنني قد أكون متفائلاً أكثر من اللازم إن طلبت منك أن تبسمني من وقت لآخر لذا لن أتحدث عن الضحك البتة.. رفعت حاجبها في دهشة للبساطة والبرود اللذان يتلو بهما شروطه التي

ترقى للوقاحة في رأيها، وقبل أن تتحدث استطرد:

- أي تمارسين حياتك طبيعياً أو دعينا نقول شبه طبيعية.. كل هذا مدة عام لا أكثر.. بعدها سوف أفتح لك يا عزيزتي أبواب قصري على مصراعيها، فإن أردت الذهاب فلن أمنعك.. سأترك لك الخيار بين أن تبقي أو ترحلي! ضيقت ما بين حاجبيها وكأنها لا تفهم شيئاً مما يقول.

- أعلم أنك تفكرين ما الذي يضمن لك كل هذا؟ كل ما أستطيع قوله لك أننا ملوك سينامجنين لا نحث بعودنا أبداً.. فكلمتنا سيف على رقابنا.. كما إنك لن تخسري شيئاً، ولكن يوجد كثيراً لتكسبيه أولهم حياتك.

- إنكم لا تحثون بعودكم، ولكنكم تخطفون نساء غيركم.. تحدثت بسخرية مريرة ثم أردفت:

- أنت تعلم جيداً أنني سأختار الرحيل.

- أقسم لك يوماً لن أمنعك.. رد عليها باقتضاب متجاهلاً استفزازها إياه.

- عام كامل؟! يا إلهي.. دفت وجهها بين كفيها.. انتظر برهة قصيرة ثم عاجلها بالسؤال حتى لا يترك لها مجالاً للتفكير المطول أو الانهيار.

- ها.. ماذا تقولين؟ حاول ألا يبدو صوته واهناً مترجياً، ولكنه خانه فاكتمسى بنبرة توسل وإن شك أن تلاحظ ذلك لاستغراقها في أفكارها.. تردد في خلدتها صوت الملك ريبيل وهو يتحدث مع نمار عن ملوك سينامجنين ونفرهم أنهم لا يحثون بعودهم -وقد

كثرت الحديث عنهم قبيل سفرهم- كان هذا استهزاءً منه وسخرية فهو وابنه لا يتورعون عن الحنث بالعهود المغلظة كما عهدتهم بل ويفخرون بالأمر ويرونه من المكر بالأعداء والذكاء.. هل تصدق مقالاتهم عنهم؟ أم إن الأمر كذب كما اعتاد هو وابنه الكذب دوماً؟ ولكن هل لديها خيار حقاً؟ إنها بالفعل تشعر بالوهن والحوار وثقل كبير على صدرها، وكأنها ستفارق الحياة للحظة القادمة.

- موان.. هل أنت بخير؟ سألها في قلق وهو يقترب.. كانت تبدو في غاية الوهن وقد ألقت برأسها تستند إلى أحد أعمدة السرير وكأنها ستفقد وعيها ولكنها أشارت إليه بيدها لتمنعه من الاقتراب أكثر.

- نعم.. إنني بخير.. ولكن أيها الملك يجب أن أسألك ماذا تريد مني خلال هذا العام؟ كان صوتها واهناً يكاد يكون مسموعاً.

- ماذا تقصدين؟

- لقد سجنيني في هذا القصر لهدف ما، وإنني لا أعلم أي سبب يجعلك تفعل هذا غير سبب واحد.. قاطعها قائلاً:

- تأكدي أنك في ضيافتي لن يضرك أو يسوؤك شيء.. وألا شيء ستكرهين عليه..

- كيف تقول ذلك؟! ومكوئي هنا كله بالإكراه.. ما نزولي هنا إلا غصباً!

- نعم.. هذا صحيح.. ولكم يؤسفني هذا.. ولكنني أعدك ألا يسوؤك أي شيء آخر.. ماذا قلت في عرضي؟ كانت لهجته قاطعة

حازمة لينهي هذا الجدل الذي لا طائل منه.

- ليس لي من الأمر شيء أيها الملك.. سأقبل بعرضك لا لأنه خيارى ولكن لأنه خيارك أنت الذي فرضته علي.. كانت تتحدث وهي شاخصة ببصرها ترنو إلى خارج النافذة وتسد رأسها المتعب إلى أحد أعمدة السرير المذهب ولا تنظر إليه، وقد انسابت دمعة من مقلتيها.. وعلى الرغم من أنه يدرك مآل ما تقول من قهر وأسى فإن هذا لم يمنعه من الشعور بالراحة أخيراً بعد أن قبلت عرضه.

- إذا سوف أطلب الطعام ولن أغادر حتى أتأكد أنك قد تناولت طعامك دواءك.. كانت نبرته هادئة لا توحى بشيء مما يعمل في صدره.

غادر الغرفة وعاد بعد قليل ومعه خادمتان إحداها قصيرة وممتلئة ووجهها شديد الحمرة والأخرى طويلة ولها وجه شديد الطول كالحصان.. كانتا تجملان طاولة رُصت عليها أصناف شتى من الطعام.. تناولت موان حساء كثيفاً طيب المذاق، لكنها رفضت أن تأكل أكثر من ذلك وتناولت دواءها وشعرت بالتحسن وعاد اللون الوردى ببطء إلى وجنتيها وشفتيها.. كانت قد استسلمت للخادمتين الطيبتين اللتين ساعداتها في كل شيء دون تدخل من رُهان الذي انزوى بعيداً في أحد أركان الغرفة براقبهما.. دثراها جيداً بمزيد من الألففة من الفرو الناعم، واستغرقت في نوم عميق بعد أن عاد تنفسها إلى إيقاعه المنتظم متجاهلة وجود رُهان في الغرفة الذي وإن ضايقها بحضوره فإنها لم يكن لديها من القوة والشجاعة الكافية لتعرض على الأمر.. وبعد أن أصبح تنفسها أثقل بفعل النوم واطمئن إلى نومها طلب من إحدى الخادمتين أن تزيد النيران في المدفأة، ثم غادر الغرفة

بعد أن أطال النظر إليها، وهي تنام بسلام وقد احمرت وجنتاها قليلاً.. كان يشعر برغبة شديدة في النوم بعد أن جفاه ثلاث ليال طوال، وذلك على الرغم من أن النهار ما زال في أوله وينتظره كثير من العمل.. ذهب إلى غرفته وألقى بنفسه على سريره على وجهه.. حلق ماونتي وحط على ظهره وأخذ ينقره في ظهره نقرًا خفيفًا، وكانت هذه إحدى طرائقه للتعبير عن فرحته بعودة صاحبه..

- إنني بخير يا ماونتي الآن.. لا تقلق يا صديقي.. ربض الطائر الأسود الضخم ذو الرأس الأبيض فوق ظهره وضم جناحيه يغطي عينيه استعداد للنوم فوق صاحبه.

وفي الصباح التالي استيقظت موان أحسن حالًا، وهي تشعر أنها أوفر صحة.. وجدت راما تقف أمام الطاولة المواجهة للنافذة تغير الورد في المزهريه يساعدها في ذلك طائران أحدهما ذو ريش أصفر وأحمر والآخر ذو ريش أزرق جميل وذيل طويل مصدرين أصواتًا عذبة رنانة.. وقد حمل كل واحد منهما في منقاره وبين رجليه أغصان الورد الجميلة يناولاها لراما التي تنسقها.. ثاءبت موان في كسل وهي مستمتعة بأشعة الشمس الذهبية التي قلها تراها في هذه المملكة المتجمدة.. التفت إليها راما وهي تبسم ابتسامة واسعة ومن ثم التفت الطائران مثلها.

- تبدين أحسن حالًا اليوم يا سيدتي.. حمدًا لله أنك أكلت البارحة وتناولت دواءك.. كدت أموت قلقًا عليك وأنا أراك تذبلين بهذه الطريقة المفزعة.. كم أنا سعيدة أن نجح مولاي في إقناعك.

اختفت الابتسامة التي كادت أن تظهر على وجهها عندما



جاء ذكر رُهان، وظهر على وجهها علامات السخط والغضب..
كانت تجلس على سريرها متكئة تحيط بها الوسائد الوثيرة من
الفرو الأبيض والبني الناعم وتندثر بلحاف ثقيل من الفرو البني
الناعم وقد تبعثرت خصلات شعرها الفاحم (شديد السواد) على
وجهها الجميل الشاحب من أثر التعب.. ظهرت فجأة في عينيها
العسليتين نظرة ساخطة نارية وثار بداخلها إحساس حارق لاذع
بأنها تكره كل شيء في هذا العالم الجديد الذي فرض عليها فرضاً
وعلى رأسهم سجانها الحقير.. ورغم ذلك فإنها لم تستطع أن تكره
راما بشعرها الأحمر ووجهها المستدير الطفولي ولطفها وطيبتها..
كانت خلال الأيام الماضية تحاول أن تهون عليها عزلتها وسجنها
وكانت تلح عليها بالطعام والشراب حتى أنها بكت يوماً متوسلة لها
فأذعنت لها وقضمت كسرة خبز وكانت هي الشيء الوحيد الذي
دخل جوفها تلك الأيام.. كانت كالملاك الحارس تحاول أن
ترسم الضحكة على وجهها دون جدوى وتحاول تسليتها بقصصها
الكثيرة، وعلى الرغم من عدم استجابة موان لها فإنها لم تيأس مما
جعل موان تكن لها مشاعر طيبة وتظن أنها مثلها ضحية لهذا الملك
الفاسد.. كانت تستغرب من مقدار النفوذ والسلطة التي لديها
وهي التي تعلم جيداً الحال البأس لهذه الفتيات التعيسات داخل
جدران القصور المترفة.. إلا أن راما كانت تصرخ في الجنود
-وأحياناً كانوا ذوي رتب عالية- فيرتبكون ويهرولون لتنفيذ ما
طلبت دون زجر منهم لها بأي شكل من الأشكال.. وبدأت محبوبة
من الجميع وكانت ذات مكر وذكاء لا يخفى على من حولها..
عندما رأت في وجه موان الغضب أسرعت تقول وهي تصرف
الطائر من الغرفة بعد أن فرغت من تنسيق الورود.

- سيدتي.. أعرف مقدار ألمك وحزنك ولك الحق تماماً، ولكن
قد ثبت لك الأيام أن مولاي رجل صالح لم يقصد إيذاءك.

ردت عليها موان في تحد واضح وقد عقدت ذراعها أمام صدرها.

- لا يبدو أن مفاهيم الصلاح مختلفة فقط عند سيدكم، ولكنها ظاهرة متفشية في المملكة كلها!

- سيدتي قد تكون سنوات عمري ليست طويلة، ولكنني أستطيع أن أعرف جيداً متى يكون المرء محباً وعاشقاً.. إنه يحبك يا سيدتي.. بل أكاد أقسم...

قاطعتها موان بحدة وهي تصرخ ويتصاعد الدم إلى وجهها الشاحب:

- أي حب هذا الذي تتكلمون عنه؟ ما أغربكم حقاً! أي حب هذا الذي يجعل من محبوبك أتعس الناس حالاً؟! لا تتحدّثي عما لا تعرفينه يا راما..

- إنك لا ترين كيف ينظر إليك.. كيف يرق وجهه عندما يذكرك.. كيف يلين صوته ويتهدج حينما ينطق اسمك.. ذلك الملك الذي يهدر كهزيم الرعد في الرجال يتحول إلى صبي صغير يفعل ما بوسعه حتى يرضيك.. إنه يحبك يا سيدتي.. أقسم لك.

- إذا فهو حب أعمى لا رحمة فيه.. مثل هذا لا يعد حباً، لذا مرة أخرى لا تتحدّثي عما لا تعرفينه.. لا يبدو أنك تعرفين عن الحب شيئاً..

أسرعت راما تقول كاذبة وهي الغارقة في الحب حتى أذنيها:

- نعم سيدتي.. لا أعلم عنه شيئاً.. أطرقت راما برأسها حتى



تعب رباح غضب سيدتها بسلام.. وارتفع الصمت بينهما كالجدار الأصم.. أحست بالذنب تجاه صراخها على راما.. فما بالها تعنف الجارية الطيبة التي تحاول أن تهون عليها مصابها.. تلك المخلوقة الجميلة ذات الشعر الأحمر المتوهج التي تؤنس وحشتها منذ أن سُجنت في هذا القصر المقيت.. نظرت إليها في عاطفة وفكرت في نفسها كم يتشابهان.. كلاهما فقد حرته وأجبر على حياة لم يخترها بل صنعها له الآخرون وإن اختلفت أماكنهما في الحياة.. سألتها وهي تبسم لها مطمئنة.

- راما.. ألا تشاقين لحررتك؟

خافت راما أن يكون قد بدا عليها شيئاً فأسرعت تقول كاذبة:

- لا.. لا يا سيدتي.. إنني سعيدة ها هنا..

رفعت موان حاجبها في دهشة.. ثم خفضتهما وضحكت:

- يا لك من كاذبة يا راما.. إنك تخفين أمراً..

وقبل أن تجيب راما سمعتا طرقةً بالباب.. أسرعت راما تفتح الباب وهي تحمد الله في سرها على قطع حديثهما بفعل هذه الطرقات المباركات..

- مولاي.. تفضل بالدخول.

رمقتها موان بنظرة نارية من وراء ظهرها لسماحها له بالدخول دون إذن منها.. فعلى الأقل هذه غرفتها الخاصة - كما أخبرها من قبل - ولها الحق كل الحق أن تأذن لمن تشاء بالدخول أو تمنعه، ولكن ما هذه إلا أوهام يا غبية.. إنه الملك وأنت أسيرته! فهل



يُستأذن الأسير؟! إنه ملك هذا القصر بكل ما فيه من غرف ومتاع وحتى البشر.. كيف لراما المسكينة أن ترده أو حتى تسألك الإذن له بالدخول من عدمه مهما ادعى من قبل أنها غرفتك.

ظل واقفاً عند الباب لم يتقدم وهو ينظر إليها من فوق كتف راما التي تحت جانبا ليمر.. أشاحت بوجهها بعيداً عنه.. هل يظن أنها قد تأذن له بالدخول أو حتى تتكلم معه.. هذا المتعجرف الحقيير.. في النهاية دخل الغرفة بعد أن طال الصمت.. لعله رأى صمتها إذناً له بالدخول أو أنه ببساطة تخلى عن زيف أدبه وخلقه الرفيع.. التفت إلى راما..

- يمكنك المغادرة الآن يا راما.. شكراً لك.. خطفت نظرة فاحصة إليه بينما ينظر لراما.. شعر أسود مبعثر تنتشر فيه خصلات بيضاء على الرغم من أنه يبدو في منتصف عقده الرابع.. عينان سوداوان حادثان تحت حاجبين عريضين وتحيط لحيته الكثة بوجهه في غير طول.. وجهه جميل ولكنه أقرب إلى الرعاع من الملوك.. هكذا فكرت في نفسها.. انتظر حتى خرجت راما من الغرفة ثم تحدث بصوته الرصين الهادئ.

- حمداً لله، تبدين أفضل حالاً اليوم.. ولكن لا بد وأنت قد مللت من الجلوس في هذه الغرفة.. يمكنك إن أحببت التجول في القصر ومشاهدته ولكن حذار أن تتوهى فيه.. وقد تستمتعين بالتنزه في حدائقه الفسيحة وهي مملأى بحيوانات جميلة غير مفترسة.

كان يتلو عليها بطريقة ذكية الحدود المسموح بها لها في سجنه.. أرادت أن تقول له أنها لا تخشى حيوانات البرية، ولكنها تخشى

تلك الموجودة في القصر، ولكنها أمسكت لسانها خوفاً من بطشه.

- لا أظن أنني سأغادر هذه الغرفة.. أنا لست في نزهة هنا يا سيدي.. إنني سجينتك عاماً قادمًا كما أخبرتني من قبل.. وعندما يفقد المرء حرته فإنه لا يستمتع وإن كان في قصر فسيح بجذائق غناء.. كانت تنظر إليه مباشرة في تحد واضح..

- ولكن بهذه الطريقة سيمر العام عليك كأنه مئة عام.. قالها دون أن يحيد بنظره عنها.. ما أشد عذابه! ما الذي فعله به وبها؟! ها هي حبيبته التي تعذب سنيًا بفراقها على بضع خطوات منه، ولكنها أبعد من أي وقت مضى عنه.. ها هي أمامه تعذبه وهو لا يستطيع أن يخبرها كم يحبها.. لا يستطيع أن يطلب منها الغفران على كل شيء حدث ويحدث.. كل ما يفعله يثير غضبها وحنقها.. إنه يحترق من الداخل وهو يراها تصده صدودًا، وهو لا يرى في عينيها الجميلتين سوى الخوف والغضب والبغض.

- لا تزج نفسك بكيفية قضائي للوقت.. إن السجن لا ينبغي له أن يهتم كثيرًا..

- كفى.. كفى.. كانت صرخته تصم الآذان، وقد احمر وجهه من شدة الغضب.. اندفع بضع خطوات في اتجاهها ثم توقف وكور يده في الهواء، وقال وهو يصر على أسنانه:

- يا إلهي.. إنك تصيبيني بالجنون.. يكفي هذا.. يكفي.. ألا تفهمين؟!.. إن مصيرك بيدي..

انتفضت من قوة صرخاته وانكشيت على نفسها وقد أصابها الهلع من غضبه.. زفر بقوة وهز رأسه في ندم على ما قال وهو يخلل أصابعه في شعره الرمادي بقوة.. لقد زاد الطين بلةً بصراخه فيها

بهذا الشكل.. غادر الغرفة سريعاً بعد أن صفق الباب بقوة ظنت معها أنه سينخلع.. دخلت راما بعد أن طرقت الباب وهُرعت إليها وهي جالسة على الأريكة

- سيدتي.. أرجوك..

احتضنتها بين ذراعيها وأخذت الفتاة التي كانت تدعي وتُظهر الشجاعة منذ لحظات تنسج نسيجاً حاراً، وهي ترتعد في حضن راما.

* * *



- إنها لا ترى فيّ سوى خاطفها وسجانها! ولا ترى في هذا القصر على رحابته واتساعه سوى سجن مقيت.. تكرهني وتكره كل شيء هنا ولا تعبأ حتى بإخفاء ذلك ولا تفوت أية فرصة للجهر بذلك وإظهاره لي.. لم تدع لي أية فرصة لتحسين تلك الصورة المقيتة إلا وسدتها في وجهي..

كان يتحدث بصوت ملؤه الغيظ وهو يذرع الغرفة جيئة وذهاباً محموراً.. اعتدل حُران في جلسته ومنع نفسه من التفوه بعبارات هي أول ما قفزت إلى خلدته لن تزيد الأمر إلا سوءاً، كأن يقول له: «لقد حذرتك من قبل» أو «وماذا كنت تتوقع غير هذا؟» وغيرها.. وذلك أن والده -الذي كان وزيراً لآريوس من قبل- قد علمه أنه يجب ألا يستهين بغضبة ملك ثائر بأي شكل من الأشكال.. حتى وإن كان الأمر بسبب امرأة يحبها، أو خاصة إن كان بسبب امرأة يحبها.. فحتى أكثر الرجال عقلاً وحكمة يستطيع حبُّ أعمى أن يذهب بكل عقله وحكمته أدراج الرياح.. ألم يعلم أن تلك المرأة التي يحمل لها ذكريات سنوات من الحب والعشق والفقد والحرمان لا تتعدى ذاكرتها عنه سوى أيام وكان بداية تعرفها إليه -على الأقل لها- إنه بحق قد خطفها وأسرها.. كل ذلك دار بخلد الوزير وهو يستمع إليه إلا أنه آثر الصمت على التفوه بأمور لن تفيد في هذا الوقت.. فملك سينامجنين لم يكن أحق أو مغيباً عما يدور خلف ظهره في جنبات القصر من ثرثرة وحتى في صدر أقرب أصدقائه.. ألقى بجسده في كسل وإحباط على أريكة مقابلة لصاحبه، وكأن كل الكلام الذي لم يبح به صاحبه قد أثقله وأعياه.

- أعلم أنني أتعجل الأمور.. أعلم أنها هنا منذ أيام معدودات فقط ولكني..

- ولكنك تحبها وتشتاق إلى أن تعود المياه بينكما إلى مجاريها، ولكن يا رهان سيحتاج هذا إلى وقت.. اسمعني يا رهان.. هَبْ أن موان ليست تلك التي عرفتها منذ سنوات تخيل أنها امرأة جديدة وقعت في حبها ماذا ستفعل؟

نظر إليه بعينين خاويتين.. فأجاب حُران السؤال الذي طرحه:

- افعل كما فعلت من سبع سنوات.. عندما أغرمت بك الفتاة.

- لم أفعل سوى أنني أحيتها بصدق..

- افعل ما فعلته يومها.

- يومها لم أكن خاطفها.. يومها لم أحتجزها رغماً عن إرادتها.. يومها لم أكن أميراً حتى في نظرها.. لم أصرخ في وجهها وأجعلها تبكي.. يا ويلى.. لا أمل لدي ستكرهني حتى آخر يوم في حياتها.. وضع رأسه بين يديه وهو يشعر بالعجز الشديد.

- اهدأ.. اهدأ يا رهان.. صدقني إنها مسألة وقت حتى ترى ذلك الرجل الذي أحبته..

لم يكن واثقاً مما يقول، ولكنه أشفق على صاحبه مما يظن أنه حقيقة الوضع الراهن بينهما بالفعل.. فقد كان يرى الوضع مريعاً بالفعل.

أسند رهان رأسه إلى الأريكة وزفر زفرة قوية.. يخالطه الآن



الشك في كل شيء، وهو الرجل القوي الحازم في قراراته.. هل ما فعله كان صحيحاً؟ هل موان ما زالت تلك الفتاة الحلوة التي أحبها يوماً؟ هل ما زال يحبها؟ أم أنه غرور ملك قد رأى لعبته في يد نذ له فأغراه ذلك بالعراك؟ يشعر بالتعب والبرودة تغزو جسده.. ارتجف جسده بقوة رغماً عنه..

اقرب منه حُران ووضع يده على جبينه يتحسسه بعد أن رأى رجفته..

- رُهان.. إنك ترتجف.. هل أنت بخير.. رباه إنك محوم بالفعل.. سأستدعي المعالج على الفور.

خرج مسرعاً، وطلب من أحد الجنود استدعاء المعالج على الفور ثم عاد إلى الغرفة، وساعد صاحبه ليستلقي على السرير.. كان رُهان يرتجف بشدة وقد بدا أنه يفقد وعيه تدريجياً من شدة الحمى حتى إن ماونتي نعق بقوة وترك غصنه وحط بجانب صاحبه خوفاً عليه.

رُهان الطيب لم يره مريضاً بهذا الشكل إلا عندما علم بفقدان راحلة موان.. ظل يبحث عنها مع الجنود أياماً متواصلة دون أكل ولا شرب ولا راحة دون توقف حتى سقط محمومًا وحملوه إلى القصر.

على الرغم من الصلابة والصرامة التي رُبي عليها ليصير ملكًا محاربًا لا يخشى نازلة ويفتك بأعدائه فتكًا فإن حُران كان يعلم جيدًا أنه يحمل بداخله قلب طفل صغير يتعلق بمن يحب كثيرًا.. إنه ما يزال يذكر عندما جاء به أبوه إلى القصر ليسليه عندما ماتت الملكة، وتركت رُهان طفلًا صغيرًا لا يتعدى الخمس سنوات..

كان حُران يوماً يبلغ من العمر سبعةً، وقد كان صديقاً للأمير من قبل.. ولكنه لأول مرة بعد موت الملكة يمكث في القصر مدة تزيد عن الشهر مع الأمير الصغير.. يلعبان معاً وينامان معاً ويتناولان طعامهما معاً ويتدربان ويصطادان معاً حتى اشتاق إليه والده وأرسلوا من يحمّله عائداً إلى بيته.. يوماً دخل رهان في ثورة عارمة عندما حملوا حُران بعيداً عنه، وظل مستيقظاً يبكي طوال الليل ورفض أن يأكل أو يشرب أي شيء حتى أعادوا إليه حُران في اليوم التالي.. من يومها لم يفترقا.. رضى والده حُران لرغبة الملك في استبقاء حُران -الذي سعد برفقة صاحبه أيضاً- في القصر مع رهان على أن يذهب لزيارتها كل بضعة أيام.. تلقيا دروسهما معاً وتدرّبا معاً ليصيرا كالأخوين، ثم كان حُران نائبه ورفيقه في معظم أسفاره التي جابا فيها الأرض، ثم في النهاية ملكاً ووزيره.. كانت صداقتهما صافية ومثينة.. رهان الطيب.. نظر إلى صاحبه وهو يرتجف بقوة ويتم بكلمات غير مفهومة.. هذا الملك القوي الذي صنع لسينا مجنين من الأجداد فيما لا يزيد على خمس سنوات ما لم يصنعه أجداده في عقود خلت.. فنعمت المملكة تحت حكمه بالرخاء والعدل والمجد.. ما زال يحمل قلب ذلك الطفل ذي السنوات الخمس الذي عرفه في الماضي.

جاء الجنود سريعاً ومعهم المعالج الذي انكب على الملك المريض الذي يرتجف بشدة.. أعطاه المعالج شراباً منخفضاً للحرارة وآخر مهدئاً حتى ينام ويرتاح.. التفت إلى الوزير:

- سيدي لقد أعطيته دواءً مهدئاً.. إن الملك يحتاج إلى الراحة.. وسوف أترك معه مساعداً حتى يواليه بكلمات ويتابع الحرارة حتى لا ترتفع مرة أخرى.. سيستيقظ غداً أفضل حالاً، وأفضل ألا يرهق نفسه غداً ويرتاح قليلاً.

أوماً له حُران.. وخرج المعالج تاركًا مساعده مع الملك المريض،
الذي هدأت رجفته..

طُرق الباب بخفة.. كانت لِيما تطلب الإذن بالدخول..

عندما دخلت قالت مفسرة سبب قدومها:

- لقد علمت بمرض الملك.. كنت عند المعالج أطلب منه أن
يصف لي دواءً لتحسين نومي عندما جاءه الجنود.

- إنه بخير الآن.. لقد طمأنني المعالج عليه وأخبرني بأنه بحاجة
إلى الراحة والنوم حتى يتحسن سريعاً.. هيا بنا نخرج حتى لا
نزججه.. سوف يسهر مساعد المعالج على راحته..

أوماً المساعد الشاب للوزير في ثقته.. وخرج الاثنان معاً يتمشيان
قليلاً في حدائق القصر.. سارا جنباً إلى جنب يحيط بهما الليل
المظلم إلا من ضوء مصباحين تراقص فيهما النيران البنفسجية
يحملهما طائران ليضيئا لهما دربهما ويبعثا بعض الدفء في صقيع
الليل، وقد انعكس ضوء المصباحين علي ريشهما الأخضر البراق
فتوهجا في ظلمة الليل البهيم.. كان صوت رفرقة أجنحتهما فوقهما
المؤنس الوحيد لهما في أثناء تجوالهما في سكون الليل المطبق..
قطع حُران الصمت وتحدث في غيظ:

- إن الأمر يستهلكه.. وكأنه صعد إلى قمة جبل وظن أنه قد
وصل إلى مبتغاه، فإذا به يسقط من فوقه ليصطدم بالأرض
الصلبة..

- هل الأمر مريع بينهما على هذا النحو؟



- ليس هناك (بينهما) يا ليماء.. هناك فقط رهان وجهه وذكرياته معها.. ثم هناك هي الفتاة التي لا تتذكره ولا تعرف عنه أي شيء سوى أنه قد خطفها.. ضعي نفسك مكانها!

- إنه لأمر محزن حقًا.. ليتنا نستطيع مساعدته.. لقد كان رهان دوماً سنداً لنا يهب لمساعدتنا.

- لا.. للأسف ليس هناك ما نفعله من أجله..

- هل تتذكر ما كنا نفعله ونحن صغاراً؟

ضحكت بخفه ثم استطردت:

- لطالما كنتما تفتحمان المشكلات وتكسران القواعد وكنت دائماً ما أقم نفسي في الأمر عسى أن أنجح في منعكما من إلحاق الضرر بنفسيكما، ولكنكما كنتما دائماً على استعداد لتلقي العقاب نيابة عني إذا ما كشف أمرنا..

- نعم.. لطالما أردت حمايتنا من استهتارنا بالخطر على الرغم من أنك الأصغر بيننا، ولكنك كنت دوماً تمثلين صوت العقل لنا..

كان صوته الصاخب يرن في سكون الليل:

- ولكني الآن لا أستطيع حماية رهان من نفسه..

- لقد كبرنا يا ليماء.. يجب أن يتحمل رهان عواقب قراره.. لم نعد بعد صغاراً.. إلا إننا الآن هنا من أجل حمايتك يا صغيرتي..

أراد أن يقول لها إنه هو حُران مستعد دائماً لحمايتها ولو كلفه

الأمر حياته، ولكنه لم يجد في نفسه الجرأة لذلك.. لطالما جبنَ أمامها عن البوح عن مشاعره مخافة الرفض.

- حقاً؟! ولكنني أشعر بأني وحيدة في هذا العالم.. يملؤني الخوف يا حُران..

نظر إليها فإذا الدموع تترقق في عينيها الزرقاوين الصافيتين.

- ليماء.. ما الأمر؟ إنني هنا من أجلك.. أنت لست وحيدة يا حبيبتي.. مم تخافين؟ أخبريني.. لم يستطع منع فيض الكلمات التي تدفقت رغماً عنه عندما رأى دموعها.. مسحت دموعها وأسرعت تقول:

- آسفة.. ولكن يبدو أن رؤيتي رُهان وهو يعاني جعلتني أخشى الأسوأ.. لطالما عذبتني رؤية من أهتم لأمرهم يعانون..

- لا تقلقي علي رُهان.. إنه صُلب كالصخر.. لا تحملي نفسك فوق ما تطيق.. سيكون كل شيء على ما يرام يا عزيزتي..

ابتسمت له في خفوت وقد شعرت بالنجل من فورة مشاعرها..

- نعم.. سيكون كل شيء على ما يرام.. أتمنى ذلك حقاً

ظلا يتسامران حتى انتصف الليل، فاستأذن حُران من ليماء في الذهاب للنوم، فإن يوماً حافلاً ينتظره في الغد خاصة مع مرض الملك..

- لولا مرض الملك.. لبقيت معك ساهراً حتى الفجر لا أبالي..

- لا عليك يا حُران.. أتمنى أن يتعافى الملك سريعاً.. على الرغم من أنني أعلم أن قلبه هو الذي يحتاج إلى التعافي وليس جسده..

- نعم أتمنى ذلك.. لا تقلقي إن الزمن كفيل بتضميد أعتى الجراح.. إذا أراك صباحاً يا عزيزتي..

على الرغم من قوله هذا فإنه يعلم أن بعض الجراح والآلام تستعصي على الزمن أن يطيبها.. كجبه لها الذي لم ينجح الزمن في طيه أو طمسه في قلبه وظل كالجرح العصي على الشفاء.. كلها ظن به البرء انفتح وأدمى قلبه..

- سوف أتمشى قليلاً ثم أصعد إلى غرفتي..

ودَّعها حُران وقبل أن يتجه إلى القصر، نظر إلى الطائرین قائلاً:

- احرصا على سلامتهما.. لا تدعاها تضل طريقهما..

أوماً الطائران وهم يرفران بقوة تأكيداً لكلامه.. تابعته بعينها حتى غاب في الظلام الدامس.. كان الجو موحشاً من دونه.. وبدأت الريح تعوي قليلاً منذرة بجو أقسى، ولكنها رغم ذلك شعرت برغبة في الانفراد بنفسها..

حُران ورُهان العزيزان.. رفقاء الدرب منذ الصغر... هي لا تذكر حتى متى بدأت صداقتهما.. كان إسفيلس وأريوس صديقين منذ شبابهما.. وكان إسفيلس يأتي لزيارة صاحبه مصطحباً ابنته الأثيرة.. وهنا نشأت بينهما صداقة.. بدأت واهية وتوطدت مع مر السنين.. إنها لا تنكر أن صداقة رُهان وحُران أقدم وأوطد إلا إنها استطاعت أن تحتل مكانة عند الاثنين، وأن تحشر نفسها بينهما.. لطالما كانت بمنزلة أخت صغرى لهما.. أخت

صغيرة مدللة كما كان ينظر إليها حُران ويعاملها دومًا.. أخت صغيرة مزعجة حسب رُهان الذي كان يعتمد مضايقتها ومناكفتها في الصغر.. كانا لا يملان التناقر فيما بينهما مما جعل حُران يفصل بينهما أغلب الوقت.. ضحكت في نفسها عندما تذكرت تلك الأيام العذبة.. ولكنهما كانا دائمًا مستعدان لحمايتها والذود عنها مهما تطلب الأمر.. هذه الفكرة بالأخص أعادتها إلى ذلك اليوم البعيد في الغابة.. عندما خرج ثلاثهم إلى الغابة دون رقابة على الرغم من تحذير آريوس المستمر لهم بعدم الخروج من القصر إلا مع الحراس.. فإن رُهان وحُران كانا دائمًا ما يتسللان خارج القصر دون أن يشعر بهما أحد ليلها ما شاء لهما دون رقابه ثم يعودان خفية إلى أسرتهما.. في ذلك اليوم رجتهما لهما للذهاب معهما وقد وافقا على مفضل..

- رهاان.. حراان ... انتظراني..

كانت الفتاة ذات العشر أعوام تناضل من أجل أن تلحق بالصبيين اللذين يسبقانها، وهي تتعثر حينًا وتقف لالتقاط أنفاسها حينًا آخر، وضميرتها الذهبية الطويلة التي تكاد تلمس أرض الغابة تتأرجح خلف ظهرها، وهي تجري محاولة مجاراتهما..

التفت إليها أحد الصبيين وبدا أنه الأصغر بينهما، وكان ذا شعر أسود ووجه جميل وهو يتأفف متبرمًا

- لقد أخبرناكِ من قبل يا لهما.. إن الأمر غير مناسب للفتيات.

- دعها في حالها يا رُهان.. هيا يا لهما إننا في انتظارك..

كان هذا هو الولد الأكبر الذي بدا ضخم الجثة.



- إنني أملُّ الجلوس في القصر بدونكما.. وكذلك أود أن أتأكد أنكما لن تفعلوا أي شيء أحمق يعرضكما للخطر..

- انظر من قد جاء لينقذنا.. يا لسعادتي..

امتلاً صوت رُهان بالسخرية والضجر..

عبست الفتاة الجميلة في وجهه وأكل الأولاد الثلاث تجولهم في الغابة حتى شعروا بالتعب فجلسوا تحت شجرة يلتقطون أنفاسهم..
قالت الفتاة متوجسة:

- حُران.. هل أنت متأكد أننا لم نضل طريقنا؟!.. لقد تعمقنا كثيراً في الغابة..

بدا أنها تتجاهل رُهان بسبب سخريته منها..

- لا تخافي يا ليماء.. إننا نحفظ الغابة عن ظهر قلب..

- إنني أشعر بالجوع الشديد.. ليتنا أحضرنا طعاماً معنا..

- لا مشكلة.. سوف أحضر طعاماً..

قام رُهان منتفضاً وكأنه يحاول استرضاءها بهذا بعد أن أغضبها بسخريته منها.. وأخذ يصدر كثيراً من الأصوات حتى حط طائر أصفر ذو عرف أخضر وذيل طويل على كتفه.. ربت رُهان على الطائر الجميل وتحدث إليه بصفير غريب الذي ما لبث أن حلق عائداً إلى السماء واختفى..

تجاهلت الفتاة ما حدث وأعرضت عنه، وكان يبدو عليها أنها ما



زالت تشعر بالحنق تجاهه..

- دائماً ما تباهى بالأمر يا رهان..

كان حُران يوبخه في إعجاب واضح ارتسم على وجهه الكبير.. عاد الطائر بعد قليل وهو يحمل بين منقاره وقدميه ثمرات من الفاكهة مستديرة وصفراء.. حط الطائر أمام رهان وترك الفاكهة على أرض الغابة.. اقترب منه رهان ونزل على ركبتيه وربت عليه ثم أصدر أصواتاً تشبه ما أصدره من قبل ثم حلق الطائر عائداً إلى السماء..

أكل الثلاثة ثمرات الفاكهة اللذيذة ثم أكلوا تجوالهم وهم يتبادلون الضحكات وقد ساعد الطعام على تحسين أمرجتهم حتى إن لهما قد عادت إلى الحديث مع رهان وكأن شيئاً لم يحدث.. سمعوا أصواتاً خشنة تأتي على مقربة.. نظر حُران ورهان إلى بعضهما وشعرا بالقلق.. ففي الأسابيع القليلة الماضية انتشرت في الغابة حوادث السرقة والنهب.. فقد كانت عصابة تسطو على الخطابين وغيرهم من الصيادين والطارين، لتسرق منهم الخشب أو الصيد.. وإذا رفض أحدهم الإذعان لهم نكلوا به تنكيلاً شديداً.. ولذلك فقد حذرهم آريوس بشدة من الخروج إلى الغابة في هذه الأيام.. كانت الأصوات القادمة التي تقترب بسرعة كبيرة صاخبة، وقد بدا وكأنهم يتشاجرون ويسبون بعضهم بعضاً، فسرى الفزع بين الثلاث ولكن قبل أن يتمكنوا من الاختباء أو الركض.. ظهر الرجال أمامهم وقد ارتسمت على وجوههم ابتسامات خبيثة مقبلة بمجرد وقوع أعينهم عليهم.. كانوا يزدون عن عشر رجال.. أخذوا يقتربون من الأطفال الثلاثة حتى تحلقوا حولهم من كل جانب وهم يتبادلون الضحكات الساخرة..



كان الصبيان قد وضعوا ليمما التي بدا عليها الذعر أكثر من أي منهما في الوسط بينهما وكأنهما يحاولان إخفاءها عن أعين اللصوص..

- انظر إلى تلك الصغيرة الفاتنة.. قد تباع في السوق بوزنها ذهباً.. انظر إلى شعرها الذهبي الجميل..

- وهذا الضخم الأبله قد يشتريه المزارعون بدلاً من بقرة للحراثة..

تعالى الضحكات بينهم.. هم حُران بالرد عليهم ولكن رُهان ضغط على يده وهمس إليه:

- يجب أن نحمي ليمما.. نحن من وضعناها في هذه الورطة.. اصمت

- أيها الحمقى.. انظروا إلى ملابسهم! إنهم أطفال أحد الأثرياء.. إنهم صفقة العمر..

كان المتحدث هو أكبرهم سنًا وجمًا.. وكان يبلغ ضعف حجم الرجل الطبيعي.. مفتول العضلات ووجهه مغطى بالندوب والجروح.. مما زاد هيئته شراسة وقسوة.. بدا واضحاً أنه قائد للمجموعة من لهجته الواثقة وانصياع الآخرين له بالإيماء حيناً والتصفيق لكلامه حيناً آخر.. أحس رُهان بالتواء في معدته عندما سمع كلامه.. ماذا لو تخمنوا أنهم من القصر؟ هل سيجعلهم ذلك يخافون فيتركونهم يرحلون في سلام، أم يزيدهم فجوراً؟ لم يكن رُهان واثقاً بردة فعلهم على الأمر.. لذلك حينما حاول حُران الرد عليهم وتهديدهم أشار إليه بالصمت ثانية.. وفكر عقله سريعاً.. إنهم في أرض خلاء في الغابة لا يكاد يوجد فيها أشجار..

لو استطاع الوصول إلى الأشجار القريبة ربما استطاع إرسال رسالة للقصر عن طريق الطير.. لكن أقرب الأشجار إليه ما زالت بعيدة عنه جداً..

- حُران.. أحتاج إلى الوصول إلى الأشجار القريبة..

همس لصاحبه بجانب فمه..

- على أي شيء تهامسان أيها الطفلان الغيبان؟

استمر الولدان في الهمس غير عابئين بما يقوله الرجل، لكن حدة نقاشهما ووتيرته ارتفعا قليلاً، وبدا أنهما يتجادلان ويختلفان على شيء ما..

- لن نخبرهم شيئاً أيها الغبي.. سيأخذونه ثم يقتلوننا..

كان هذا صوت حُران المحموم وقد ارتفع عن الهمس قليلاً وهو يتحدث لرُهان، فسمعه الرجل ذو الوجه المليئ بالندوب فصاح فيهما:

- ما هذا الذي لن تخبرانا عنه؟

استمر الولدان في جدالهما المحموم الذي يعلو حيناً وينخفض حيناً آخر وقد انصب اهتمام الرجال جميعاً على متابعه حديثهم غير المفهوم حتى دفع حُران رُهان بقوة وهو يهدده فصرخت لهما وهي تبكي وتخفي وجهها بين كفيها..

- لا.. لا تفعل!.. أرجوكا.. ليس الآن.



- ما الذي تشاجران عليه يا جرابا الروث؟

ارتفع صوت رُهان قليلاً وهو يقول لِحُران:

- إن أعطيناهم إياه قد يتركونا نرحل بسلام..

- صمّتا.. تعالَ أيها الصغير.. ما تقوله صحيح تماماً قد نترككم ترحلون في سلام إذا أعطيتمونا شيئاً ثميناً.. ما الذي تريد أن تخبرنا إياه؟

بإشارة من الزعيم قيد أحد الرجال حُران الذي أخذ يحاول الإفلات لضرب رُهان وهو يصيح..

- أيها الطفل الغبي! إنهم يخذعونك.. سيقتلوننا بعد أن يأخذوه..

اقرب الرجل من رُهان الذي بدا حائراً:

- لا تخش شيئاً يا ولد.. هيا أخبرني؟

- أعطني وعداً أن تتركنا نرحل بسلام إن أعطيناك شيئاً ثميناً.

ارتسمت على وجه الرجل ابتسامة خبيثة، والتمعت عيناه في طمع..

- طبعاً.. طبعاً أيها الصغير..

كان حُران ما زال يحاول الفكك من مقيدة وهو يصرخ ويصيح ويسب رُهان بالغبي العديم الفائدة حتى ركله الرجل في بطنه وسدد له لكمة في وجهه حتى يكف عن ذلك مما زاد من

بكاء ليماء وصراخها..

- أرجوك.. لا.. لا تضربه..

رفع رُهان صوته فوق بكائها وقد بدا أنه قد حسم أمره.

- عندما خرجنا اليوم للتنزه.. حملنا معنا كيساً مليئاً بالذهب والمجوهرات نكأية في زوجة أبيها الشمطاء التي تسيء معاملتها وتعذبها..

أشار إلى ليماء التي ما زالت تبكي وهي تحبب وجهها..

- إذا أين هو أبيها الصبي؟

- إذ إننا لن نستطيع إخفاءه في البيت، فلا بد أنهم يبحثون عنه في كل مكان الآن لذلك فقد دفناه عند إحدى الأشجار داخل الغابة ووضعنا علامة عليها..

- داخل الغابة؟ تحت إحدى الأشجار؟ هل تستطيع الوصول إليها أبيها الصبي؟

- نعم..

- سمبفس وتمفر.. اذهبا مع الصبي وراقباه جيداً.. وإن اكتشفتما أنه يخذعنا اقتلاه على الفور ولتعلم أنه سينتظر صاحبك المصير نفسه إذا لم تعودوا بالذهب كما قلت..

ابتلع رُهان ريقه بصعوبة.. شاهده حُران وهو يغادر مع الرجلين الذي كف عن محاولة الفكك من مقيدته بعد أن أدرك أنه لا



ارتسمت على وجهه ابتسامة مقيبة زادته قبحاً..

- لقد خبأنا الذهب بالفعل ولكننا لم نضع علامة على الشجرة لأننا لم نخطط لاستعادته، لذلك أظن أنهم تأخروا لأنه يحاول تذكر مكان الشجرة..

ضيق الرجل عينيه وكأنه يزن ما قاله الولد ثم لف الضفيرة الذهبية للفتاة علي يده..

- اسمعني أيها الأحمق! إن خدعتموني فسوف أذبح أحدكما أمام الآخر وسوف أبدأ بهذه الحسناء..

عندما انتهى من تهديده نظر إلى الرجال وصاح فيهم:

- هيا يجب أن نتحرك من هنا.. جملوت ابق هنا وانتظر عودة الرجال واختبئ جيداً تحسباً لأي أمر.. ووافني بالأخبار في المخبأ.. إن لم يعودوا بالذهب معهم فاقتل الصبي.. وإن عادوا بالذهب فاقتله أيضاً..

ثم ضحك ساخراً بصوت عالٍ، فضحك من حوله باقي الرجال كالبيغاوات.. ما إن انتهوا من ضحكهم وهموا بالمغادرة حتى استشعروا حركة عنيفة بين الأشجار البعيدة.. نظر الرجال بعضهم إلى بعض في دهشة وأحسوا برغبة أكبر في مغادرة المكان ولكن قبل أن يتحركوا خرجت من بين الأشجار البعيدة جماعات كبيرة من الطير.. تنفسوا الصعداء ولكن كان لهذه الحركة العنيفة بين الأشجار أبلغ الأثر فقد غيرت الجو بينهم فبدؤوا بالتحرك سريعاً وقد سري بينهم توتر وخوف صامتين..



- لم أكن أعلم أن الطيور تهاجر في هذا الوقت من السنة..

قال ذلك أحد الرجال وهو يضع يده فوق عينه وينظر إلى جماعات الطير المنتظمة في السماء.. لكن جماعات الطير بدت وكأنها تقترب منهم أكثر وكلما اقتربت بدا سلوكها وهيئتها غريب.. كانت تبدو وكأنها سهام موجهة بمناقيرها المدببة أمامها في نظام عجيب وكأنها تستهدفهم.. وما إن أدركوا ما يحدث حتى امتلأت السماء من فوق رؤوسهم بها وهي تنقر بمناقيرها وتتمش بمخالبها الحادة وقد حملت بعض الطيور الحجارة بين أرجلها لتلقيهم فوقهم.. فذب الذعر بين الرجال وحاولوا حماية وجوههم وعيونهم التي تستهدفها الطيور بأيديهم مما جعل مهمة فرارهم أصعب ورفعوا سيوفهم وبلطاتهم يعملون الذبح فيهم فتناثر الدم في كل مكان إلا إن تدفق الطير لم يتوقف واستمر وبدأ كأنه لن يتوقف.. أمسك حُران بيد ليماء يجرها مستغلاً الفوضى التي عمت ولكن زعيمهم الذي كان ما يزال يلف الضفيرة على يديه أدرك ما يفعله فشد الفتاة بقوة يجرها، وصاح وكأنه فقد عقله من شدة الغضب: - لن اتركها!!!..

رأى حُران سيفاً يلعب في الأرض بجانبه قد سقط من أحد الرجال.. ضغط على مقبضه برجله في حركة سريعة فطار السيف إلى يده الأخرى التي لا تمسك بيد ليماء ونزل بكل قوته على يد الرجل التي تمسك بالضفيرة الذهبية.. فانفجر شلال من الدم وصرخ الرجل من شدة الألم وتحررت ليماء من قبضته.. وجريا سريعا إلى الأشجار التي سرعان ما خرج منها رهان راكضا نحوهما..

- هيا بنا.. اركضا سريعا..



جري الثلاثة سريعاً، ولكن قبل أن يتوغلوا في الغابة اهتزت الأرض هذه المرة من تحت أقدامهم وخرج من الجهة المقابلة لهم خيل تعدو وعليها جنود الحرس الملكي يرشد طريقهم مجموعة من الطير..

لقد جاءت المساعدة من القصر ولرعبهم الشديد خرج من بين الأشجار على جوادا الملكين آريوس وإسفيلس، وقد بدا عليهم القلق الشديد.. ما إن رأت ليمّا أباهما حتى انطلقت ناحيته تركض ومن ورائها جاء الولدان في خنوع مطأطئين رأسيهما.

- أبي!

نزل الملك إسفيلس من فوق جواده وركض ناحية ابنته ونزل على ركبته يحتضنها بقوة..

- ليمّا.. لقد كدت أموت خوفاً عليك يا صغيرتي عندما جاءت الطير بالأخبار..

أخذ يمسح عن وجهها الدم وسألها في ذعر وهو يجيل نظره فيها:

- هل أصبت؟

- لا يا أبي إنني بخير.. لقد أنقذ رُهان وحران حياتي.. أنا آسفة حقاً يا أبي..

أخذت تبكي وتنشج في حضن أبيها الذي أخذ يربت عليها في حنان..



- إنك بخير الآن يا صغيرتي..

نظر الملك إلى الولدين الواقفين وراءها في غضب..

- لم يجدر بكما الخروج إلى الغابة دون الحرس في المقام الأول..
لقد حذر كما الملك آريوس أنتما الاثنين..

كان الملك آريوس قد جاء فوق جواده حيث يقفون.. وكان وجهه محمراً من شدة الغضب وهو يحدج الولدين بنظرة غاضبة اللذين لم يستطيعا رفع أعينهما إليه..

- لقد خاب ظني كثيراً بكما.. لقد عصيتما أمراً مباشراً مني
وكدتما أن تهلكا..

- مولاي..

- صمتاً يا أمير رهان.. لم آذن لك بالكلام.. سينالك عقاباً
عسيراً.. لقد عرضت نفسك وكل من معك للهلاك المحقق..

عندما انتهى الملك من حديثه، والتفت بحصانه معرضاً عن
الاثنين وهو يهز رأسه في أسف.. رفع إسفيلس ابنته على حصانه
دون أن ينظر إلى الولدين أو يوجه لهما مزيداً من الحديث..
انصاعت لهما لأبيها وهي تنظر إلى الولدين اللذين ابتسما لها في
خفوت وكأنهما يعتذران إليها..

كان الجنود قد أحاطوا برجال العصابة المليئين بالجروح والدماء
وسيطروا عليهم وقيدوهم وكانوا الآن يقتادونهم إلى خارج الغابة
عندما استوقفهم حران..



- انتظر أيها الجندي.. كان يقف أمامه زعيم العصاة الذي بدا ذليلاً خانعاً في قيوده والدماء تسيل من ذراعه التي قطعها حران أنفأ..

سأله رُهان في دهشة: - ماذا حدث ليديه؟

- سوف أخبرك لاحقاً..

اقترب من الرجل الذليل ولطمه على وجهه لكمة قوية أسالت الدم من فيه.

- هذه لليما..

ثم لطمه مرة أخرى أخرجت مزيداً من الدم من فمه.

- وهذه لأهالي سيناجنين الذين روعتهم أيها الخبيث.. أتمنى أن تتعفن في سجنك وإن كنت أظن أنك لن تمكث فيه طويلاً قبل أن يعدموك..

- أرجو العفو جلالتكما.. لم نكن نعلم أنك ابن الملك آريوس.. أرجو العفو..

أشار رُهان إلى الجندي بالانصراف.. أخذ الرجل يصرخ طويلاً حتى اختفى صوته الباكي.. حط طير على كتف رُهان كان هو نفسه الطائر الأصفر ذو العرف الأخضر الذي أحضر لهما الطعام أنفأ..

ربت عليه رُهان، فمسح الطائر عرفه في وجه رُهان:



- شكراً لك يا صديقي.. لولا مساعدتك وتجييش رفاقك لهلكنا..
إنني مدين لك بحياتي.. كان يصدر أصواتاً غريبة للطائر، ولكن
حُران الذي صاحب رُهان سنياً علم أن صاحبه يشكر الطائر على
مساعدته.. حلق الطائر عالياً في السماء..

عندما هم الولدان بالرحيل اقترب منهم جندي على استحياء
قائلاً:

- مولاي، اسمح لي بتقييدكما..

نظر الولدان إلى بعضهما في دهشة:

- عذراً يا مولاي.. ولكنها أوامر الملك أن تُقيداً وتُقتادا إلى
القصر حتى يُنظر في أمركما.. إنها كلمات الملك التي شدد على أن
أبلغها لكما..

قدم الولدان أيديهما إلى الجندي في استسلام الذي قيدهما وهو
يعتذر إليها بشدة حتى زاد من انزعاجهما وسارا معاً وهما يعلمان
أن عقاباً عسيراً في انتظارهما.

* * *



بعد محاولات عديدة من جانبه لإقناع موان بتناول الطعام على مائدة القصر مع المواعيد الرسمية في القصر بدلاً من غرفتها.. ورفضها للأمر رفضاً قاطعاً وصدده بمختلف الطرق؛ تملك رهان اليأس والإحباط وأصبح عصبي المزاج أكثر من أي وقت مضى، سريع الغضب لأتفه الأسباب على غير عادته، وبات يتهرب من معظم المهام الروتينية التي يمكن لغيره أداؤها على الرغم من رفضه السابق لهذا الأمر؛ عندما كان يعرض عليه من قبل حران أو غيره للتخفيف عنه من عبء المسؤوليات التي كان يثقل على نفسه بكثير منها..

وعهد إلى وزيره حران أداء بعض الأمور التي يجب أن تعرض على الملك بسبب تشتت ذهنه وفكره.. صار يشرد حتى في أثناء اجتماعات التقارير الصباحية والمسائية التي أجبر نفسه على الالتزام بها رغم أي شيء.. فقد اضطر الوزراء والحكماء إلى إعادة تقاريرهم أكثر من مرة بسبب شرود فكره معظم الوقت.. لقد أصابه العجز والسخط وهو يرى أنه قد نفذت منه كل الحيل معها، وصار لا يشغل تفكيره سوى الخطوة القادمة التي باتت أكثر صعوبة وبعداً، بسبب ما تبديه من ازدراء له ولكل شيء يفعله دون موارد..

بقي له أمل واحد يجول في خلدته على استحياء، لطالما أحببت موان الخروج في رحلات الصيد، لا يزال يذكر دقة رميتها، كانت تدهشه بثبات رميتها وسدادها من على بعد عشرات البزتين (وحدة قياس سيناجينية).. لا يزال يذكر أول مرة رآها تسدد.. كانا يتجولان معاً في الغابة القريبة من بيتها وشعرا بالجوع، فاقترح

أن يصطاد لهما أرنباً أو ربما سنجاباً فيشويانه.. كان قد اعتاد في تجواله وسفره الدائم بين البلدان الذي بدأه منذ عامين أن يحصل على طعامه بالصيد، وهكذا برع ابن القصور في ذبح الحيوانات وسلخها قبل شيبها.. رفع قوسه عندما رأى سنجاباً على إحدى الأشجار القريبة ولكنه أخطأه..

- لم لا تدعني أجرب؟

- هل تجيد الرماية؟

- دربني أبي قليلاً..

- يجب أن تنتظر سنجاباً آخر..

- لا.. انظر إلى هناك..

نظر حيث اشارت.. فرأى مثل ما يبدو أنه سنجاب.. لم يكن متأكدًا لبعده..

- موان.. إنه على بعد ٤٠ بزتين (وحده قياس تساوي البزتين مترين ونصف تقريباً).. لا يمكن أن...

ولكنها كانت قد رفعت القوس بالفعل وأطلقت السهم..

- يا إلهي.. دربني أبي قليلاً!! غير معقول! لقد أصبته في رأسه مباشرة.. إنك لشديدة المهارة..

كان يصرخ من هول الصدمة..



- هيا نحضره.. أشعر بالجوع الشديد..

جرت نحو فريستها وهي تضحك وشعرها الأسود يتطاير خلفها..
جال بخاطره أنه مثل هذا السنجاب المسكين.. كلاهما أردته
صريعاً بسهامها..

لاحت على وجهه ابتسامة مريرة لما تذكر حلو ذكرياتهما معاً
ثم تذكر حالهما في الوقت الراهن.. ولكن هذه الأحداث مضى
عليها سنوات.. لعلها نسيت كم هي بارعة في الصيد كما نسيت كل
شيء آخر ولكنه تذكر ذلك اليوم الذي رآها فيه مع نمار أول مرة
في الغابة في مسابقة الصيد.. كانت في غاية السعادة.. فسرت
في جسده قشعريرة عندما تذكرها مع نمار ولكنه نفض الذكرى
عنه وفكر في حزم أنها كانت سعيدة لأنها تحب الصيد.. هذا
كل ما في الأمر.. لا بد وأن فكرة الخروج في الهواء الطلق على
ظهر جواد والصيد بعد شهر طويل من العزلة في غرفتها قد تغريها
بالقبول.. انتظر بعد تناول الغداء في القصر وتأكد أنها قد تناولت
الغداء بالفعل ثم قصد غرفتها.. وقف أمام الباب قليلاً وأخذ نفساً
عميقاً.. في حين تناهت إلى سمعه صوت ضحكات خافتة، فاستبشر
خيراً واستجمع شتات نفسه المبعثرة التي تزداد تبعثراً على أعتاب
هذا الباب.. طرق الباب طرقةً متردداً كما هي حاله.. فتحت راما
الباب لكنها واربته عندما رآته وأطلت برأسها وتلاشت الابتسامة
عن محياها، وهمست في تردد:

- مولاي..

حدجها بنظرة صارمة:

- أنت تسدين طريقي يا راما!!



- مولاي.. أرجوك.. لا داعٍ لجدال كل مرة.. سوف أسألها أولاً؟! كانت تتحدث بصوت خفيض أقرب إلى الفحيح..

- الآن.. راما.. اذهبي.. حاول السيطرة على غضبه من تردها في إطاعة أمره.. تحركت ببطء لتفتح له الطريق، وهي تختلس النظر إلى داخل الغرفة في تردد..

- قلت لك اذهبي! أصبح صوته قاسياً، أسرعته تخرج وهي تغض الطرف عن سيدتها التي كانت تعلم جيداً أي نظرة على وجهها الآن.. عندما دخل إلى الغرفة وجد موان مستلقية على الأريكة ذات الفرو الأخضر أمام المدفأة وفي يدها كتاب وقد رفعت شعرها على شكل ذيل حصان.. ويقف على مسند الرأس طائراً ذا ريش أزرق وأحمر ينظر في الكتاب وكأنه يقرأ معها.. لم تتحرك من مكانها ولكنها أخيراً بعد هنيهة رفعت إليه عينيها العسليتين الواسعتين ثم سحبتهم سريعاً إلى كتابها مرة أخرى.. كان مزاجه المستبشر قد تبدل بعد جداله مع راما.. حاول أن يخرج صوته هادئاً..

- ماذا تقرئين؟ خرج صوته حاداً كمزاجه..

- لماذا لا تستأذن قبل الدخول؟! ...لماذا لا تعد الطرق على الباب استئذاناً بالدخول.. لماذا لا يكفيها الأمر؟.. فكر في نفسه وهو يحاول أن يتحكم في نفسه

أراد أن يصرخ في وجهها بأن هذا قصره، ولكنه عدل عن ذلك وتجاهل استفزازها..

- لقد طرقت الباب بالفعل..

- ولكنني لم آذن لك بالدخول.. ألم تقل أن هذه غرفتي أنا؟

- نعم، إنها غرفتك.. كتم غيظه ثم أردف، وهو يحاول كتم غيظه..

- سوف أقوم بالاستئذان المرة القادمة.. كان صوته مشوباً بالسخرية.. ولأنه أراد أن ينهي هذا الجدل العقيم سأهأها..

- إذا ماذا تقرئين؟

- كتاباً

- اعلم أنه كتاب.. عن أي شيء؟

- تاريخ أعظم ممالك الأرض.. سينامجنين.. امتلاً صوتها بالسخرية اللاذعة..

- إنها لا ريب كذلك.. رائع ولكن من أحضره لك؟

- هل هذا تحقيق؟

ضايقتها أنها لم تستطع استفزازة..

- لا.. لا ليس تحقيقاً.. مجرد سؤال عابر.. لماذا تحدّثه وتهاجمه بهذا الشكل؟

أراد أن يصفعها على وجهها.. كان الغضب يغلي في صدره كالمرجل فوق الموقد لكنه برح يذكر نفسه أنه لا يضرب النساء مهما حدث..



- راما.. هل من أمر آخر؟

فكر أن وقته يكاد ينفد.. يكره فكرة أنها هي التي تتحكم في سير الأمور.. لم يعتقد هذا الإحساس ولكنه مهما حاول أن يمسك بزمام الأمور يبدو أن لها الكلمة الفاصلة رغم أنه.. هنا تختلط الأدوار وتبدل باستمرار بين الأسر والمأسور على نحو لا يمكنه التحكم فيه لذلك فقد قرر سؤالها على الرغم من أن الجو السائد بينهما لا يوحي بالبشر..

- إذا كنت أفكر أنك ربما.. أقصد أنك مكثت طويلاً بين هذه الحيطان (الجدران).. أعني لا بد وأنك تشعرين بالملل، لذلك فكرت أنه ربما من المفيد لك أن نخرج في رحلة صيد في الهواء الطلق..

يا إلهي.. كره صوتَه المتردد وتلعثمه كأنه طفل صغير.. رفعت عينيها عن كتابها في كسل وابتسمت ابتسامة متكلفة قائلة:

- شكراً لك ولاهتمامك.. ولكنني لا أريد الخروج إلى أي مكان..

عادت للقراءة مرة ثانية وهي تفكر كيف عرف أنها تحب الصيد.. هل أخبرت راما بذلك التي بدورها نقلت له الأمر.. لا تذكر أنها تحدثت معها عن هذا..

- لماذا؟ إنك حتى لم تفكري في الأمر..

- فقط لا أريد ذلك..



لم ترفع عينيها عن الكتاب وقلبت الصفحة التي تقرأها.. انتزع الكتاب من يديها بقوة وعندها فزع الطائر الذي كان ما يزال واقفاً على المسند وحلق بعيداً وحط على المرأة المذهبة التي تقف في أحد أركان الغرفة..

- انظري إلى عندما أحدثك..

نظرت إليه في ثبات وتحد.. تينك العينين الواسعتين العسليتين لا يرف لهما جفن..

- هل ستبقين في غرفتك لا تخرجين منها؟

أصبح صوته غليظاً منفراً..

- نعم.. هذا بالضبط ما أنويه..

- إلى متى؟

- إلى أن ينقضي العام وأرحل..

- ترحلين؟ قد لا أتركك ترحلين إلى أي مكان بهذه الطريقة..

علا صوته مهدداً ونخر بقوة.. كان الغضب الذي حاول السيطرة عليه يستعر في صدره منذراً بثورة عارمة..

- إذا أنت تحنث بوعدك لي!! عار عليك أيها الملك.. ألا تتفخرون في هذا الكتاب الذي بين يديك بأنكم الأوفى بعهودكم؟!!

انتفضت واقفة وهي تصرخ في وجهه متجاهلة غريزتها التي

تنبئها أن تداهنه وتتجنب معركة قد تكلفها الكثير.. وأخذ الطائر الذي يقف فوق المرآة المذهبة في أحد أركان الغرفة يصدر صفيراً كأنه يؤكد كلامها ويناصرهما..

- إنك تتخطين حدودك! ما دمتِ تحت سقف قصري وما لم أذن لك بالرحيل ستخضعين لأوامري ومشيتي.. لا تتحديني!

- الموت أهون على من أن أخضع لك..

عقدت ذراعها أمام صدرها وشمخت بأنفها، وكذلك فعل الطائر الذي ظل يراقب حديثهما من مكانه، إذ رفع منقاره عالياً تماماً مثلها..

صار وجهه خالياً قاسياً كأنما قد من صخر ولم ينبس ببنت شفة وكور قبضتيه على جانبي جسده في غضب.. أدار ظهره لها وهم بالخروج ولكنها استوقفته تسأله في غضب طفل عرف أنه معاقب لا محالة.

- ماذا عن وعدك!؟!

تسمر في مكانه قليلاً، ولم يرد ثم خرج من الغرفة تاركاً إياها خائفة حائرة من عاقبة تحديها له..

إن كانت الأيام القليلة السابقة التي تلت استبقاء موان في سيناجنين هي الأصعب على رُهان.. فإن الأيام التي تلت رفضها رحلة الصيد كانت أشد وطأة على الملك نفسه.. أصبح ككلة من الصراخ تمشي على الأرض.. نافد الصبر.. نزع المزاج.. يثور لأتفه الأسباب حتى إنه كاد يتسبب يوماً في بكاء ليماء على مائدة الإفطار عندما وبخها (عنفها) بشدة أمام الجميع لسؤالها عن حالة للهرة



الثانية لولا تدخل حُران بينهما لإنقاذ الموقف وتحسينه..

- إلى متى سيظل هكذا؟

سألت ليماء في حزن وهي تشعر بالأسى عليه على الرغم من انزعاجها منه..

- سأتحدث معه اليوم.. لا تقلقي عليه.. إنها مسألة وقت على ما أظن..

على الرغم من أن حُران صار يردد هذه الكلمة كثيراً في الفترة الأخيرة لرُهان وليماء، فإنه لم يعد واثقاً بأن لها مغزى يفهمه.. فحتى هذه اللحظة لم تحمل الأيام لصاحبه إلا مزيجاً من الغضب والإحباط والألم الذي يراه في وجهه حتى وإن لم يحدث به صراحة..

انتظر حُران حتى انتهى المجلس الصباحي الذي كان كارثة بالمعنى الحقيقي للكلمة.. فقد احتد الملك في النقاش مع اثنين من وزرائه واتهمهم بالإهمال في عملهما والتقصير، ثم وجه ثورته للمجلس كله بأنه لن يسمح بالتقصير والإهمال في عهده، وأن العواقب ستكون وخيمة على أي مسؤول يثبت عليه ذلك..

وانصرف أعضاء المجلس كلهم مكفهرين الوجوه عابسين لما نالهم من التوبيخ والالتهام على لسان الملك.. ولم يبق في القاعة إلا الملك ووزيره.. تنحح حُران ليقطع الصمت الذي ساد بينهما ثم قال في جدية:

- رُهان.. أريد أن أتحدث معك قليلاً يا صديقي..



عرف رُهان أنه سيتحدث بخصوص موان، فنذ توليه الحكم لم يبدأ حُران حديثاً معه بغير مولاي خاصة في قاعات الحكم ونهارات العمل.. حتى إنه استمر أحياناً في أوقات سمرهما معاً بمناداته مولاي إلا أن ينهره رُهان.. شبك رُهان أصابعه أمام وجهه وانتظر وهو يحدق إلى وجه صاحبه في جمود.. بدت علي وجهه الجأمة نظرة دفاعية أقرب إلى العدوانية تعرفها حُران الذي خبره سنياً طويلة على الفور..

- إذا كيف حال موان؟

- لا أعرف.. لم أرها منذ أيام..

مط شفتيه وتحدث كأنه لا يبالي، لكن اضطراب صوته باح بما يعتمل في صدره من ألم دفين..

- يبدو أن الأمور لا تسير على خير..

- حقاً.. كيف عرفت ذلك؟

أراد أن يقول له أن الكل يعرف هذا، وأن القصر كله يتكلم ويسمع صراخها كلما دخلت إلى غرفتها، لكنه عدل عن ذلك لأنه متيقن أن الملك يعلم ذلك جيداً ولن يزيده قوله هذا إلا غضباً..

- لا تبدو في أحسن حال يا رُهان.. إنني أعرفك مذ كنت في الخامسة يا صاحبي..

زفر رُهان زفرة قوية واسترخي في جلسته بعد أن كان مشدوداً، وكان ثقلاً بدأ ينزاح عن صدره.. لم يعد مجبراً على التظاهر

بأنه بخير على الرغم من أنه يعرف أنه لم يفلح كثيراً في التظاهر بذلك على أية حال.. فلم يخف على أحد أن صراخه وانزعاجه الدائم ومزاجه النزق هذه الأيام بسبب ما يحدث وراء الأبواب المغلقة..

- نعم.. الأمر يزداد سوءاً وسواداً كل يوم عن سابقه.. ترفض كل شيء من ناحيتي.. على بضعة خطوات مني ويرتفع كل يوم بيني وبينها جبلاً وتزداد بعداً.. لا تريد أن تخرج من غرفتها.. بالكاد تأكل ما يبقيا حية.. تكره الحديث معي ولا تفوت مناسبة لتعبر لي عن ازدرائها الشديد لي.. وينتهي الأمر بيننا دائماً بالصراخ والعراك.. ببساطة إنها تبغضني بغضاً شديداً.. عذاباً فوق عذاب.. أنهى حديثه بزفرة قوية مغلقاً عينيه وكأنه يري الأمر رؤيا العين.. لم يجد حُران ما يقوله.. حتى كلمات المواساة هربت منه ربما لظنه بأن صاحبه يحصد ما جنته يداه.

- إذا ماذا ستفعل؟ ما الحل الذي تراه؟ كان حُران لا يجد سوى مخرج واحد لكل هذا وظن أن صاحبه لا يرى سواه ولهذا يبدو علي هذا الحال من الكدر والجزع.. أن يترك موان ترحل.. لا جدوى من بقائها بهذا الشكل.. لعله بتركها يثبت حبه لها.. ها هو قد حررها من نمار الذي يدعي أنها لم تكن تحبه.. ويستطيع أن يبقى على مقربة منها وتبقى تحت عينيه حتى إذا لاح له فرصة لاستعادتها اغتمها.. إلا أن الفراق لم يكن يوماً سهلاً على العاشقين.. وهذا هو سبب انفلات أعصاب الملك، الفراق! هكذا فكر وظن حُران في نفسه وهو مشفق على صاحبه مما وصل إليه.

- سوف أفعل ما كان على فعله منذ خمس سنوات مضت.. سوف أتزوج موان.. وسيقام حفل الزفاف خلال أسبوعين من

الآن.. ربما أقل..

فتح حُران عينيه على اتساعها وفغر فاه من هول الدهشة.. في أسوأ كوابيسه لم ير هذا قادمًا..

- ستتزوجها غصبًا؟! ضد إرادتها؟! إنك تزيد الأمور تعقيدًا بفعلك هذا؟ ما الذي تريد إثباته بهذا الزواج؟

- حيي لها! إنها لم ولن تكن نزوة من نزوات ملك عرييد فاسق.. لا تنس أنها طبقًا للأعراف الملكية مخطوبتي ولا يمكن فسخ الخطبة إلا بأمر مني..

- سحًا للأعراف يا مولاي!! سيقال أن ملك سينامجنين المعظم تزوج امرأه دون رضاها! هذه الفتاة ستصبح ملكة لسينامجنين المجيدة وهي تكره كل شبر فيها.. كيف يتسني لها أن تقوم بمهامها الملكية فضلًا عن الزوجية! كيف تقسم على الولاء والإخلاص للملك والمملكة وشعبها؟ أتوسل إليك يا مولاي اتركها ترحل لعلك برحيلها..

- صمًا أيها الوزير! اتركها ترحل! آخر مرة تركتها ترحل لم أرها لست سنوات عجاف!! أنت لا تعرف ما عانيته.. لا أحد يعرف!! لن اتركها!! الأمر ليس مطروحًا للنقاش..

- إذا لا داعي للزواج الآن.. دع الأمور تأخذ وقتها.. وس.. قبل أن يكمل كلامه قطعة رهان بحدة وصرامة..

- سيقام الزواج في موعده سواء كنت حاضرًا أم لم تحضري يا وزير حُران.. وللقسم فإن موان لن تقسم على أي شيء.. وستعطي مهامها الملكية إلا ما يمنحه الملك لها بأمر مباشر.. وإن كنت مهتمًا

والزوجية كذلك.. قال جملة الأخيرة، وهو ينخر ساخرًا.. كان قد استعاد هدوءه وورزاته وكانت لهجته حاسمة تم عن أنه لن يتقبل المزيد من النقاش في الأمر.. هم بالخروج ولكن حران وقف أمامه خاضعًا..

- مولاي.. كل همي..

- لقد قلت ما يكفي أيها الوزير.. وليس لدي اليوم كله لاستمع لك لذا تنح عن طريقي.. ودعني أذكرك أن الأمر يخصني وحدي.. لا أحد يحق له التدخل في اختيار المرأة التي سأزوجها، لذا احتفظ بما بقي لنفسك ولا تزعجني به.. غادر الغرفة لا يلوي على شيء تاركًا صاحبه منزعًا وحائرًا فيما عليه فعله.. لعله تسرع في القول فلم يترك لرهان الفرصة للبوح بأساريره وما يعتمل في صدره من تناقضات.. ربما لو ترك له المجال واستمع له كان ليقنعه برأيه.. صار يعاني الفترة الأخيرة في حديثه مع رهان من تداخل الأدوار بين الوزير والصدیق أكثر من أي وقت مضى، وذلك بسبب ما جد على صاحبه من ضيق وكدر منذ عادت تلك الفتاة الملعونة.. تمنى لو أنه كان أوسع صدرًا معه.. ولكن الوقت لم يفت بعد ولم يعد لديه وقت ليضيعه.. لم يعد أمامه سوى أيام معدودات حتى يقنعه بالعدول عن قراره الكارثي..

سارت الترتيبات لحفل الزفاف في القصر على قدم وساق.. الكل مذهول من الأمر وسرعته ولا يجد ما يقوله، وأن كان هناك ما يقولونه فلا وقت لديهم لقوله.. فترتيبات حفل الزواج الملكي التي تستغرق شهرًا يجب أن تختزل في أقل من أسبوعين.. الكل يتذمر من ضيق الوقت ولكن الملك لا يبالي بما يقال.. فقد صمم وقرر وعليهم التنفيذ.. ونظرًا إلى قصر المدة فإن الحفل

لن يحضره سوى قلة قليلة من الأمراء والنبلاء، وهم الأقرب إلى المملكة الذين نجح الرسل في الوصول إليهم في وقت يسمح لهم للاستعداد للسفر واللقاء بالحفل الملكي وفي ظل غياب لأكثر الملوك الذين حتى إن وصل الرسل إليهم سريعاً، فإن مواكبهم الضخمة تستغرق أوقاتاً أطول في السفر والترحال مما يجعل وصولهم إلى سيناجنين ولحاقهم بالزفاف الملكي في وقته أمراً مستحيلاً.. لكن رهان لا يهتم بكل ذلك حتى إنه لا يستمع لتحذيرات وزيره وأقرب أصدقائه الذي لم يترك مناسبة إلا ويؤكد ويكرر أن ما يحدث لا يقره عقل ولا حكمة! عقل وحكمة؟! أراد أن يضحك عندما سمعه يقول هذا.. أن رهان يعلم أنه في هذا الأمر لا يتبع عقله ولا حكمته.. أنه يتبع قلبه وحدثه فقط لأول مرة في حياته ربما.. لأنه منذ ست سنوات عندما تبع عقله فقد حبيته في لحظة دون أي سابق إنذار..

- دع العقل والحكمة لأمر الحكم يا حران.. هذا أمر خاص بي وليس لأحد في المملكة أو خارجها أن يتدخل فيما أفعله في هذا الشأن.. كان رده حاسماً لا يتغير على طول الخط وكان يصده صداً عنيماً ناهراً إياه في أوقات كثيرة إلا إن هذا لم يمنع صاحبه ووزيره عن الاعتراض والإلحاح في كل مناسبة تلوح له بخطورة الأمر.. وليس هذا لأحد إلا لحران لما يربطه بالملك من صداقة قوية و... ولكن إلحاح حران واعتراضه الدائم لم يكن هو ما يشغل بال رهان، وكذلك فإن تدمير أهل القصر من ضيق الوقت وكثرة العمل لم يكن ليقلقه.. فالحفل سيقام في مواعده دون تأخير حتى لو لم ينجز سوى نصف العمل.. لكن ما أسهده وأقض مضجعه هو كيف سيخبر موان؟ كيف يخبرها بأن حفل زواجهما سيقام خلال أسبوع وهي لا تطيق النظر إليه حتى؟ لم يعد قادراً على تحمل اتهاماتها؟ هذا الكم من الألم والحزن على صفحة وجهها الجميل.. الغضب والحسرة في عينيها

العسلتين الذي يزداد كل يوم تجاهه وهو غير قادر على تغييره..
فما باله وهو يخبرها بأنه سيتزوجها بقطع النظر عن موافقتها؟! لن
تنظر إلى الأمر بأنه إثبات لحبه ولو أقسم لها بأغلظ الأيمان فهي
لا تراه سوى كاذب أفاك؟ ولكن رغم طيش وصعوبة الأمر
فإن قلبه يخبره بأن هذا هو الطريق الوحيد؟ ترى هل هذا صحيح
أم أن قلبه يخدعه ويضله وما يريد سوى إيهامه بأن أمرًا رائعًا
قد يُنجز بالزواج الذي طال انتظاره؟ لم يكن قط ذلك الشخص
الذي يفكر بقلبه، ولكن مع موان الأمر مختلف؟ إنها تملك قلبه
فتخضع به كل حواسه وعقله؟ ولأنه يعلم أن كلمات قاسية
ستقال لها فيها ألف مبرر ومبرر.. وأن ثورة عارمة ستندلع لا يعلم
سوى الله قوتها وعنفها.. فقد اتخذ قراره بأن ينأى بنفسه حتى
تمر العاصفة بسلام.. ولأول مرة في حياته يشعر أنه جبانًا ضعيفًا
لا يقوى على المواجهة.. نعم لقد اتخذ قراره بأن راما هي من
ستخبرها.. يخشى أن أخبرها بنفسه ألا يتحمل حزنها وقسوتها عليه
فيتراجع عن قراره وهو ما لا يريده ولن يسمح به. بعد أن ألقى
رهان خبر زواجه من موان على راما كالصاعقة وعهد إليها بمهمة
نقل الخبر إلى موان ترك الفتاة المسكينة مصعوقة بما سمعت، ولم
يترك لها مجالًا للحديث ولم يستمر حديثه معها لأكثر من دقائق
تاركًا إياها معقودة اللسان لا تدري أينبغي عليها أن تبارك له أم
تعزیه؟ أن تسعد بزواج الملك -الذي لا يبدو سعيدًا على كل حال
بقدر ما يبدو تائبًا مشتتًا- الذي تنتظره المملكة كلها أم تحزن
لحال الفتاة الطيبة التي سيفطر قلبها عندما تزف إليها الخبر السعيد!
وقد حاولت أن تملص من الأمر قائلة: - أليس من الأفضل أن
تخبرها بنفسك يا مولاي؟

ولكنه رد عليها بحدة وصددها بعنف مغلًا أي مجال للجدال..

- لا! ستؤدين أنت الأمر كما أمرتك.. لا أريد مزيدًا من

الجدال.. اذهبي الآن..

وعلى أية حال فإن الملك لم يترك لها مجالاً لتفصح عن مكونات صدرها فبعد هذه الساعة لم تشاهده في القصر قط.. حتى ظنت أنه يتجنب لقاءها.. حتى أنه تغيب عن الموائد الرسمية للطعام.. وبالفعل فإن ذلك ما قصده رهان بالضبط.. إنه يعرف راما جيداً.. يعرف إلحاحاتها وتوسلاتها، ولم يكن أيًا منها سيغير من قراره، لذلك نأى بنفسه ليس فقط عن راما بل عن كل من في القصر.. كان كالشبح يظهر فجأة لأداء مهامه، ويختفي في لمح البصر تاركًا وراءه كثيرًا من المهمات والتساؤلات.. إلا أنه بعد يومين من لقائه بها أيقظه صوت جلبة خارج غرفته وتخيل أنه سمع صوت امرأة تصرخ بشيء غير عابثة بنوم أهل القصر في هذه الساعة المتأخرة من الليل.. لبس ملابسه سريعًا وخرج من غرفته منزعًا ليجد راما تقف في آخر الرواق الذي يغرق في ظلمه وسكون الليل لا يضيئه غير ألسنة اللهب البنفسجية المتراقصة ولا يسمع فيه إلا حسيسها صارخة في الحارسين الذين يسدان عليها الطريق للهروب وما إن رآته حتى استغاثت به وهي تشب على أطراف أصابعها حتى تراه من فوق أكتافهم وتستغيث به.. أشار إليهم أن يتركوها تمر:

- مولاي.. حمدًا لله أنك استيقظت.. إن هذين الخروسانيين (حيوان سيناجيني يشبه الحمار وله خرطوم طويل) كانا يمنعانني من ملاقاتك رغم أنني أخبرتهما بخطورة الأمر.

- اخفضي صوتك يا راما.. وكيف لا أستيقظ ويكاد صوتك يوقظ سيناجنين كلها؟!!

- آسفه يا مولاي ولكن الأمر جلل! هيا ادخلي.. قبل أن



تدخل نظرت إلى الحارسين شزراً وكأنها توبخهما على منعها من الدخول اللذين خفضا أعينهما بدورهما ثم أسرعتا عقب رُهان إلى داخل غرفته.

ألقى رُهان بنفسه على إحدى الأرائك المنتشرة في غرفته ومسح وجهه بيديه محاولاً التخلص من آثار النوم.. وكانت الغرفة غارقة في البرودة والظلام إلا من مشعل واحد في أحد أركان الغرفة ينبعث منه ضوء خافت دون حرارة فيران سينامجين يمكن التحكم في حرارتها ومقدار الضوء المنبعث منها بصب سوائل معينة فيها لا يعرف سرها سوى قلة.. وكعادته التي تعلمها راما جيداً يطفئ رُهان نيران الأخاديد في غرفته أغلب الوقت وخاصة عند النوم.. سرت رجفة في جسد راما من البرودة الشديدة المفاجئة..

- حسناً يا راما قبل أن تتحدثي.. أشعلي النيران قبل أن تموتي من البرد.. ويجدر بك أن يكون الأمر مسألة حياة أو موت حتى توقظيني في مثل هذه الساعة..

أسرعت راما نحو الأخدود، فصبت فيه سائلاً فسرت النيران فيه حتى أحاطت بالغرفة كلها وتراقصت ألسنتها البنفسجية، فملأت الغرفة نوراً ودفئاً.. قالت بعد أن شعرت بالدفء يتسلل إليها وذهبت عنها الرجفة..

- نعم يا مولاي.. إنها بحق مسألة حياة أو موت.. بعد أن أخبرت سيدتي بأمر الزواج كما أمرتني عادت إلى صمتها الذي لا ينقطع.. إنها لا تأكل ولا تشرب مهما توسلت إليها.. والأدهى من كل ذلك أنها لا تتناول الدواء حتى صار وجهها شاحباً شحوب الموتى وشفاهها وأطرافها استحالت زرقاء اللون وصار تنفسها بطيئاً ثقيلاً حتى إنني أشك أحياناً أنه قد توقف تماماً.. لذلك ظننت

أنك يجب أن تعلم يا مولاي.. إنني حقاً أخشى عليها الموت في أية لحظة.

امتقع وجه رُهان وصار شاحباً..

- كان يجب أن أعرف أنها ستعود إلى ذلك ولكنني سأصرف سريعاً.. لا تقلقي!! يا لِحْمَقِي!! شكراً لك يا راما.

- أرجوك يا مولاي.. افعل شيئاً لتنقذها من الموت.. إن سيدتي طيبة ولا تستحق كل هذا الألم.. إنها تحمل قلباً صادقاً طيباً..

اغرورقت عيناها بالدموع.. وكأنها دفعت خنجراً ثلماً في صدره.. أشاح بنظره عنها وقال في وهن:

- لا تقلقي يا راما.. أريدك أن تعودي إلى الغرفة وتشعلي مزيداً من النيران وأن تضعي عليها مزيداً من الدثر.. وسوف أتصرف في الحال.. لا تغادري الغرفة وراقبي تنفسها وإن اقتضى الأمر استدعى المعالج دون تلكؤ.. هيا اذهبي الآن وأطلعيني على المستجدات أولاً بأول..

- أمرك يا مولاي... انحنت له ولكنها قبل أن تخرج استدارت لتنظر إليه وعيناها ملؤها الرجاء والأمل..

- لا تقلقي.. سوف أجد حلاً

بعد أن خرجت أخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً يفكر فيما سيفعل.. إن ذهب إلى غرفتها الآن سيكون الأمر كارثياً بلا أدنى شك.. إنه غير واثق بقدرته على إبقاء الحديث هادئاً بينهما،

إذ إن موان يملؤها الغضب الآن كأقصى ما يكون وسيحتد النقاش بينهما في النهاية وهي ضعيفة قد لا تتحمل الأمر.. عليه أن يطمئنها بطريقة يتجنب بها استثارة غضبتها.. فهداه تفكيره إلى إجراء سريع قد يستطيع به طمأنتها.. فأمسك ريشة وغمسها في الحبر وبدأ يكتب على رق.. ثم ما لبث أن مزقه وألقى به بعيداً وأخذ آخر ليكتب عليه.. أخذ يكتب ثم يشطب ثم يزفر وهو يحاول انتقاء كلماته بحذر، وكأنه يمشي في طريق مليء بالأشواك عاري القدمين. وعندما انتهى قرأ ما كتبه مرة أخيرة قبل أن ينسخه في رق نظيف خال من الشطب والتعديل، ثم ذهب إلى غصن الشجرة العملاق المعلق في أحد أركان غرفته وركز الطائر النائم: - هيا يا ماونتي.. استيقظ الآن..

فتح الطائر عينين ناعستين ثم أغلقهما ثانيةً وغطاهما بجناحيه معلناً رفضه.. وكزه رهان هذه المرة بقوة أكثر فأطلق الطائر الضخم صيحة، ولكنه أيقن أن صاحبه لن يتركه يعود للنوم فاستسلم للأمر وقبض على الرسالة بمخالبه القوية

- تأكد أن تستلم موان الرسالة.. وإن كانت نائمة أيقظها واجعلها تقرأها بأي طريقته..

لوى (ثني) الطائر عنقه استنكاراً

- إنك طائر ذكي.. ستجد طريقة ما إنني أعتمد عليك.. ابق في الأجواء واستطلع ما يجري ثم عد بالأخبار يا صديقي..

ربت على رأسه الأبيض الكثيف الريش.. فنفس الطائر ريشه مزهواً بثقة صاحبه وفرد جناحيه الكبيرين وانطلق محلّقاً نحو السماء خارجاً من الشرفة. راقبه رهان وهو يختفي في السماء



المظلمة التي غاب عنها القمر ثم عاد إلى سريريه ناصع البياض والمنحوت من الرخام الأبيض واستلقى عليه وهو يعلم أن دهرًا سيمر عليه قبل أن يعود إليه ماونتي بالأخبار.. أخذ يفكر فيما كتبه ويتذكر أن كان قد أغفل شيئًا لم يوضحه.. هل ستقتنع موان بما جاء فيها؟ ماذا إن لم تفلح رسالته في تهديتها.. ما الخطوة التالية؟

انتفض قاعدًا عندما فكر بهذه الخاطرة ونظر إلى السماء أملًا في عودة ماونتي رغم أنه لم يمر سوى وقت يسير على رحيله.. لم تكن الرسالة التي كتبها طويلة ولكنه تخير كل كلمة فيها محاولًا ألا يثير غضبها وقد أتعبه ذلك وأجهد فكره وجعله يستغرق أضعاف الوقت الطبيعي لكتابة رسالة بهذا الطول.. نظر إلى النسخة التي أبقاها لنفسه كعادته التي لا يتخلى عنها أبدًا بأن يحتفظ لنفسه بنسخ من رسائله.. فلا يستطيع المرء مهما كانت ذاكرته قوية أن يتذكر كل ما يكتبه.. كان رقه مليئًا بالشطب والتعديل لأنها النسخة الأولية.. فمثلًا كان قد بدأ رسالته بـ (حبيبي موان) ولكنه تراجع وعدلها إلى عزيزتي فقد خشى أن تزيد الكلمة غضبًا.. بدأ يقرأ ما انتهى إلى كتابته:

عزيزتي موان

تحية طيبة وبعد.. ارجو ان تسامحيني انني لم اقم بإبلاغك بأمر الزواج بنفسي.. لقد رأيت أن هذا الأمر هو الأنسب لكينا، وربما أكون مخطئًا في تقديري هذا.. ربما جعلتك هذه الطريقة تظنين أنني لا أهتم بتوضيح الأمر لك وحق لك هذا.. إنني أعتذر لك عن كل شيء وأي شيء فعلته قد آلمك.. يومًا ما ستعلمين الحقيقة (كان قد كتب أولًا: يومًا ما ستعلمين حقيقة حبي لك، ولكنه شطبها وعدلها في نسختها).. لذلك فإني لن أخوض في هذا الحديث، ولكنني أحب أن أوضح لك عدة نقاط مهمة ربما تكونين

قد غفلت عنها:

أولاً- إن اتفاقنا ماض لا تغيير فيه.. بعد عام لا أكثر (مضى منه شهران بالفعل) سيكون لك حرية الاختيار في البقاء أو الرحيل على أن تلتزمي أنت أيضاً بنصيبك من الاتفاق.

ثانياً- هذا الزواج صوري.. لن يترتب عليه أية واجبات أو التزامات تجاهي وتجاه المملكة.. فبعد عشرة أشهر من الآن أكرر؛ سيكون لك كامل الحرية في أن تتحرري مني ومن هذا الزواج إلى الأبد، ويومها أعدك لن تريني ثانية.. هذا عهد ووعد قطعتة على نفسي منذ سنوات (لحييتي ولكنه شطبها) وحن وقت وفائه.. إن عشرة أشهر ليست كثيرة في حساب الزمن رغم كل شيء، ولكنها تعني لي كثيراً كطوق نجاة يلقي به لغريق بعد أن كاد يستسلم للهوت.

رُهان

انتهت موان من قراءة الرسالة التي جاء بها ماونتي، وظل يرفرف بجناحيه الكبيرين من فوق رأسها، وهي نائمة حتى استيقظت فزعة وهي ترى هذا الطائر الضخم فوقها فألقاها إليها.. فضت الرسالة وحدثها يخبرها بهوية المرسل.. جالت بعينها سريعاً بين سطورها ثم ألقته بها إلى راما التي كانت تقف بالقرب من سريرها مترقبة.. نظرت فيها سريعاً ثم رفعت عينيها إلى موان التي كانت شاحبة شحوب الموت وقد ازرققت شفاهها وهي ترفع أصابعها المرتعشة تخللها بين شعرها الأسود الفاحم وقالت في غضب وهي تتنفس بصعوبة:

- يعتذر عن عدم إخباري بأمر الزواج بنفسه.. ولكنه نسي أن



يعتذر عن زواج لم أقبل به.. نسي أن يعتذر عن إجباري على زوج لم اختره بل وأمقته.

- انظري إلى الجانب المضيء يا مولاتي، ستصبحين حرة رغم كل شيء.. إنه يتعهد لك بذلك.

- ومن يضمن لي أن يفني بوعده.. الرجل الذي يرضى لنفسه أن يتزوج امرأة تكرهه لا أخلاق له ولا عهد..

نعق الطائر الذي يقف في أحد أركان الغرفة على خزانة الملابس معترضاً محذراً.. نظرت موان بحذر وخوف إلى الطائر الأسود الضخم الذي يتميز رأسه بريش أبيض كثيف على نقيض جسده الأسود..

- لماذا يقف هكذا كأنه يراقبنا؟ لماذا لا يخرج؟

- سيخرج.. لا تقلقي منه.. مولاتي.. إن الملك رهان له من العيوب ما يكون عادة للرجال من التسلط والانفراد بالرأي وغيرها، ولكنه لا يحنث بوعده أبداً مهما حدث.. صدقيني يا مولاتي.. إن أعطاك وعداً سيفي به..

حاولت ألا تبدو وكأنها تدافع عنه حتى تحتوي غضبها..

شردت موان وكأنها تفكر فيما قالت راماً، فاستطردت الأخيرة سريعاً عندما لان وجه موان قليلاً:

- مولاتي.. أرجوك.. أعلم أنك حزينة وغاضبة ووحيدة، ولكن بإمتناعك عن الطعام والدواء إنما تخسرين نفسك ولا تكسبين شيئاً.. صبراً مولاتي سينتهي هذا الكابوس في شهر، وتصبحين



كانت موان تسند ظهرها إلى السرير، وقد أحاطت رأسها
بيديها..

- هلا كفت عن مناداتي بمولاتي يا راما؟! زواج بلا
واجبات.. هل تصدقين هذا؟ هل سيفي بهذا أيضاً؟

نظرت إليها آملة أن تطمئنها وتؤكد لها ذلك كما فعلت من قبل..

- سيفي يا سيدتي.. سيفي..

كان قولها أمنية أكثر منه تأكيداً.. فما تراه على وجه الملك
عندما يذكر اسمها فقط يجعلها تشك إن كان يطيق صبراً على ما
يقول ويعد به في هذا الأمر..

- راما.. أنت لا تعرفين كيف هم الرجال عندما يريدون
شيئاً.. لقد كان نمار وغداً قاسياً.. ظلت أتهرب منه يوماً بعد يوم
وأعرض للذل والضرب حتى اضطررت إلى أن أتخلي عن غرفتي
الخاصة، واقتسمت الغرفة مع أخته خوفاً وهروباً منه وابتغاء
حمايتها، ورغم كل هذا كان لا يتركني لحالي..

أخفت وجهها بين يديها وأجهشت بالبكاء حتى صار جسدها
كله ينتفض.. جرت إليها راما واحتضنتها بين ذراعيها، وهي
تربت على شعرها..

- ولكن مولاتي.. إن الملك رهان ليس مثل هذا الوغد الحقير..
إنه رقيق القلب يرفق بنا جميعاً ولا يسيء لأحد ولا يهين أحداً..
لا.. لا يا مولاتي إنه ليس كهذا الحيوان الذي سمعت عنه من

الجواري ما يشيب له الشعر..

رفعت موان رأسها ومسحت دموعها وسألتها في ذهول:

- حقًا؟ هل سمعت عن شذوذته؟

- نعم، وقد نقلت إلى مولاي الأمر في ثرثرة عابرة لم أقصد بها شيئاً، وكان قد طلب مني أن أتقصى عن الأمير، ولكنني ظننت أنه يقصد أموراً خاصة بالحكم.. وأظن أن هذا الحديث كان من الأسباب..

ثم سكتت متوجسة ولكنها أكلت بحذر وفي تردد:

- مولاتي أظن أن مولاي لم يرد سوى حمايتك وإنقاذك من هذا الحقيير.

ضحكت موان في سخرية:

- إنك بلهاء يا راما.. كل ما في الأمر أن هؤلاء الملوك والأسیاد قد اعتادوا أن يحصلوا على ما يريدون مهما كان الثمن.. ما أنا إلا لعبة أرادها..

خافت راما إن استمرت في الجدل أن يتعكر مزاجها ثانية بعد أن خرجت عن صمتها أخيراً، وتجادبت معها أطراف الحديث، فقالت محاولة تغيير الموضوع وإنهائه في آن واحد، وكأنه قد حُسم بالفعل ولا يحتاج إلى مزيد من النقاش:

- هيا حان وقت تناول الطعام والدواء..



- ولكن..

حاولت الاعتراض متبرمة:

- لا مزيد من (لكن).. عندما ينتهي كل هذا بعد عشرة أشهر ستعلمين إنك قد فعلت الصواب.. هيا سأذهب لإحضار الطعام.. ابتسمت موان في وهن وعندها فرد ماونتي جناحيه، وقبل أن يخلق في السماء وقف على النافذة محققاً إلى موان في عينيها التي ظنت أنها رآته ينحني لها قبل أن يخلق عالياً.

وفي غرفة الملك بعد قليل.. كان رهان يربت على رأس ماونتي الذي كان يرفرف سعيداً بما يحمله من أخبار، وأخذ الطائر الضخم يحك رأسه الأبيض ذا الريش الكثيف في وجه صاحبه الذي كان راضياً بما جاءه به، وكافأه بثمرة تفاح وهو يربت على ظهره الأسود ذي الخط الفضي الرفيع في منتصفه قائلاً:

- رائع أن تكون إلى جانبي دائماً يا صاحبي.



وفقاً للعرف والتقاليد في مملكة سيناجنين، فإن الملكة تلبس في حفل الزواج ثوباً ذهبياً نسبة إلى شجرة سيناجنين الذهبية (الكيوان)، ويلبس الملك حلة بيضاء مزينة بالأسنة بنفسجية نسبة إلى نار سيناجنين البنفسجية.. ولذلك فإن خياطي الملك كان عليهم أن يبدووا العمل على الثوبين سريعاً منذ أن أعلن الملك عن الزواج.. وتحسباً لأي شيء.. أمر الملك راما أن تؤجل إطلاع موان على خبر الزفاف إلى بعد أن تؤخذ مقاساتها لإعداد الثوب المناسب، وقد أعطى أوامره سابقاً للخياطين أن يكون الثوب محتشماً فهو لا يجب أن يحمق الرجال في جسد زوجته حتى وإن كان زواجاً صورياً..

- مولاتي.. هل نرفع الثوب قليلاً؟ مولاتي..

بسبب ضيق الوقت ما زال الخياطون يعملون على ثوب الزفاف رغم أنه لم يتبق على الحفل سوى ساعات معدودات.. وبعد ما زال الثوب يحتاج إلى بعض العمل حتى يصبح جاهزاً

انتبهت موان من شرودها، ونظرت في المرأة الطويلة ذات الإطار الذهبي التي تقف أمامها في غرفتها..

- حسناً.. أظن.. لا يهم.. افعلي ما ترينه مناسباً..

إنها لا تهتم سواء كان مرفوعاً أو ممزقاً حتى.. المرأة التي تجبر على زوج لا تعرفه ناهيك بأن تحبه.. هل يمكن حقاً أن تهتم بثوب زفافها؟؟ تشعر بأنها تؤدي دوراً كتب لها لا حيلة لها فيه..

لا تؤديه إلا بسبب وعد لا تضمن الوفاء به أن تنجو بنفسها يوماً
قريباً إن هي أتقنت دورها.. ولكن هل يمكنها ذلك؟ إنها تزدرى
وتحتقر كل ما يحدث في هذا اليوم المقيت.

- تبدين رائعة يا مولاتي..

ابتسمت لها الفتاة ذات الوجه الدائري الجميل في المرأة التي تنحي
لتصلح لها طرف ثوبها الآن.

ابتسمت موان في وهن.. ونظرت إلى نفسها في المرأة.. إنها
حتى لم تكلف نفسها عناء اختيار هذا الثوب.. تركت الأمر كله
للخياطين.. ولكنها الآن وهي تنظر إليه في المرأة يجب أن تعترف
أنهم أحسنوا العمل.. كان أجمل ثوب رأته أو لبسته في حياتها..
وهي التي كان يصدق عليها نمار أجمل الأثواب وأحسنها حتى إن
أخته أريانا شعرت بالغيرة الشديدة لذلك..

كان ذهبي اللون ذا ياقة عالية بلا أكمام يضيق عند الصدر
والخصر وينساب واسعاً بنعومة على جسدها الذي صار نحيلاً
بشدة بسبب عزوفها عن الطعام، فاضطر الخياطون في كل مرة
أن يضيقوه عن المرة التي تسبقها.. كان رقيقاً ورائعاً لا تشوبه
شائبة يليق بزفاف ملكي حقيقي..

- إنك ملكة بحق يا مولاتي.. تبدين رائعة الجمال..

كانت تلك راما التي نطقت بهذه الكلمات، وهي تبسم لها بوهن
في المرأة وتقف على بعد خطوات منها وراء ظهرها.. ثبتت موان
عينها العسليتين الواسعتين على صورة راما في المرأة، وهي لا تجد
ما تقوله وفرت دمعة منها فأسرعت راما تقول:

- لم يبق على الحفل سوى ساعات معدودات.. لذلك يحسن بكم أن تصلحوا الثوب حالاً.. يجب أن يكون جاهزاً بعد قليل.. هيا أسرعي.. كانت تتحدث إلى الفتاة ذات الوجه الدائري التي أخذت الثوب بدورها بعد أن ساعدت موان في خلعه، وأسرعت خارجة لتوضع عليه اللهسات الأخيرة.. جلست موان على الأريكة ذات الفرو الأخضر التي تقابل نيران المدفأة البنفسجية.. كانت تنظر إلى كفيها اللذين تضمهما معاً في حجرها.. كانا يرتعشان بشدة فكورتهما بقوة لعلهما يتوقفان عن الرجفة.

- تبدين شاحبة يا مولاتي.. يجب أن تأكلي شيئاً..

- لا أريد يا راما.. شكراً لك..

- سيكون يوماً طويلاً.. لذلك يجب أن تأكلي شيئاً ولو قليل..

- نعم.. أطول مما ظننت.. لمعت الدموع في عينيها..

- مولاتي.. مسحت موان دموعها وأشارت إليها أن تبقى مكانها لأن راما كانت تهم بالتقدم نحوها..

- لا.. لا يا راما.. ليس هناك داع.. لقد تقبلت قدرتي.. الأمر أنني فقط لا أدري ما أنا مقبلة عليه..

- مولاتي.. إن الملك...

قاطعتها بحدة:

- لا ينوي شراً.. عظيم.. رقيق القلب... ولكنني لم أر حتى اليوم سوى الأسوأ.. اتركيني وحدي يا راما.. أود البقاء بمفردي..



أخبرهم أن يؤخروا تزيين شعري وتبرجي.. أحتاج إلى بعض الوقت وحدي..

- أمرك يا مولاتي..

انسحبت من الغرفة في ببطء وعيناها معلقة بالفتاة الجميلة ذات الشعر الأسود الفاحم، وهي أتعس امرأة في يوم تحسدها عليه نساء المملكة والدنيا أجمع.. لكم هو غريب أمر الدنيا.. أحياناً تصبح بواطن الأمور أبعد ما يكون عن ظواهرها..

كانت تعلم ما عليها فعله الآن.. ظلت تسير في جنبات القصر وهي شاردة في أفكارها حتى وصلت إلى باب طرقاته، وسمعت صوتاً يأذن لها بالدخول.. لم يعد الحراس يعترضون طريقها بعد الآن..

- راما.. كيف حالها؟ سألها رهان في لهفة واضحة، وقد انتفض واقفاً لدخولها..

ظلت واجمة لا تجد ما تقوله.. نظرت إلى الأرض.. بحثت عن كلمات مناسبة تصف بها الأمر ويمكنها قولها للملك، ولكن كل ما دار بخلدتها لا يمكن أن تتفوه به؛ (لكم أنت أحق أيها الرجل!!.. ما أنت إلا وغد مثلك مثل نمار الذي تدعي أنك أنقذتها منه..)، كل هذا دار بخلدتها وغيره الكثير من السباب والازدراء.. لكن حتى ما هو أنسب قولاً وأقل قسوة مما تستطيع البوح به عن حال العروس من تعاسة وحزن وكأنها في مأتم.. لم تتمكن من البوح به في حضور الوزير حُران..

تهتد الملك ولم ينتظر أكثر من هذا، فقد كان صمتها أبلغ رد عليه..



- حسنا يا راما.. يمكنك الانصراف.. لا تركيها بمفردها طويلاً حتى إن طلبت منك هذا.. ابحي عن شتى الأعذار والحجج لتبقي بجانبها..

خرجت راما وهي تفكر في أن اليوم ثقيل وكأنه غصة في الحلق..

اقرب حُران من الملك وقد تصنع ابتسامة على وجهه الأسمر، ولكن قبل أن يتكلم عاجله رُهان:

- لا تقل لي زواجاً مباركاً.. لا نتكف هذا العناء..

اختفت الابتسامة عن وجه الوزير.. وألقى رُهان بنفسه على أريكة، وقد أحاط رأسه بكفيه.. سمعا طرُقاً على الباب، ودخل الحارس:

- مولاي.. الأميرة ليما تطلب الإذن بالدخول..

لم يكن معتاداً أن تأتي إلى غرفته، ولكن اليوم كله لم يكن عادياً.. لا بد أنها بحثت عنه واهتدت إلى مكانه.. أشار إلى الحارس أن يأذن لها..

خطت ليما إلى الغرفة وهي تبسم في تردد.. شعر ذهبي طويل وملاح دقيقة وبشرة مخملية وعينان زرقاوان في صفاء السماء.. لطالما كانت من أجمل النساء.. لمح نظرة الوله والولع التي طالما ألفها على وجه صاحبه عندما تظهر ليما:

- إذا.. إنه اليوم المنتظر.. مبارك يا مولاي..



زمت شفيتها وبدا عليها الحذر..

- نعم.. صدقت لقد انتظرتة طويلاً.. ولكني لم أتخيله قط بهذا الشكل..

- رُهان...

رق صوتها وكأنها تهمس واعتصر قسماات وجهها الجميل الألم والأسى..

- لا.. لا تقولي شيئاً لتَهَوِّي الأمر.. إنه قراري وقد تعلمت منذ الصغر أن أتحمّل عواقب قراراتي.. يجب ألا أتوقع أن يكون يوماً سعيداً والعروس تزوج بغير إرادة منها.. فلا هي عروس ولا هي سعيدة.. ولكن لم يكن بيدي حيلة..

- رُهان.. أخبرتك من قبل...

لمح العتاب في عينيها وصوتها فقطاعها بحدة:

- نعم، لم يكن لدي خيار.. نعم كما قلت لي سابقاً إنها ليست حرباً.. أتذكر ذلك جيداً ولكن ما الفرق بين الحرب والحب؟ إنهما يتشابهان كثيراً فكلاهما ذو بأس وسلطان على النفس لا يمكن الفرار أو الفكك منه.. أظنكم ترونني جميعاً أناانياً قاسياً ظالماً.. ربما أنتم محقون..

- لا يا رُهان.. إني أعرفك جيداً.. أنت ملك قدير أنكه الهوى فأساء التصرف..



- يا رب السماوات أغثني.. أردت أن أجعلها ملكة.. ربما يجعلها هذا تعلم مقدار حي لها.. لم أقصد حبسها ولا سجنها.. أردت أن تعرف أنها ليست نزوة ملك، أردتها شريكتي في حياتي كلها.. أردتها ملكة قلبي قبل أن تكون ملكة سينامجنين..

- رُهان.. هناك ألف طريق وطريق لتثبت لها ذلك غير هذا.. لا تم هذه الزيجة.. دع لها الاختيار..

قاطعها وهو يصرخ:

- لا.. لا.. لا أستطيع.. لن أتركها ترحل ثانية..

- حسناً، لأنك تعلم أنها لن تختارك.. وأنها سترحل إليه..

أمسكت لسانها ووضعت يدها على فمها ندماً على ما بدر منها.. أصبح وجهه قاسياً كاللجر عندما سمع كلماتها..

- رُهان.. أنا لم أقصد...

أشار إليها بيده أن تصمت وأشاح بوجهه عنها.. هو يعلم أن ما قالته قد يكون صحيحاً.. هل ستعود إليه إن تركها ترحل؟ هل ستعود لنمار؟!

- هيا يا رُهان.. لقد حان الوقت.. يجب ألا نتأخر..

وضع حُران -الذي اختار ألا يتدخل في الجدل بينهما واكتفى بالمشاهدة فني الاثنان وجوده في الغرفة- يده على كتف صاحبه..

- لم يعد الوقت مناسباً لمثل هذا الكلام يا ليماء.. إن الملك يعلم جيداً ما يفعل.. ثقي به..

نظر حُران إليه في ثقة.. أوما رُهان اليه وتذكر لماذا كان دائماً الأقرب إليه على مر السنين.. فعندما تولى الحكم وجاء بتغييرات جذرية.. نظر إليه ملاً أبيه الذين حازوا الخبرة على أنه مجنون أو شاب طائش لا يدرك مآلات الأمور، ولكن حُران هو من آمن به منذ البداية وسانده في قراراته كلها التي رآها القواد المخضرمون محض جنون.. ومعاً استطاع الشبان اليافعان صنع المجد والانتصارات لسينامجنين التي لم تتحقق من قبل والتي كان ينظر إليها قبلها أنها محض خيال شاين طائشين..

نظر الثلاثة بعضهم إلى بعض.. ولاحظ نظرات الاستسلام على وجه ليماء وقالت:

- إذا.. إلى الحفل.. فإن حفلاً مثيراً في انتظارنا في أغلب الظن.. وخرج الثلاثة معاً إلى البهو الرئيسي حيث ينتظرهم الحفل العظيم..

ازدان البهو الرئيسي للقصر بالزهور حتى أصبح كأنه حديقة غناء.. انطلقت الطير في كل مكان تحمل سلال الخبز وتصنع بأصواتها الرنانة لحناً عذباً يبعث السرور في النفس.. توهجت النيران البنفسجية التي تجري في الأخاديد المحفورة في جدران البهو الواسع.. ثبتت شجرة الكيوان بأوراقها الذهبية الجميلة عند العرش الذي وضع في أعلى البهو، وقد تدلت أغصانها وأوراقها عليه حيث سيجلس الملك والملكة بعد قليل، وقد استمرت أبواق القلعة تضرب كل حين منذ الصباح الباكر لتذكر أهالي سينامجنين بهذه المناسبة السعيدة.



وقفت موان ومعها راما خلف أبواب البهو وهي تشعر بالتوتر والخوف.. دقائق وستفتح الأبواب وتمر بين الجموع.. بدت رائعة الجمال في ثوبها الذهبي المنساب برقة عليها، وقد صُفِّف نصف شعرها الأسود في ضفيرة وترك الباقي منساباً على ظهرها.. حاولت راما أن تخفف من قلقها قائلة..

-تبدين رائعة... سيحبونك!

- ومن يهتم؟ كل ما يشغلي ألا اتعثر بهذا الذيل..

أومأت برأسها مشيرةً إلى ذيل الثوب الطويل الممتد خلفها..

ضحكت راما ثم سمعا قرع الطبول الهادر خلف الأبواب:

- أووه يجب أن أذهب الآن.. أتساءل لم تأخر مولاي حتى الآن!

- يجب ألا تبقى هنا أكثر من هذا يا راما..

جفلت راما عند سماعها الصوت القادم من خلفها..

- مولاي.. لقد تأخرت كثيراً..

تعجبت موان من الطريقة البسيطة التي تتحدث بها راما مع رُهان... بينما كان نمار يخيف كل من يتحدث معه خاصة الخدم الذي كان يعاملهم بقسوة وغلظة.. أشار إليها بيده وهو يتسم:

- هيا اذهبي.



وقف بجانبها في حلتها البيضاء المحلاة بالسنّة اللهب البنفسجية
مبهور الأنفاس بجمالها الأخاذ.. أراد أن يخبرها كم هي جميلة بل
أجمل ما رأت عيناه.. لكنه تراجع عن ذلك خوفاً من ردها..
ثم نظر إلى عينيها العسليتين في جد..

- هل أنت مستعدة؟

هزت رأسها وهي تركّز ناظرها على الباب الذي سيفتح خلال
لحظات فاستطرد قائلاً:

- ارفعي ذقنك إلى أعلى وابتسمي.. سيحبونك..

ابتسم لها في لطف وهو لا يستطيع أن يرفع عينيه عنها..
فأطرقت برأسها هاربة من نظراته التي أحست بأنها تخترق
جسدها..

أشار إلى الحراس أن فتحوا الأبواب، فلم تتمكن من قول ما
تريد.

عندما فتحت الأبواب أخذت موان بمنظر البهو الخلاب..
تسمرت عينها على شجرة الكيوان الضخمة التي تظلل العرش
الموضوع في أعلى البهو، وقد اصطفت على أغصانها المتدلية طيراً
بديعة من كل الألوان بذيولها الطويلة، وأعرافها ذات الألوان
الجميلة التي تشبه التيجان

ينص العرف في سينامجنين أن يدخل الملك والملكة يمسيان معاً
جنباً إلى جنب، لكن دون أن تتشابك أيديهما.. حمدت موان
الله في سرها على ذلك.. كانت قد دربت على مراسم الحفل منذ
أيام قليلة وحفظتها عن ظهر قلب.. بمجرد أن خطوا معاً إلى البهو

سرت النيران البنفسجية في أخدودين في الأرض على جانبي العروسين ينتهيان عند العرش..

مشيا بينهما والطبول تفرع والأعناق تشرّب لترى لمحة للعروسين الملكيين.

وصلا إلى العرش وتواجهها.. أخذ رهان نفساً عميقاً قبل أن شرع يقول

- أنا رهان بن آريوس ابن سيلام مورام ملك سينامجنين المجيدة والبحار الثلاثة العظام وأرمياس اخترتك موان ريبلاس.. لتكوني زوجة لي دوناً عن نساء الأرض ولتصبحي ملكة سينامجنين المجيدة وراعية لشعبها الطيب.. سواء شئت أم أبيت فإن أمر الملك نافذ لا خيار فيه.. علمت موان قبلاً هذه الديباجة السخيفة وقد تم تدريبها كيف يكون ردها ولكنها لوهلة أرادت أن تتحداهم جميعاً وترفض كل هذا الظلم..

ظلت صامته وقد لاح في عينيها العسلتين الواسعتين التحدي.. كانت نظرة رهان لها خاوية لم تعرف لها معنى لا تحمل تهديداً ولا ترغيباً.. عينان سوداوان خاليتان من كل شيء تحت حاجبين أسودين عريضين حتى خيل إليها أنه ميت.. كان الصمت ثقيلاً وقد تعلق كل العيون عليها.. أخذت نفساً عميقاً ثم قالت في خفوت، وقد أشاحت بنظرها عنه..

- فلتكن مشيئة الملك..

أخبرتها قنتيج والتي تولت مهمة تدريبها في الأيام السابقة للعرس أن هذه الديباجة تخص الزواج الملكي دون سائر سينامجنين.. وبررت قائلة لا يعني ذلك أن ملوكنا يتزوجون دون إرادة من



شركائهم، ولكنها ديباجة توارثها الملوك لا أكثر تعظيماً لإرادة ملوك سيناجنين.. ابتسمت ساعتها في سخرية وفكرت أن اليوم قد جاء الذي تصبح فيه الديباجة حقيقة، ولعلها ليست أول مرة كما تدعي قنتيج.

بعد ذلك وضع الملك على رأسها التاج التوءم لتاجه الذي تشبه حوافه ألسنة اللهب ومرصع بأجوار بنفسجية براقّة، ولكنه أصغر حجماً ثم جلسا معاً على العرش تحت شجرة الكيوان.. ودون سابق إنذار جاء فوج جميل من الطيور الخضراء والصفراء والحمراء، وحطت على شجرة الكيوان ثم أخذ الطير المنتشر في كل البهو يشدون معهم لحناً شجياً بديعاً لم تفهمه موان ولا غيرها من خارج سيناجنين لكنها شعرت به يمس شغاف قلبها من جماله وعذوبته.. ولكن رُهان أنصت إليهم في استمتاع وتأثر واضح وهو يعي كل كلمة..

أشرقت شمسنا اليوم

بعثت أشعتها لتبعث الدفء

وقلوب بلا حب بلا دفء

أشرق يا حب في قلوب باردة

كما أشرقت اليوم شمسنا

انقشعي يا سحب الشقاق

وأعيدي الدفء المرام



كان شذوهم شجياً يأخذ بالألباب، لم تسمع موان شيئاً في جماله وصفائه من قبل.. بعد أن أنهت الطيور تغريدها طارت عن الشجرة واختفت قبل أن تصنع نيراناً بنفسجيةً في سماء البهو بأجسادها البراقة.. نظر إليها وسألها:

- هل أعجبتك؟

كانت موان تنظر إلى الطيور التي اختفت بافتتان:

- إنها رائعة

- ولكنك لا تفهمينها..

نظرت إليه باستغراب واندهاش وقالت:

- وهل تفهمها أنت؟!!

- نعم وقلة من أهل سينامجنين..

شعرت بالفضول الشديد الذي نسيت معه كل شيء..

-وماذا قالت؟

- إنها توصي أحدنا بالآخر..

ثبت عينيه في عينيها..

شعرت بالغضب مما قال على بساطته وأشاحت بوجهها.. هل صدق حقاً أنهما زوج وزوجة؟! يا لسخف الأمر كله!! ولكنها

عندما أشاحت بوجهها إلى الجهة الأخرى، ظنت أنها رأت أجمل امرأة في العالم.. شعر ذهبي لامع يصل إلى منتصف ظهرها وعينان زرقاوان عميقتان كالبحر يتناسبان مناسبة صارخة مع بشرتها النخمرية الصافية، وكانت كلما مشت التفت إليها الأعناق مأخوذة بجمالها الفتان.. تساءلت في نفسها من هي يا ترى وفكرت أن تسأله ولكنها تراجعته عن الأمر وفكرت أنه من الأفضل أن تسأل راما فيما بعد.. رصت الموائد لتقام المأدبة واكتظت بأصناف الطعام المختلفة ولكن رهان وموان لم يشعرا بالجوع واكتفيا بالجلوس صامتين حتى قطعت موان الصمت سائلة:

- هل يمكنني المغادرة؟.. أشعر بالتعب وأريد المغادرة..

- يمكنك المغادرة إن أحببت..

لا يعرف لماذا أصبح رده مقتضباً بهذا الشكل، ولكنه يبحث عن الكلمات كلما نظر إليها، وكان بالقرب منها فلا يجدها..

قبل أن ترحل سأها فجأة:

- موان.. أريد أن أتحدث معك على انفراد.. فهل يمكن أن آتي إلى غرفتك بعد انتهاء الحفل أو في أي مكان تحببته لتتحدث؟

أضاف الجملة الأخيرة خوفاً من أن تسيئ فهمه.. التفتت إليه وردت ساخرة:

- تسألني الإذن للقدوم إلى غرفتي؟! ألم يكن أولى أن تستأذني في زواجي بك؟ إنه قصر كيا مولاي تفعل فيه ما تشاء.. فلتكن مشيئة الملك.. قالت العبارة الأخيرة وهي تؤكد على كل حرف فيها في حيرة وقهر ثم رحلت مسرعة، وكل العيون تتبعها متسائلة

عن سبب مغادرتها الحفل بهذا الشكل.. شاهدتها وهي تمشي مبتعدة، فأدرك أنها لم تكن يوماً أبعد عنه من اليوم..

ماذا فعل بحب حياته؟ كان يظن أنه بزواجه بها سيثبت لها حبه.. بأنها ليست مجرد نزوة عابرة، وأنها من أراد أن يبقى معها للأبد.. أكانت ليما على حق؟ هل أفسد كل شيء؟ ولكنه كان متأكداً.. شعر بثقل على صدره، وكأنه عاجز عن التنفس، وأراد أن يستنشق هواء الليل البارد عله يثلج صدره المضطرب، وغادر الحفل مسرعاً هو الآخر وجميع الأعين تتبعه في حيرة ودهشة.

مشى في الظلام على غير هدى.. كانت الثلوج كثيفة في حديقة القصر والريح تزجر.. فكر أن يذهب للسباحة في البحيرة التي اعتاد السباحة فيها منذ الصغر حتى في أقسى أيام الشتاء برودة.. فقد كان أبوه آريوس يعتقد موروثاً أن ملوك سيناجنين يجب أن يكون لديهم قدرة فائقة على تحمل الصقيع، ولذلك دأب على تعويده السباحة في المياه المتجمدة، وعلى الرغم من صعوبة الأمر في البداية وقسوته إذ كان يلقي بالصبي في المياه المتجمدة بضع ثوان في بادئ الأمر، ثم ينتشل حتى يعتاد الأمر، فإنه أصبح عادة محببة إلى قلب الشاب كلما ضاق صدره وقلبه بأمر ما..

وقف على حافة البحيرة في الغابة، التي يغطيها طبقة رقيقة من الثلج.. خلع حلته البيضاء إذ إنه لم يكن يلبس سواها رغم الشتاء القارس عندما خرج مسرعاً من الحفل.. إذ إن البهو الرئيسي كان دافئاً دافئاً خانقاً، فقد زادت فيه المشاعل والثرايا التي تحوي النيران البنفسجية استعداداً للحفل.. وقد صب فيها السائل الذي يزيد من حرارتها حتى ينعم ضيوف الملك بالدفء والراحة.. قفز في البحيرة المتجمدة مرة واحدة وسمع تكسر الثلج عندما لمس سطح البحيرة قبل أن يشعر وكأنه طعن بالآلاف الخناجر مرة

واحدة في كل مكان في جسده العاري.. ظل يسبح حتى شعر
بالإنهاك من شدة التعب والصقيع.. عندما خرج من البحيرة وجد
ماونتي يقف عند ملبسه وهو يحملها بين منقاره ويهزها..

- أهلا يا ماونتي.. هل افتقدتني؟ جئت لتبحث عني.. تعلم دائماً
أين تجدني؟ أوما الطائر الضخم برأسه الأبيض.. لبس حلته بعد
أن نفض عن جسده الماء البارد كالقطط.. جلس بجانب ماونتي
مقرفصاً الذي أخذ يمسح رأسه الأبيض بوجهه..

- لقد أفسدت كل شيء يا ماونتي.. ظننت أنني أثبت لها حبي..
فأكدت لها أنني مغتصب فاسد.. ماذا فعلت؟

بدأ يبكي كالطفل فأخذ الطائر الأسود ينطق بقوة وكأنه
يواسيه..

- لا.. يا ماونتي.. إنه خطئي منذ البداية.. ليتني استمعت إلى
حُران وليما.. ليتني تركتها ولكني لم أستطع.. أقسم لك بأغلظ
الأيمان أنني لم أستطع فعل ذلك..

نشج الملك نشيجاً حاراً واستمر الطائر في صياحه، وكأنه يؤكد له
أنه يشعر بألمه.. ارتفع صياح ماونتي حتى اجتمعت كثير من طير
الغابة على الأشجار المحيطة بهما يشاهدون الملك الذي يعرفونه جيداً
وهو يبكي ويتعذب.. رفع رأسه إلى السماء وصرخ بأعلى صوته:

- لم أستطع فراقها ثانية..

ثم أخذ يبكي، وإذا بالطير المجتمعة على الأشجار تصيح من ورائه
صياحاً شجياً يرثي صاحبهم حتى سُمع في القصر والمملكة أجمع حتى
توقف الناس في الطرقات يتساءلون عن سبب شدوهم الحزين في



هذا اليوم السعيد.. وكان الغابة كلها تصرخ معه وكان الغابة التي
أحبها منذ صغره تتألم لألمه..

ظل جالساً في مكانه مقرصاً لا يتحرك، وهو لا يدري كم مضى
من الوقت.. بعد أن هدأ قليلاً قام واقفاً:

- يجب أن أذهب إليها.. يجب أن أحدثها وأوضح لها..

تجنب المرور من البهو الرئيسي، واتخذ طريقاً خلفياً للقصر واتجه
مباشرة إلى جناح النوم حتى وصل إلى غرفتها..

طرق الباب بخفة وانتظر الرد، كان قلبه ما زال مضطرباً،
فتحت الباب كانت ما تزال تلبس ثوبها الذهبي ولكنها جمعت
شعرها الأسود ورفعته إلى أعلى على شكل ذيل حصان.. كانت
جميلة كليلة عيد..

بدا على وجهها الدهشة والتعجب لرؤيته.. تنحت عن الباب
جانباً ليدخل، ولكنها لم تنطق بحرف، فراه إذناً منها بالدخول..

تسمرت في مكانها وقد عقدت ذراعها أمام صدرها، في حين
بدأ يجول ببصره في الغرفة وقع نظره على فرو أرجواني كان لأحد
الحيوانات الغريبة التي اصطادها يوماً ما في أحد أسفاره الذي
تحول إلى معطف..

- هل تذكرين هذا الفرو؟ كنت قد اصطدته من أحد البلاد،
وأعجبك كثيراً وأردت الاحتفاظ به، ولكنني رفضت يومها
وتحججت أنه لحران ونويت أن أصنع لك منه معطفاً.. حزنت
يومها لأنني لم أعطك إياه كما تمنيت، ولكن عندما أهديتك إياه
بعد فترة ورأيت أنه قد تحول إلى هذا المعطف الجميل طرت من



الفرح.. لقد احتفظتُ به كل هذه السنين وكلي أمل أن أعيده
إليك يوماً ما..

شخص بصره، وكأنه يرى الذكرى ماثلة أمام عينيه..

- آسفة.. لا أتذكر شيئاً.. كتمت غيظها وحاولت أن تخفي
شكها فيما يقول..

- موان.. أرجو أن تفهمي أنني لم أقصد الزواج بك على غير
إرادة منك.. كل ما أردته أن أثبت حبي لك، أن أجعلك ملكة
لسينامجنين، وأن تبقي معي العمر كله.. أنا آسف لعيّ أسأت
التقدير..

قاطعه بحدة:

- أسأت التقدير!! آسف!! أيها الملك أنا لا أعرف شيئاً سوى
أنك اغتصبت حريتي وسجننتني! أي حب هذا! لم تقصد! تبرر
بعد أن تزوجتني غصباً أنك لم تقصد!! يا ملك سينامجنين الناس
يأسفون عندما يصطدمون بك وهم يسرعون.. الناس يأسفون
حين يكسرون كوباً أو مزهرية.. لكن عندما يكسرون بشراً
ويذبحونه بدم بارد ليس هناك بعد كلمة لمحو ذلك أو تخفيف ألمه
حتى للأسف.. سواء شئت أم أبيت لن يحدث أسفك فرقاً!

أكدت علي كلماتها الأخيرة التي قالها من قبل ففهم قصدها
وقال موضحاً: - إنه موروث نقوله في الزواج الملكي غير مقصود..

- مقصود أو غير مقصود هذا لا يهمني في شيء.. ما يهمني أنني
بعد شهر معدودة سأتحرق من كل هذا؟



نظرت إليه متسائلة في شك..

- نعم.. ويجب أن تعلمي أنني لن أقربك يوماً ما إلا بإذن منك..

- ولن تحصل عليه أبداً ما حييت.. فلتعلم هذا جيداً..

اكتسى صوتها بالتحدي المشوب بالاستهزاء..

شعر بالغضب يتصاعد داخل صدره وأصبح وجهه كالصخر..

- أنت تتعدين كل الحدود.. لا تنسي أنك تكلمين ملك سينامجنين..

- لست الملك الوحيد الذي تحديته يوماً..

تراجعت خطوتين للوراء لأن رهان قد تقدم نحوها والشرر يتطاير من عينيه من شدة الغضب..

- ولكني الملك الوحيد الذي سيغفر لك ما تقولين دون عقاب موجه..

خرج مسرعاً من الغرفة فاصطدم براما التي كانت تقف على الباب تنتظر خروجه.. دخلت الغرفة وهي ما تزال تنظر إلى حيث كان يقف الملك منذ لحظات، وقالت:

- لا بد أن الخبر قد وصله!

- أي خبر يا راماً؟



- الجنوبيون.. شنوا هجمات على قرى الحدود.. إنها الحرب يا مولاتي

اتسعت عينا موان وهمست:

- نمار!

مرت عشرة أيام منذ حفل الزفاف، ومنذ أخبرتها راما بنخب
الحرب، لم تر فيهم موان رهان بعد أن جاء إلى غرفتها في ذلك
اليوم، أخبرتها راما أن الملك قد خرج إلى الحرب مع كبير قواده
حُران، وأنه قد ترك وزير غابة لينودام سلوان ينوب عنه في
أمور الحكم، سمعت من الجميع -وأولهم الوزير سلوان الذي طلب
الإذن بزيارتها وأخبرها أن الملك قد أوصاه بها وبصحتها وأن تلبى
جميع طلباتها- أنهم يعلمون أن الحرب طاحنة وليست باليسيرة،
لكنهم جميعاً كانوا مطمئنين لانتهائها لصالحهم بسبب قوة جيوش
سينامجنين، وبراعة كبير القواد حُران في جميع الحروب التي خاضها
من قبل..

- أتعجب لمَ خرج الملك إلى الحرب إن كان الوزير حُران بهذه
البراعة التي تتحدثون عنها؟

- لا أعرف.. أحيانا يخرج الملك للحرب وأحيانا يبقى.. وبين
هذا وذاك لا نعلم السبب..

ولكن موان كانت تظن أن لديها فكرة عن السبب.. ظنت أن
الملك يريد أن يمعن في إذلال نمار فبعد أن خطف مخطوبته يريد

أن يهزمه هزيمة نكراء.. منتهى العجرفة والتكبر، فكرت في نفسها..

لاحظت أن راما تسترق النظر إليها وكأنها تريد أن تسألها شيئاً!

- أعرف بم تفكرين يا راما؟ لا بد وأني أتمنى أن يكسب نمار الحرب.. شهقت راما ووضعت يدها على فمها وأسرعت تقول:

- لا يا مولاتي لا يمكن أن أقول هذا! أنت ملكة سينامجنين.. لا يمكن..

ضحكت موان في سخرية:

- لا.. لا يمكن أن أدعي اخلاصي لهذه المملكة وملكها خاصة أمامك يا راما.. فأنت رأيت كل شيء.. تعلمين أنني مكرهة على كل شيء.. نعم لا يمكنك قول هذا، ولكن يمكنك التفكير فيه.. ولكن الأمر أنني حقاً أتمنى هزيمة نمار بل أتمنى أن يمحي من فوق الأرض..

- حقاً؟!!

- نعم.. أوتظنين أن معاملة ذاك الحقير معي كانت أقل قسوة من جواريه؟!.. بل أقسى وأذل..

ترقرقت الدموع في عينيها العسليتين الجميلتين.. استطردت وعلى وجهها علامات الألم:

- كان يهينني ويضربني لأتفه الأسباب، أذكر آخرها كان هنا بسبب حضوري مادبة الطعام التي أعدت على شرف حضورنا دون إذن منه.. فثار وغضب وضرب الكأس الذي كنت



أحملها، وهددني إن رأني ثانية في أنحاء القصر أو على المآدب
سينزل بي عقابه..

لم يكن مسموحاً لي أن أتنفس دون إذن منه، وكل هذا كان
بدعوى حبه وغيرته عليّ.. ولم يغثني من ثورته يوماً سوى وجود
أريانا معي بعد انتهاء المأدبة.. كان قاسياً.. فتحت عيني عليه منذ
ست سنوات، وأنا لا أتذكر شيئاً البتة عن نفسي.. ظل بجانبني
حتى تعافيت وظننت أنه طوق نجاتي ولسوء حظي وقع في حبي،
ولكن سرعان ما أفصحت الأيام عن طبيعته المتوحشة..

حاولت الفرار منه ولكن دون جدوى كان يحاصرني في كل
مكان ويبقيني تحت عينيه وعين رجاله الذين أحاطوني من كل
اتجاه ثم أيقنت أن قدرتي أن أبقى معه واستسلمت للأمر.. لكم
تمنيت الفرار والخلاص منه، ولكنني كنت خائفة ولا أعلم مكاناً
أجأ إليه ولا أحداً لي في هذه الدنيا أستغيث به.. على الأقل الآن
لدي هذا الوعد بالخلاص.. لذا فإنني أتمنى أن يهلك في الجحيم..

- ولكن الملك رُهان ليس كمنار..

- لا أقول إنه بالسوء نفسه.. ولكنه على قدر كبير من السوء
الذي سمح له بخطف مخطوبة ضيفه، وأكرهها على الزواج..

- ولكنني أظن أنه قد فعل ذلك رغبة في حمايتك.. فقد علم
بطبيعة نمار الوحشية وأراد أن ينقذك..

- ولكنني لم أستنجد به.. ما هي إلا حجج لينال ما يريد يا راما..
أنت لا تعلمين شيئاً

- ولكنه كان يحبك من قبل، ولم يتحمل رؤيتك مع رجل

آخر..

- هل تصدقين هذا؟!!

- لا أستطيع أن أؤكد لك الأمر تمامًا، إذ لم أكن في الخدمة داخل القصر حينها، كنت أعمل خارج القصر في الحدائق وأحياناً قليلة في المطبخ.. ولكن قنتيج تقول إنك الفتاة نفسها التي جاءت إلى هنا من سنوات مضت، وأعلن خطبتكما قبل أن تختفي في ظروف غامضة.. نعم إنها تقول أنك نحفت كثيراً عن تلك الأيام، وصرت أكثر شحوباً ولكنها لا يمكن أن تخطئ تلك العينين العسليتين.. تكرر دون كلل أو ملل أن الملك قد بحث عنك طويلاً ثم فقد الأمل ولزم غرفته، ولم يخرجها منها إلا مرض أبيه..

- يجب أن تقول هذا.. إنه سيدها.. كما أنه يخلق من الشبه أربعين.. ألا يقولون ذلك؟!!

- لا.. لا.. هزت رأسها بعنف، أنت لا تعرفين قنتيج، إنها لا تكذب أبداً.. كما أنها لا تخطئ..

ابتسمت موان لراما، فمذ أن رأت راما وقد أحبتها لطبيتها وصدق مشاعرهما.. إنها ذلك الصنف من البشر الذي يدخل القلب من أول لقاء، إنها لا تفتعل مشاعرهما أو تتكلفها بل تخرج عفوية صادقة..

- كم عمرك يا راما؟

- سأبلغ الخامسة والعشرين في الربيع.. أخبروني بأني قد ولدت في الربيع..



- منذ متى وأنت هنا؟

- منذ ثمان سنوات على ما أذكر، قبلها تنقلت في الأسواق وعملت في عدد من القصور، ولكنهم كانوا يعيدونني دائماً للتاجر بعد شرائي بوقت قصير لأنني آكل كثيراً أو ألعب كثيراً أو أضحك كثيراً..

أقلت برأسها للوراء وهي تفهقه وأردفت:

- ثم رأيتني قنتيج، وجئت إلى القصر.. في البداية عملت في الحدائق وأحياناً قليلةً في المطبخ.. لم أكن أدخل القصر كثيراً، ولكن بعد أعوام من العمل في الحدائق رأيت قنتيج أن أعمل في المطبخ ثم ألحقتني بخدم الملك الخاص.

- هل تعنين نساءه وجواريه؟

- نعم، ولكن تتعدد المهام بيننا.. بين تنظيف غرفته وإعدادها وإعداد الطعام الخاص به وغيرها من المهام الخاصة بالملك..

أحست بالخرج وتمنت ألا تستزيد موان من هذا الحديث..
تمنت من صميم قلبها أن تعتقد أنها كانت تنظف أو تخطط أو أي شيء آخر..

- نعم.. لقد كان لدى نمار الكثير من النساء بالطبع لإمتاعه.

بدا على وجهها علامات التقرز..

- الحق أن الملك رُهان ليس زير نساء.. إنه لا يعرف أغلب نساءه.. أغلبهن يعملن أعمالاً عادية إن كنت تفهمين قصدي..



تمنت راما أن تظن موان أنها كانت ممن ينظفون أو يطبخون للملك.. لم تشعر بالراحة أن تعرف سيدتها الجديدة بطبيعة العلاقة بينها وبين الملك، وتمنت ألا تسألها عن الأمر، ثم أردفت قائلة وكأنها تحدث نفسها:

- ولكني أتساءل إن كان الأمر كذلك؛ لماذا يحرم علينا الزواج؟ لماذا لا يحل لنا أن نتزوج ويصبح لنا بيتاً وزوجاً وعائلة تحبنا؟!!

بدا على وجهها علامات الحزن والأسى..

- عندما انتقلت إلى داخل القصر كنت سعيدة.. إننا لا نخير بالطبع، ولكنني كنت سعيدة بالوجود داخل أروقة القلعة المترفة وأسرتها الناعمة وطعامها اللذيذ الطازج وثيابها الجميلة.. ولكن مع مرور الوقت عرفت حقيقة الأمر ستبقين هكذا دون حياة، تمنيت يوماً لو عدت إلى المطابخ والحدائق، ولكن لا خيار لدي..

- ألا تستطيعين العودة؟

- إنهم لا يخبرونك، فقط ينقلونك كما ينقل الأثاث أو أي شيء آخر..

نظرت إليها في أسى كانت تعلم أن موان ستفهم مشاعرهما ولم تشعر برغبة في تجميل ما قالته..

- لا تحزني.. إنهم لا يخبرونك أيضاً إن كنت ترغبين في الزواج..



ضحكاً معاً.. اختارتا أن تضحكا بدلاً من أن تبكيا..

- ولكنك ستحررين في النهاية.. ما أجمل هذا الأمل!

بدت على وجهها الجميل نظرة حاملة..

- هذا إن أوفى بعهدہ..

- إذا قطع الملك على نفسه وعداً سيفي به.. إن ملوك سينامجنين
يوفون بعهودهم..

أومات في ثقة

- راما.. أعدك أن أحرك قبل أن أرحل.. لا أعرف كيف
ولكني أعدك..

وهكذا قضت الفتاتان أيامهما معاً.. استمرتا في الحديث طويلاً
عن أشياء عدة.. عادات أهالي سينامجنين.. طعامهم وأكلاتهم..
أعيادهم وأفراحهم.. قصر ليموراس وحدائقه المتخمة وحال
الناس المعدم في تلك المملكة البائسة.. صارت لهما مع مرور
الأيام صداقة بينهما.. توطدت مع مرور الأيام وتوالي الأحاديث
السامرة بينهما..

كانت راما تتخفف عن موان كثيراً من حزنها ووحدها بثرثرتها
المحببة وضحكاتها الرنانة.. لم يتحدثا مرة ثانية عن طبيعة العلاقة بين
راما والملك لكن موان كانت من الفطنة لتدرك الأمر وحدها..

لم تشعر فقط بخرج راما عند حديثها في الأمر بل استشعرت
رغبتها في تجنب المزيد من هذا الحديث.. فعلى الرغم من كل



شيء هي ترى موان الآن زوجة الملك وملكة سينامجنين.. أتظن أنها قد تغار أو تتأذى من أمر كهذا؟! كم هي واهمة المسكينة! إنها تبغضه ولا تطيقه..

صارت أيام موان في القصر على منوال واحد.. في الصباح تأتي إليها راما بالإفطار وتغير الورود في المزهريّة يساعدها الطير في كل شيء، وقد أسهم هذا في خلق علاقة طيبة بين موان والطير الذي يأخذ في الطيران حولها أول ما يدخل ويداعبها برفع خصلات شعرها ليسمع ضحكاتها.. ثم تتناولان معاً طعامهما..

كانت راما ترفض في بادئ الأمر أن تجلس معها على مائدة واحدة، لكن موان هددتها بأنها لن تتناول الطعام إذا لم تفعل، فأذعت الفتاة في النهاية..

في يومٍ وبينما يتناولان إفطارهما دخلت عليهما قنتيج، وهما يتحدثان معاً فزجرت راما بشدة ونهرتها:

- راما.. هل جنت يا فتاة؟ ماذا تفعلين؟

رفعت إليها موان عينيها وسألتها في برود متجاهلة تعنيفها لراما:

- ما الأمر يا قنتيج؟ ماذا تريدن؟

- مولاتي.. لقد أرسلني هنتار لأسألك ماذا تحبين أن تتناولي على الغداء اليوم.. مولاتي يجب ألا تتساهلي مع هذه الفتاة بهذا الشكل.. مولاي لن يعجبه هذا.. اكتسى صوتها بنبرة تحذير يشوبها تهديد ضمني.. كانت راما قد قامت واقفة، وهي تنظر إلى قنتيج بازدراء واضح لم تحاول إخفاءه..

- لا تتدخلي فيما لا يعينك يا قنتيج.. ولا تخبريني ما أفعل وما لا أفعل.. أما هنتار فأخبريه بأني سأترك له الأمر ليتخير لي ما شاء فإنني أثق به.. هل من أمر آخر؟

- لا يا مولاتي..

- يمكنك الانصراف..

بعد أن خرجت زفرت موان في حنق قائلة:

- يا لها من عجوز حيزبون!

- هذا رأي مولاي أيضاً، لكنه يرى أنها كفاء..

نظرت إليها موان محذرة.. فلقد صار بين الاثنتين اتفاقاً ضمياً أن يتجنبنا ذكر الملك الذي ما زال غائباً في حربه..

قالت راما وهي تغير مجرى الحديث سريعاً:

- سوف أحضر لك اليوم صحيفة بها قصص رائعة.. ستسليكَ كثيراً..

أحياناً تأتي لها راما بالصحف والرقاق لتقرأها وتنشغل بها، فهي تعلم أن سيدتها مولعة بالقراءة.. وفي أوقات قليلة وافقت موان على النزول للتنزه في حدائق القصر، ولكنها لاحظت أن جنوداً يتبعونها كظلها أينما ذهبت، وعندما أسرت لراما بذلك، قالت لها إنها تعليمات الملك مما أغضب موان، وجعلها تشعر بأنها مراقبة طوال الوقت، وقد أربكها ذلك وجعلها على غير طبيعتها المرححة.. على الرغم من أنها لا تعرف كيف يمكنها تخطي بوابات

القصر المقفلة دائماً خاصة مع كل هؤلاء الجنود الواقفين عليها للحراسة.. وبسبب هذه الرقابة الخانقة التي جعلتها تشعر بأنها غير مرتاحة، فقد تخلت عن تلك الزهات القصيرة في حدائق القصر رغم حاجتها إليها، فإن هناك أمراً آخر قد شغل حيزاً كبيراً من وقتها وهي عملية تجهيز خزانها بالثياب والملابس المناسبة.. فطبقاً لتعليمات للملك سابقة كما أُخبرت فيما بعد أتلفت جميع أثوابها التي جاءت بها من ليموراس وبدأ الخياطون في إعداد أثواب وملابس جديدة لها، فأخذوا يعرضون عليها الأقمشة المختلفة ويصفون لها الأثواب.. وقد ضايقها الأمر كثيراً إذ إنهم فعلوا ذلك دون الرجوع إليها.. فهي على الأقل كانت تود الاحتفاظ ببعض القطع المحببة إلى قلبها من ثيابها، لكن الملك -دون الرجوع إليها - أمر بإتلاف جميعها وفكرت في نفسها كيف تتوقع من رجل انفراد بقرار زواجه من امرأة دون اهتمام برغبتها من عدمه في الأمر أن يرجع إليها في قرار إتلاف ثيابها! وقد حاولت في البداية التمرد على الأمر برمته بعدم المشاركة فيه، لكنها عادت وغيرت رأيها عندما دخلت عليها إحدى الفتيات يوماً ما بثوب برتقالي اللون بشع وقد زينت ياقته وأطرافه بريش أصفر..

- ما هذا؟

نظرت موان بفرع إلى الثوب الذي تحمله الفتاة:

- ثوبك يا مولاتي.. لقد انتهوا منه اليوم..

- يا إلهي.. إنني لن ألبس هذا الثوب ولو كان آخر ثوب على وجه الأرض.. تدخلت راما قائلة:

- مولاتي.. أعلم أنك غضبي من إتلاف ثيابك، ولكن إن



انتهى بهم الأمر بصنع أثواب رائعة كهذا الثوب.. أظن أنه يجب أن تراجعني عن قرارك.. إنك في النهاية لن تجدي غيرهم في خزانتك..

قالت راما هذا وهي تكتم ضحكاتهما..

- لقد كان ثوب الزفاف رائعاً.. ماذا حدث لهم؟

- أظن أن الملك قد تدخل في الأمر حتى يضمن ذلك.. يا إلهي! من أي شيء استلهموا هذا؟ «الدجاجة العايقة»!

- لا أصدق.. يجب أن أتدخل في الأمر وإلا سينتهي بي الأمر أن أصبح أضحوة القصر كله..

وبالفعل بدأت موان في اختيار الأقمشة ووصف القصات المناسبة للخياطين ومتابعة عملهم، وقد ساعدها ذلك في شغل وقت كبير حتى إنها أحبت الأمر بالفعل واستمتعت به، وقد امتدح الخياطون ذوقها وهي لا تعلم أن كل ما تفعله أنها تعيد صنع أثواب قد لبستها من قبل وأحببتها..

سألها راما يوماً:

- مولاتي.. ألا تحبين أن تسبحي قليلاً؟

- أسبح؟! في مثل هذا الجو المتجمد؟ كيف تتحملون هذا البرد؟!!

- لا.. لا.. إنها بركة دافئة..



كانت موان مترددة في قبول الأمر.. ولكن مع إلحاح راما عليها، وشعورها بالملل والرتابة، وافقت أن تذهب معها لترى البركة أولاً ثم تقرر..

كانت موان تظن أن البركة خارج القصر، ولذلك دهشت عندما نزلوا إلى البهو ودلفوا إلى قاعة مغلقة.. كانت القاعة فسيحة وخاليه تماماً إلا من حوض ضخّم نُحِت من حجر أملس سميك لونه أحمر قانٍ يصل ارتفاعه إلى منتصف الواقف، وقد تناثرت حوله بسط خضراء مريحة.. وقد حفر أخدود في سطحه الخارجي.. كان الحوض مملوءاً بالماء الذي اصطبغ بلون الدم بسبب لون الحجر.

لمست موان -المدهوشة بجمال الحوض- الماء لتجده بارداً

- راما!! لقد قلت إنها بركة دافئة..

- نعم بالطبع.. يالهم من حمقى! لقد نسوا تدفئة الماء..

أشارت راما إلى الأخدود ثم اتجهت إليه وصبت فيه سائلاً أحمر فسرت النيران البنفسجية في الأخدود، وأحاطت بالحوض الضخم كالحلقة..

- سيتعين علينا أن ننتظر قليلاً حتى تصبح المياه دافئة..

بعد قليل وضعت يدها على الحجر، وهتفت:

- إنه دافئ.. هيا بنا..

- ألن يصبح ساخناً جداً؟ أخشى ان نموت حرقاً يا راما..



- لا.. لا.. إن الحجر سميك جدًا، وقد تحكمت في حرارة النيران.. لا تخشي شيئًا يا مولاتي.. نزلتا المياه بملابس خفيفة واستمتعتا بالسباحة في المياه الدافئة..

سألها موان فجأة:

- هل له إخوة؟

أدركت راما أنها تتحدث عن الملك، وكانت هذه سابقة:

- لا.. إنه الابن الوحيد للملك آريوس..

- غريب.. هؤلاء الملوك يحبون إنجاب كثير من الصبية خوفًا على ملكهم!

- نعم، ولكن أظن أن الأمر...

لم تكمل جملتها وسكتت..

- ماذا؟

- لم يكن اختيارًا.. أظن ذلك!

- ماذا يعني ذلك؟

لاحت على وجه راما تلك النظرة التي أصبحت موان تعرفها الآن جيدًا.. تلك النظرة المحببة التي تعني أنها تستعد لثرثرة طويلة تستمتع بها..



- يقال إن الملك آريوس قد أحب امرأة واحدة هي زوجته الملكة سوارتي.. كانت ابنة عمه الصغرى وكان يكبرها بعشر سنوات.. لقد ولدت على يديه.. وشاهدها وهي تكبر يوماً بعد يوم، وفُتن بها بعد أن أصبحت فتاة جميلة، وقد فُتنت به الفتاة أيضاً.. تزوجها وهي في سن الرابعة عشرة، وعاشا معاً في سعادة وهناء.. ولم يعكر صفو حياتهما سوى تأخر حملها، وقد كان أبوه الملك سيلام مشتاقاً إلى حمل حفيده ووريث العرش.. لكن السنين مرت دون جديد، وقد جعل ذلك الملك يلح على ولده في الزواج بأخرى.. لكن الأمير آريوس رفض الأمر حتى لا يُحزن زوجته التي كان يحبها كثيراً، ولكنه تحت إلحاح أبيه ورغبته في إنجاب وريث عرشه وافق على اتخاذ خليات له.. وقد أحزن ذلك الفتاة، ولكنها لم تظهر ذلك لحبها الشديد لزوجها.. ومع ذلك لم تنجب أي منهن للملك وريث العرش المرجو.. وبات مؤكداً أن الأمير هو الذي لا ينبغي، وقد مات الملك سيلام وقد حرم من أن يرى حفيداً له.. ولكن بمعجزة من الله بعد عشرين عاماً من الزواج، وبسبب وصفة جاء بها معالج الملك من بلاد بعيدة حملت الملكة سوارتي - والتي اشتهرت بالملكة سو- وأنجبت صبياً.. طار به الملك آريوس فرحاً ثم بعد ثلاث سنوات من مولده ألمت بالملكة مرض شديد وماتت وتركت الأمير رهان وراءها.. لم يتزوج الملك بعد وفاتها حباً ووفاءً لها، كما رفض من قبل في حياتها أن يتزوج غيرها.. ولكن هناك أقاويل إن في الوقت الذي حملت فيه الملكة سو.. كان للملك خلية وقد شاع أنها حملت هي الأخرى في الوقت ذاته ووضعت فتاة.. ولكن الملكة سو بعد أن وضعت صبياً أصرت أن ترحل الجارية وابنتها من القصر.. ولما كان الملك آريوس لا يستطيع أن يرفض لها طلباً خاصة وقد جاءت بوريث عرشه فقد أرسل الفتاة وابنتها إلى بلاد بعيدة حتى يرضي الملكة.. ولكن قنتيج تقول إن هذه محض أكاذيب وهراء..

- قصة حزينة..

- نعم.. لا أظن الملك يتذكر أمه إلا من رسوماتها المعلقة في
بعض غرف القصر..

بعد أن سبحتا طويلاً جاءهما الغداء بناء على أوامر سابقة من
راما.. فتناولتا الغداء معاً على الفرش المبسوطة حول الحوض قبل
أن تصعد موان إلى غرفتها وهي تشعر بالنعاس الشديد يغلبها، وبعد
أن دخلت سريرها وأحكمت عليها راما الدثار وأشعلت مزيداً من
النيران..

ابتسمت لها موان قائلة:

- شكراً لك يا راما.. لا أعلم كيف كنت سأقضي أيامي هنا من
غيرك؟

- تصبحين على خير يا مولاتي.. يسعدني وجودي إلى جوارك.

* * *



قطع حُرانُ غصناً من إحدى الأشجار بدا ميتاً قبل أن يقول
بصوته الصاخب:

- كانت هزيمة ساحقة لِنمار.. أن تفقد جيشاً كاملاً بعتاده،
ويقع أسيراً في يد الأعداء.. هذا ما لا يحتمل! أرجو أن يعتبر هذا
العرييد وإلا حاصرناه داخل قلعته وألبسناه كالنساء في الأسواق
ثم قذفناه من أعلى أسوارها.. الجبان تبرا من قواد جيشه ويدعي
أنهم شنوا الهجمات دون علم منه أو أمر مباشر.. ذلك الجبان
الدعي يكذب حتى يبقى على المعاهدة بيننا..

كانوا يتجولون في غابة لينودام في رحلة الصيد التي انتظرتها
ليما كثيراً منذ جاءت إلى سينامجنين حتى تستمتع بصحبة رفقاء
طفولتها أكثر من استمتاعها بالصيد، كما في الأيام الخوالي..
وبسبب انشغال الملك ووزيره بالمفاوضات ثم الحرب تأجلت هذه
النزهة وقتاً طويلاً..

- هذا ما يعجبني فيك يا حُران.. قلبك الرقيق...

لاحت السخرية اللاذعة في صوت ليما وملاح وجهها الجميل،
ثم استرقت النظر إلى رُهان الذي بدا شارد الذهن عن حديثهما،
واستطردت:

- إن كان لأحد أن يشعر بالغل والحقد تجاه نمار فهو رُهان بكل
تأكيد، فقد كان سبباً في حرمانه من مخطوبته ست سنوات..

انتبه رُهان لذكر اسمه وانتبه لحديثهما:

- هذا صحيح.. لقد ذهبت إلى الحرب خصيصاً حتى أنتقم منه، تمنيت لو كان رجلاً وقَاتِل، لأغمد فيه سيفي وأريح منه البلاد والعباد ولكن الجبان تنصل من جيشه وأعلنهم متمردين عصاة حتى ينجو بنفسه ومملكته -التي بدد ثرواتها هو وأجداده على مر العصور- من المجاعة الطاحنة لا شيء إلا للحفاظ على ملكه.. هو لا يهتم أن يموت الناس جوعاً أو يحترقون في منازلهم حتى إن كان هذا ثمناً لعرشه الملعون.. إنني أحتقره حتى قبل معرفتي بأمره.. لفساده وجرائمه التي ذاع صيتها..

نظرت إليه متسائلة:

- وهل ستبقي على المعاهدة رغم ما فعله؟

- قد لا يتفق معي حُران في هذا، ولكن نعم، سأبقى عليها.. ليس فقط رحمة بهذا الشعب الذي سيهلك من الجوع، ولكن لأننا نختصر طريق الفوز ببقائهم على الحياد في حربنا مع البربر..

- إنك لا تتغير يا رُهان.. تميل دائماً إلى العفو والصفح..

لاحت على وجهها نظرة عتاب مشوبة بالإعجاب..

- ولكني أقول لك يا مولاي إنهم قوم يغدرون ويخشون بعودهم.. دعهم للمجاعة تهلكهم!!

كان صوته خشناً صاخباً، وامتلاً بالقسوة والغضب..

- لا يا حُران.. إن كان بيدي أن أنقذ روحاً بريئة فلن



أتقاعس، وإنك تعلم أنني اتخذت الإجراءات اللازمة للتأكد من التزامهم بالمعاهدة.. ألا يكفيك إذلالاً ومهانة لهم إذ رضخوا لبقاء مستشارينا في بلاطهم؟! ألم يرضخ ريبيل ذليلاً برقابتهم على كل قراراته؟ إنه هو وابنه من الآن لن يستطيعا تحريك حبة خردل في بلادهم دون الرجوع إليهم! ألا يكفيك هذا؟

- إنهم يغرقون في الوحل والذل يا مولاي لفسادهم.. يجب ألا تشعر بالشفقة تجاههم..

- إنني أشعر بالشفقة تجاه شعبهم..

- إنه منتهى الغباء أن يخاطر بهذه الحرب ضدكم في هذا الوقت.. هذه المعاهدة هي القشة التي يتشبثون بها لإنقاذهم من الغرق في مجاعة طاحنة ستأكل الأخضر واليابس كما فهمت!! ثم يبدأ هذه الحرب الخرقاء، ولكن ألا يقولون إن الحب يُعمي؟ يرتكب العاشقون أبشع الجرائم باسم الحب..

قالت جملتها الأخيره بعمق وتفكر..

حذق إليها واجماً ولم يرد.. شعر بالحنق لأنه لم يدر أكانت تقصده أم تقصد نمار بكلامها! ماذا تقصد بأبشع الجرائم؟ هل تلمح إلى أنه خطف موان وأسرها ناهيك بالزواج منها غصباً؟ لماذا يشعر بالغضب من تلميحها إن كانت تقصده فعلاً؟! ألم يفعل ذلك حقاً رغم كل مبرراته التي يسوقها؟ أليست كلمة «جريمة» هي الوصف الدقيق لفعلة؟!!

- اسمع لست في مزاج يسمح لي بالصيد والتنزه.. لن أستطع إكمال النزهة معكم.. سوف أعود إلى القصر..

حاول الاثنان إثناءه عن المغادرة، لكنه أصر وتركهما خلفه بعد أن فضلا البقاء لاستكمال نزهتهما وتناول الغداء معاً.

توجه إلى جواده بعد أن خرج من الغابة وركبه وانطلق إلى القصر.. كان قد مضى على عودته من الحرب يومان لم ير فيهما موان.. لم تغب عن خاطره لحظة سواء في الحرب أو منذ عاد، ولكنه ألزم نفسه بعدم رؤيتها.. كلما حدثه قلبه بالشوق إليها جاءتته ذكرى آخر لقاء بينهما، فيفتر عزمه مخافة أن يرى في عينيها الاتهام والتخوين والقهر مرة أخرى، وسمع صوتها وهي تقول: «ولن تحصل عليه أبداً ما حيت»، لكنه لم يعد يطيق صبراً وجد نفسه بعد أن دخل القصر يبحث الخطأ إلى غرفتها غير مبال بما قد يسمعه منها..

طرق الباب طرقة خفيفة وسمع الإذن بالدخول.. أخذ نفساً عميقاً قبل أن يفتح الباب.. رآها تجلس على الأريكة الأرجوانية نفسها، وقد انسدل شعرها الأسود على وجهها متبعثراً في غير ترتيب، مما زادها جمالاً ولكن هذه المرة كان يقف على مسند الأريكة ليس طائراً وحيداً بل مجموعة من الطير متراصين جنباً إلى جنب ينظرون كما تنظر في رق بين يديها.. توهمت من خلفها النيران البنفسجية في مدفأة عظيمة تعد الأكبر في القصر، مما جعل جو الغرفة خانقاً له، وهو الذي قلما يشعل نيرانه ليلاً ناهيك بمنتصف النهار.. رفعت إليه عينيها الواسعتين، وقد بدت عليها الدهشة لرؤيته.. قلد الطير حركاتها ونظروا إليه..

- إذا فقد عدت.. كان صوتها محايداً وكأنها تنقل خبراً ثقيلاً مما أشعره بعدم الارتياح..

- نعم.. عدت منذ يومين.. ألم تخبرك راما؟



- بلى أخبرتني، ولكنني ظننت أنها رأتك تخرج اليوم في رحلة صيد مع أصدقائك، والتي قد تستغرق النهار كله على حد قولها..

- آه هذا صحيح، اعتدنا أن نخرج للصيد معاً، ولكنني غيرت رأبي وعدت..

ساد الصمت بينهما قبل أن يقطعه قائلاً:

- إنك تحبين الصيد أيضاً.. ما رأيك أن نخرج معاً للصيد؟

- نعم أحبه، ولكنني لا أود ذلك.. شكراً لك..

فكرت أنه لا جدوى من سؤاله كيف عرف ذلك.. سيعيدُ عليها قصة موان تلك.

تنهد في أسى وسألها:

- إذا ماذا تفعلين لشغل وقتك؟

- اقرأ..

أشارت برأسها إلى الصحيفة التي استقرت بين يديها..

ظلت الطيور المترابطة فوق مسند الأريكة يحركون رؤوسهم بينها وبينه.. أمعن النظر إلى حيث أشارت، ولكنه ما لبث أن وثب كالنمر وخطف الصحيفة من بين يديها وأخذ يقلبها بين يديه..

فزعت الطيور وطارت متفرقة في الغرفة نتيجة لوثبته المفاجئة..



- من أين حصلت على هذه؟!!

كان يهز الرق بقوة والشرر يتطاير من عينيه الغاضبتين..

- جاءتني بها راما..

بدا عليها الخوف إثر وثبته الأخيرة والتغير المفاجئ في صوته
ووجهه..

- راما!! تلك الملعونة الشقية..

صرخ بأعلى صوته وبدا عليه الغضب الشديد.. سألته في فزع:

- ما الأمر؟! إنها فقط كانت تحاول أن تسليني عندما علمت
أنني أحب القراءة..

قالت ذلك وهي تمني أن يقبل قولها هذا كحجة قوية ترضيه،
وتهدئ من روعه..

- هذه الصحيفة من مكتبة القصر الخاصة بي.. لا يُسمح لأي
أحد الاطلاع على صحائفها إلا بإذن مني.. كيف تجرؤ على ذلك؟
كيف وصلت إليها؟ هل هذه هي الوحيدة لديك؟

- نعم، إنها الوحيدة، أظنها قالت إنها وجدتها في غرفتك..
أرجوك لا تؤذها.. إنها لم تقصد شراء..

ولكنها كانت ترى الشرر يتطاير من عينيه.. لا بد أن إظهارها
الصحيفة كان خطأ فادحاً.. إنها متأكدته أن راما كانت تعلم
بخصوصية تلك الصحيفة، وقد عزمت على إعادتها إلى غرفته قبل



أن يعلم، ولكنها نسيت.. ماذا تفعل الآن لإنقاذ الفتاة المسكينة من تلك المشكلة التي أوقعتها فيها؟!

هم الملك بالخروج دون أن ينبس بالمزيد، لكن موان تحركت سريعاً لتعرض طريقه، وقالت:

- أرجو أن تسمعي..

عقد رُهان ذراعيه على صدره ورفع حاجبيه في نفاذ صبر وانتظر، ولكنها لم تقل شيئاً.. تحرك ليخرج ولكنها تحركت ثانية لتسد طريقه مرة أخرى.. صرخ فيها قائلاً

- ماذا الآن؟

ترددت قليلاً، ولكنها استجمعت شجاعته، وقالت:

- لم تفعل راما ما فعلت إلا لأنها تظن...

ترددت ثانية، ثم استجمعت قواها من أجل راما، وأكلت:

- إنك لن تمنع في قرائتي للوثيقة لأنك تثق بي أن أكون ملكة سيناجنين.. إن أنت أنزلت بها عقوبة لظنها ذلك، فإنه يثبت أن ظنها لم يكن صحيحاً، وأن كل ما قلته لي من قبل محض أوهام..

أشاحت بنظرها عنه حتى يسهل عليها قول ما تريد.. وأنهت كلامها بعد أن ترددت كثيراً قبل كل كلمة تقولها، حتى ظنت أن الأمر قد استغرق دهرًا..

رفعت إليه عينيها وهي تخشى ألا تكون قد أفلحت في تهدئته أو

أنه قد كشف حيلتها، ولن يستجيب لها لكنها عندما رأت الدموع تترقق في عينيه السوداوين، شعرت بمزيج من الفرحة والدهشة والذنب داخلها.. كانت تعلم أنها تستغل ضعفه.. اقترب منها قائلاً:

- وأكثر من ذلك يا موان..

أزاح خصلة من شعرها الأسود المتهدل علي وجهها، ولاحت في عينيه نظرة حانية..

تراجعت خطوة للوراء.. تهد وأطرق برأسه ثم خرج من الغرفة، لكنه كان يبدو شخصاً مختلفاً عما كان منذ دقائق معدودة.. كان يعلم أنها ما قالت ما قالت إلا لتنقذ راما من العقاب، ورغم ذلك فقد ذاب قلبه من قولها.. لأول مرة تلين له في القول.. لأول مرة تتركه يقترب منها دون أن تجفل.. ولأول مرة تتركه يلمس جزءاً منها.. حتى لو أنها فعلت ذلك من أجل راما فقط، فإنه يذيه مثلها تذيب النار الحديد..

عندما دخلت راما عليها في اليوم التالي كان يبدو عليها الحبور.. لم تبد كمن تعرض للتعنيف أو العقاب.. وعندما قصت عليها موان ما حدث بدا عليها الذعر الشديد:

- يا ويلي.. هل قال إنها خيانة؟! إن قال ذلك فقد هلكت لا محالة.. إن الملك شديد التسامح إلا إذا استشعر الخيانة.. لن برحميني..

- اسمعيني جيداً يا راما، إن حدثك في الأمر أخبريه أنك ظننت أن الملكة لا بد وأن تكون موضع ثقة للملك، وأنت أخطأت التقدير واطلبي عفو..



- يا ويلى!.. إن عقوبة الخيانة الموت رمياً من فوق الجبال..

رغم القلق الذي بثه كلام رامما في نفسها فإنها كانت على قدر كبير من الثقة بأن الملك سيتغاضى عن فعلتها.. شيئاً ما رأته في عينيه أمس أكد لها ذلك..

ابتسمت لها قائلة محاولة طمأنتها:

- لن أتركه يفعل ذلك..

نظرت إليها رامما متوجسة، ولكنها لم تملك سوى الوثوق بها..

سما طرقت على الباب، انتفضت رامما على إثره..

- اهديني يا رامما.. افتحي الباب، وإن كان الملك فابتسمي ورحبي به كأن شيئاً لم يحدث..

سارت بخطوات ثقيلة إلى الباب، وعندما فتحته بدت مذعورة رغم كل توجيهات سيدتها لها..

خطى رهان إلى الغرفة وعلى وجهه الغضب، وتقهقرت رامما إلى الوراء وهي تنظر إليه في خوف، وكأنه يزحزحها بنظراته الثاقبة..

- رامما.. رامما.. لولا شفاعة الملكة لرميتك من فوق الجبال..

- مولاي.. لم أقصد... لقد ظننت...

- لا يهمني ما ظننته.. اذهبي.. لا أريد أن أراك..



كان صوته ووجهه قاسياً كأنه قد من صخره.. واختفت راما بمجرد أن أنهى جملته، وكأنها تفر من الموت.

التفت إلى موان التي بدا عليها الضيق، سألته وهي تهز رأسها مستنكرة:

- لماذا كنت قاسياً معها بهذا الشكل!؟

رفع رُهان حاجبيه في دهشة:

- قسوة؟! في غير هذه الظروف كانت ستُحاكم بالخيانة، ويلقى بها من فوق الجبال..

- نعم أعلم.. ولكنها لم تنوِ شراء.. يفترض أن تكون الملكة محل ثقة!

- ولذلك عفوت عنها.. ولكن يجب ألا يمر ما حدث وكأنها لم تفعل شيئاً ذا بال..

هزت رأسها في استنكار.. فتعجب رُهان من موقفها ولم يفهم كنهَ ضيقها.. ماذا كانت تظنه فاعلاً؟ أن يكافئ راما على ما فعلت.. ألا تدرك خطورة الموقف؟

وبعد أن ظن أنه قد اقترب خطوة منها بعفوه عن راما لأجل خاطرهما.. ذهب جهده سدى وها هي غضبي ثانية.. حاول أن يزيح هذه المشاعر الساخطة عن خلدته حتى يبدو هادئاً، وأراد أن يغير مجرى الحديث بعيداً

- إذا وددتِ فقد أصبحك يوماً إلى مكتبة القصر الخاصة..



ستجدين قدرًا كبيرًا من الصحائف التي جمعتها.. أظنك ستُحيينها..
- حقًا؟! -

اتسعت عيناها في دهشة، وأردفت:

- ألم تقل إنها لك وحدك؟

- لا لم أقل ذلك.. هناك جزء منها لا يدخله أحد إلا بإذن
مني.. وعلى كلِّ فإن كل ما هو لي فهو لك يا موان..

صمت قليلاً تفكر، فهي لا تستطيع مقاومة إغراء الصحائف
التي جمعت من شتي بقاع الأرض، لكنها تظن أنها إن وافقت
سيعطيه هذا انطباعاً زائفاً بأنها تتساهل معه وتشجعه.. وكأنه شعر
بحيرتها، فابتسم قائلاً وهو يحاول طمأنتها:

- عزيزتي.. إنها مجرد مكتبة لا أكثر.. لطالما حلمت في الماضي
بأن تصبح لك مكتبتك الخاصة.. لم أنس ذلك قط.. انتهيت منها
منذ عامين فقط وجمعت فيها الصحائف والرقاق في مختلف العلوم
والآداب، وبعثت الرسل ينسخون علوم الأرض.. كنت أعلم
أنك ستعودين يوماً لتقرئي فيها..

كيف عرف بهذا الحلم الذي لم تُطلع عليه أحد قط حتى نمار؟! -

فذلك الجاهل لم يكن يهتم بشيء سوى النساء والشراب ورغباته
غير السوية والذهب والفضة.. كان مجرد ذكر الأمر أمامه يجعلها
محط سخرية واستهزاء منه..

لانت تقاسيم وجهها الجميل واسترخت أخيراً، وقالت وكأنها



تستلم لرغبتها بعد صراع طويل داخلها:

- قد أحب أن أراها يوماً ما..

ابتسم لها في رضا ثم أردف قائلاً:

- يقولون إن لك ذوقاً رفيعاً في اختيار الملابس..

- هل تعلم بكل شيء يحدث في القصر حتى في غيابك!؟

- نعم.. يرفعون إليّ التقارير عند عودتي.. خاصة تلك المتعلقة بك..

- لذلك وضعتني تحت المراقبة!

- ذلك لحماية.. أخشي أن...

- أن أهرب.. حق لك.. ولكن أليس بيننا اتفاق؟ ألا تثق بي أيها الملك!؟

- الأمر لا علاقة له بالثقة.. إنني إن غفلت عنك ثانية واحدة ستفعلينها لا محالة.. وحقاً لا أستطيع لومك!

ابتسم في خفوت.. وآثرت هي الصمت على أن تجيبه فرغم كل شيء قد أسعدها أنه لم ينزل براما عقاباً.. تنهد وهو يخلل أصابعه في شعره الرمادي المبعثر..

- كل ما أريده منك يا موان أن تمنحيني فرصة.. أعلم أن كل ما فعلته بقصد إثبات حيي لك زادك حقاً وغضباً علي.. لن



تسامحيني على كل شيء فعلته...

قاطعته في هدوء:

- لم أتلفت ملابسي؟

- أو كنت تظنين أنني سأترك زوجتي ترتدي أثوابا أهداها إليها
نمار؟! لا أريد لشيء أن يذكرك بذلك الوغد ومملكته..

ضحكت وسألته في سخرية:

- ألا تعلم لماذا يقولون التعلم في الصغر كالنقش على الحجر؟ لأنها
أولى ذكرياتك.. عقلك وقلبك قبلها صفحة بيضاء صافية.. إنك لا
تنسى ما حيت ما تعلمته في صغرك لهذا السبب.. نمار وليموراس
وما عايشته هناك في ست سنوات نُقش في روعي كما ينقش في
الصخر.. هم كل ما أتذكر عن هذه الدنيا!! ولا سبيل لي لطيعه
أو نسيانه.. سواء كنت موان أو غيرها.. سواء كنت زوجتك أو
جاريتك وأسيرتك سيقون معي.

- أو كنت تحبينه؟

- مقدار حي لك!

زفر في حنق ثم أردف:

- إذا كنت تخافينه؟

- نعم، واحتقره من قمة رأسه لأنحص قدميه..



- إذا لماذا لا تخافيني يا عزيزتي..

ضيقت ما بين حاجبيها وسألته:

- ماذا؟! ما هذا السؤال؟

- تتجريين عليّ بالقول!! تستهزئين بي وبكلامي.. وأنا ملك
سينامجنين أعظم ممالك الأرض..

- لم يمنعني خوفي من تحديه..

حاولت تبرير الأمر..

- سأخبرك أنا لماذا.. لأنك تأمنين جانبي.. تأمنين عقابي.. ترين
في عيني ولهي وعشقي رغم أنك لا تعترفين بالأمر.. تعلمين أنه
مهما قلت أو فعلت لن أمس خصلة من شعرك.. تقفين أمام ملك
سينامجنين تصرخين فيه وتتجاوزين كل الحدود وتهزئين به ولا يرف
لك جفن.. إنني لا ألومك يا موان.. ولا أبالي بكل هذا.. ولن
يهنأ لي بال ولن تقر لي عين حتى ترتمي وتدوبي في حضني.. وها
أنا أخبرك (يا حلوتي) أنني أحصل دائماً على ما أريد..

كان يتحدث في هدوء وعلى وجهه ابتسامة حلوة ساحرة تشع
بالثقة..

- يا لك من مغرور!!

- سمّه ما شئت.. غروراً.. ثقة! إذا متى تحبين أن تزوري ديوان
الكتب؟



- ديوان الكتب!؟

- أجل..

- آه تذكرت.. سوف أفكر في الأمر..

- أظن أن الغد سيكون مناسباً..

ثم أضاف عندما رأى على وجهها العند والتردد:

- لا تجعلي حديثي يثير فيك التردد.. ستستمتعين بالأمر حقاً..
لم ولن تشاهدي مثل ديواننا.. إنه رائع ولا مثيل له!

- إذا أراك في الغد..

ابتسم في رضا ثم قام واقفاً لأن لهجتها أوحى له بانتهاء
حديثهما.. عندما وصل إلى باب الغرفة التفت إليها قائلاً:

- موان.. آسف على كل شيء.. آسف أنني لم أكن هناك
لحمايتك..

ذهب عنه كل أثر للخيلاء التي كان يتحدث بها وبدا وجهه
معذباً.. أومأت برأسها لا تدري ما تقول ثم أطرقت إلى الأرض
تجسس دموعاً لا تعلم سببها، وسمعت صوت ارتطام الباب من
خلفه..



قاطعه رُهان، وهو يتسم:

- أرجو أن تحتفظ بنصائحك لنفسك أيها الخبير.. وعندما تعلم ما مشكلة ليما أخبرني..

كان مزاج الملك قد بدأ في التحسن والعودة إلى طبيعته المتفائلة المرحة منذ آخر لقاء له مع موان..

اتجه حُران إلى الغرفة التي جاء منها الصوت التي كانت على يساره وأكل رُهان طريقه.. عندما دخل وجد خادمة ترتعد خوفاً وهي تقف أمام ليما التي يبدو أن الغضب قد أخذ منها كل مأخذ وتجلس إلى المائدة..

- آسفه يا سيدتي.. أقسم أنني قد أخبرتهم أننا أنك لا تحبين الكعك الأحمر على الفطور، وأنتك تفضلين كعك العسل..

تناثرت على الأرض شظايا أوانٍ وفتات ما بدا أنه كان كعكاً أحمر، وأدرك بنظرة خاطفه أن ليما قد ألقت بالطبق في ثورة غضب مفاجئة على غير عاداتها الهادئة.. تعلقت عيناها به وهو يدلف إلى الغرفة ثم استقرت عيناها على الباب وكأنها تتوقع دخول رُهان هو الآخر.. وعندما أدركت عدم وجود رُهان وضعت يدها على وجهها لتغطيه، وكأنها استراحت لذلك، وصرخت في الخادمة

- هيا اذهبي.. اذهبي من امامي..

خرجت الفتاة مسرعة من الغرفة، وجلس حُران بجانبها على المائدة بحذر.. ظل صامتاً لحظات ثم سألها بهدوء:



- ليماء.. ما الأمر؟ لا تبدين على طبيعتك.. أنا ورهان نشعر بالقلق عليك.. لا أظن أن الأمر يتعلق بالكعك الأحمر حقًا!

تفاجأ حُران عندما سمع ليماء وهي تبكي وتنشج نشيجًا مكتومًا ويهتز جسدها انفعاليًا.. لم يدر حُران كيف يتصرف.. أراد أن يحتضنها ولكنه شعر أن الأمر سيكون غريبًا فهي لم تعد بعد تلك الطفلة الصغيرة، اكتفى بأن مسد شعرها الذهبي في حنان..

- اهديني يا عزيزتي.. وأخبريني بكل شيء

- وصلتني رسالة من أبي اليوم يسألني فيها متى سأعود؟ ويحثني على سرعة العودة..

أراد أن يخبرها أنهما -هو ورهان- يتساءلان عن سبب طول مكثها هذه المرة أيضًا، ولكنه أجم عن ذلك، وبدلاً عن هذا سأها:

- وما المشكلة في هذا؟ لا بد أنه يفتقد ابنته الأثيرة..

- المشكلة أنني قد جئت إلى هنا بعد خلاف نشب بيني وبين أبي، ولا أريد العودة..

- خلااااف بينك وبين الملك إسفيلس؟! على أي شيء
اختلفتما؟

كان يعلم مدي تدليل الملك لليماء الذي قلما سمع أنه رد لها طلبًا، أو خالفها في شيء تريده..



ترددت ليما ولكنها حسمت أمرها في النهاية:

- لقد تقدم أحدهم للزواج بي، ولكن أبي رفض..

- أفهم من ذلك أنك موافقة..

أومأت برأسها فشعر بوخز في صدره، سألتها:

- هل تعرفينه من قبل؟

- نعم.. إنني أحبه وقد اتفقنا على الزواج..

ازداد وخز صدره..

- وما سبب رفض إسفيلس؟

- هو يقول إنه غير مناسب..

سكبت دمعا حارا..

- هل أعرفه؟

- لا..

- إذا قد يكون أبوك على حق يا عزيزتي.. إن له من الحصافة
والحنكة ما يجعله قادراً على الحكم على الناس أكثر منك.. إنه لا
يريد لك سوى الأفضل..

كان صادقاً في كلامه.. وحاول أن يداري ألمه وتمنى ألا ترى

اختلاج قلبه على وجهه..

دفنت وجهها بين يديها، وبكت بحرقة:

- لا تكرر كلامه.. لا تكرر كلامهم جميعاً.. سمّت كل هذا..

- اهدئي يا ليماء.. إن إسفيلس لا يطيق أن يرد لك أمراً.. لعله
يغير رأيه.. تمنى في صميم قلبه ألا يفعل وأن يتمسك برأيه، ولكنه
كان يائساً فحتى إن غير رأيه، فإنه لن يقبل بأقل من ملك لابنته
الجميلة..

- نعم، لعله وحتى يغير رأيه فإنني هنا ولن أعود..

بدا التصميم والعناد على وجهها.. ففكر أن يعرض عليها أن
يتدخل في الأمر، لكنه كان أكثر مما يطيق تحمله..

- وفي هذه الأثناء سوف تسعدنا إقامتك معنا..

أضاءت وجهها الخمرى ابتسامة ساحرة..

- شكراً لك يا حُران..

أوماً لها برأسه ثم قال ساخراً:

- ولكن لا تحطمي مزيداً من الأواني.. سوف ألحق الآن
برهان.. ولكنني سأكون دائماً بجانبك إن أردت الحديث..

ابتسمت له وهي ممتنة بأنه اكتفى بما قالت، ولم يسأل عن مزيد
من التفاصيل..



غادرها وعقله يعمل بسرعة وقلبه مضطرب أشد الاضطراب، وإن حافظ على هدوئه أمامها مثلها اعتاد دائماً إخفاء مشاعره.. أراد أن يهرب من أمامها إذ إن وجدته وألمه يستعر كلما نظر إليها.. أخذت الأفكار والمشاعر تتزاحم داخله وتتصارع في أثناء سيره إلى المجلس.. إنه لا يتذكر منذ متى وهو يحب ليما.. إنه حتى لا يعرف إن كان قد اعترف بحبها لنفسه قبل هذه اللحظة.. ولكنه يعلم أن الأمر قديم.. هل بدأ عندما وقع عليها نظره أول مرة وهي تدخل القصر وهي بعد طفلة صغيرة؟ أم إنه تفجر في مقتبل صباه؟ لا يمكنه أن يجزم متى بدأ ولكنه متيقن تمام اليقين أنه أنكره طوال الوقت وأخفاه لأنه علم ألا فرصة لديه؟ لقد تقرر ضمناً منذ صغرهم دون أي مجال للشك أن زواج ليما ورهان ما هو إلا مسألة وقت.. إنه يتذكر تماماً أن وقت خطبة موان ورهان القصيرة كان آريوس يظن أن افتنان ولده بمخطوبته لن يلبث إلا أن يفتر، ويعود إلى رشده ليتزوج بمن تليق به التي تمنها له من كل قلبه، وكانت تلك بالطبع هي ليما، وكذلك كان الحال مع الملك إسفيلس.. لذلك فقد دفن حران حبه عميقاً في قلبه وأنكره طوال الوقت حتى بينه وبين نفسه، واكتوى بنار حبه اليأس وحده دون حتى أن يخبر بذلك أقرب الناس إليه.. لكن رهان الذي خبره دهنراً فطن لحبه إياها حتى وإن لم يعترف له حران صراحة بالأمر.. والآن بعد أن لاح له الأمل لاستعادة حبه بعد أن تزوج رهان بغيرها، ها هو يتخاذل مرة أخرى ليفاجأ بها تحب رجلاً آخر.. هل يستمر في إنكار حبه إياها ويراها وهي تتعدى أم يحاول الحصول على قلبها ويدافع عن حبه؟ وكيف يصبح حران قائد الجيوش وأشجع الرجال حين يشتد القتال بمثل هذا الجبن والتخاذل حينما يتعلق الأمر بحب حياته؟ لماذا لا يستطيع أن يدافع عن حبه بشراسة كما يفعل رهان؟ انتبه من أفكاره ليجد نفسه يخطو إلى قاعة الحكم، ليجد أن المجلس قد انصرف بالفعل، ولم يبق سوى الملك الذي كان جالساً على عرشه غارقاً في أفكاره

الخاصة هو الآخر.. عندما انتبه لدخول الوزير، سأله بقلق حقيقي:

- كيف حال ليما؟

- إنها بخير الآن..

- إذا ما الأمر؟

- خلافات بينها بين أبيها، لذلك فهي تفضل البقاء هنا حتى تهدأ الأمور..

لم يزد على هذا، فقد أحس أنه غير قادر على البوح بالأمر وأراد أن يحتفظ به لنفسه، ربما أعطاه هذا إحساساً زائفاً بقربها منه..

أشبع رده فضول رُهان إذ كان منشغل البال بموان، فلم يسأل عن المزيد..

- مولاي أريد أن أحدثك في أمر ما..

بدا على ملامح وجهه الجدية والعزم، وعندما تأكد أن الملك يعيره كل الانتباه، استطرد قائلاً:

- أريدك أن تأخذ حذرَكَ يا مولاي..

ضيق رُهان عينيه، وسأله:

- ماذا تقصد؟

حدس رُهان أن ما سيبوح به وزيره الآن لن يحبه..



- وقع في أيدي رجالنا طائر يحمل رسالة أغلب ظننا أنها لشخص ما في القصر..

- ما فواها؟

تسارعت دقات قلب رُهان حتى خشي أن يسمعها صاحبه:

- كانت الرسالة في منتهى الاختصار، وقد بدا ذلك مقصوداً ومريباً.. لقد تضمنت بضع كلمات فقط (نرجو إرسال مزيد من التفاصيل)..

أحس رُهان بدقات قلبه تهدياً قليلاً.. حدق في صاحبه ثم سأله:

- هل أنت متأكد أنها كانت لشخص داخل القصر؟ وهل تشك في أحد بعينه؟ قد تكون لأحد خارج القصر..

ظل حُران صامتاً لحظات، وعيناه تومضان:

- كما أخبرتك يا مولاي.. أغلب الظن أنها لشخص داخل القصر ولكننا لسنا متأكدين بعد.. ما زلنا نحقق في الأمر ولكن حتى نصل إلى الحقيقة بشأنها يجب أن تحتاط.. القصر مليء بالقبيل والقال.. تارة يقولون إن الملكة تبغض سينامجنين وأنها ليست علي وفاق مع الملك.. وتارة أخرى يرددون أنها هربت من القصر ليلاً لتقابل...

قاطعته بحزم قبل أن ينهي عبارته:

- ما أعرفه جيداً أنها لم تهرب أيها الوزير..

كان حُران رُغم علمه أن هذا الحديث قد يثير غضب الملك، لم يأبه لذلك، فسلامة الملك تعتمد عليه ويجب عليه تحذيره.. وقد ارتاح بالفعل عندما أدرك أن الملك فهم ما يرمي إليه دون البوح به صراحة.. فالأمر جد حساس وخطير أيضاً.. أخذ الملك نفساً عميقاً ليهدأ ثم أكل بلهجة ودودة إذ إنه يعلم أن هم حُران سلامته، وأن واجبه يحتم عليه تحذيره..

- أعرف مدى حرصك على سلامتي يا حُران.. ولكن ما تفكر فيه غير صحيح..

التقت أعينهما لحظة، ولكن سرعان ما سحب رُهان نظره بعيداً وأيقن حُران أن رسالته قد وصلت للملك، فقال وهو يقهقه في صخب كعادته محاولاً تلطيف الجو:

- إن لزم الأمر، فإنني سأضطر إلى مراقبتك بنفسي..

ظل رُهان واجماً بعيداً عن محاولة صاحبه إضحاكه..

- إذا كيف تسير الأمور مع موان؟

- موان.. آه لقد نسيت.. يجب أن أذهب الآن فقد وعدتها أن أريها ديوان الكتب..

- ديوان الكتب!!

انفجر حُران ضاحكاً مقهقهاً، وأردف وهو يكم ضحكاته ليغيظ صاحبه مستغلاً الفرصة لمحو ما أثاره في نفس الملك من ضيق بحدِيثه:



- نعم، وماذا يريد رجل من امرأة أكثر من أن يذهباً معها إلى ديوان الكتب؟

لكزه رُهان بقوة في كتفه وهو ينطلق، وقد عاد إليه صفاء روحه بذكر موان وسخرية حُران منه..

- لا عجب يا حُران أن النساء اللاتي تعرفهن لا يعرفن باختراع الكتابة أصلاً، ولذلك فإن علاقاتك الرائعة معهن لا تستمر طويلاً..

شاهده حُران وهو يغادر الغرفة مسرعاً، ثم حك رأسه مفكراً هو يتأمل مقالته:

- لا تستمر.. ماذا يقصد بهذا؟

عندما وصل رُهان إلى غرفتها.. وجدها على استعداد.. كانت تبدو عليها الإثارة تماماً كما يتذكرها قديماً عند الحديث عن الكتب والقصص.. كانت ترفع شعرها على شكل ذيل حصان وتلبس ثوباً أحمر قانياً وتضع عليها أحد المعاطف النادرة التي وضعت في خزانها بناءً على أوامره آنفاً التي تبعث الدفء في الجسد أكثر بعشرات المرات من أي معطف آخر.. مشياً جنباً إلى جنب في أروقة القصر..

ارتسمت الدهشة على وجه كل من مر بهما من الخدم أو الحراس لمراهما يمشيان معاً لأول مرة، وسرت المهمات والتساؤلات خلفهما.. كان رُهان يختلس إليها النظر وهو يمشي ليطمئن أن مزاجها ما زال طيباً وأنها لم تستعد بعد.. تذكر أول مرة رآها مع نمار في الغابة والسعادة والإثارة التي بدت في صوتها

وهي تحدّثه رغم أن راما قد أكدت له منذ عاد أنها كانت تكره الرجل كرهاً شديداً حتى قبل أن تقر هي بالأمر في حديثها معه، ويبدو أن موان قد فتحت لها قلبها واستسلمت لثرثرة راما الممتعة.. كان يدرك أن تلك السعادة البادية على وجهها لا علاقه لها به كما كان الحال مع نمار.. إنما لحبها الكتب كما كان مردها حبها للصيد يومذاك..

لكن هذا لم يمنعه أن يشعر بالرضا والبشر.. فلأول مرة منذ عودتها ينجح في فعل شيء يسعدها ولا يغضبها.. لأول مرة يرى هذه الابتسامة الصافية على محياها التي تذكره بالأيام الخوالي..

تأملت موان في دهشة وإعجاب القاعة المستديرة الواسعة التي ترتفع حوائطها عالياً وتمتلئ بالصحائف من أسفلها إلى سقفها العالي في خزائن المربعة الشكل مرصوفة رصاً جميلاً ومنظماً.. لاحظت أن كل مجموعة من الخزائن طليت بلون محدد ما بين الأخضر والأزرق والأحمر والأصفر، ولكن ما شد نظرها حقاً هو أن اللون الأسود كان له نصيب الأسد في عدد الخزائن التي يحتلها.. رفعت رأسها لأعلى مشدوّهة وتساءلت عن كيفية تخزين الصحائف في تلك الخزائن المرتفعة جداً ولكن قبل أن توجه سؤالها سمعت رفرقة من خلفها لترى طائراً محلقاً يحمل بقدميه صحيفة ويطير عالياً ليضعها في إحدى الخزائن الزرقاء.. بينما هي مأخوذة بهذا المشهد الجميل جاءهما الصوت الوقور من خلفهما:

- مرحباً يا مولاي.. كم يسعدني قدومك اليوم.. توقعت أن تكون زيارتك لنا غداً كما في أغلب الأحوال.

التفتت موان إلى المتحدث الذي جاء من خلفها وفكرت أنه لابد من إطلاق الطائر آنفاً..

كان رجلاً طويلاً في منتصف العقد الرابع أشهب الشعر ذا وجه
طويل حاد الملامح تلمع عيناه الزرقاوان بذكاء حاد..

استطرد قائلاً عندما وقعت عيناه علي موان

- مولاتي.. يشرفنا قدومك لرؤية ديوان الكتب.. أرجو أن ينال
إعجابك..

أومأت موان برأسها ولم تنبس بابتسامة.. شعر رهان بتوترها
فتولى زمام المحادثة:

- الحكيم سنزار.. رئيس ديوان الكتب.. أشرف عليه منذ أن
كان مجرد فكرة.. يعود إليه الفضل في كل ما وصل إليه ديواننا
الحبيب

- بل الفضل يعود إليكم يا مولاي.. لولا حُكم للعلم والمعرفة ما
حققنا هذا المشروع العلمي الضخم..

- إنه واجبنا لا فضل منا يا حكيم سنزار..

اكتسى صوته بنبرة تواضع صادقة، وذهب عنه أي أثر للخيلاء
التي عهدتها منه..

- ما هذه الألوان؟

أشارت بيدها نحو صفوف الكتب..

- كل لون يمثل فرع محدد من العلم.. الأزرق للمائيات..



الأخضر للغابات والنباتات وهكذا.. إنها طريقة لتصنيف الصحائف والرقاق حتى يسهل علينا تنظيمها، والولوج إليها.

- وإلى أي شيء يرمز اللون الأسود؟

- إلى الحروب.. إن البشر مولعون بتدوين حروبهم الكثيرة بغض النظر عن أسبابها ومبرراتها وعن ضحاياها.. يجدونها مثاراً للعزة والفخر، ولذا يجب تدوينها..

- كثيراً ما تفرض عليك الحرب فرضاً.. وأحياناً ما تلجأ إليها لتجنب خسائر أفدح.. ولكنها دائماً خياراً صعباً على الملوك..

قال رُهان ذلك مدافعاً ومبرراً:

- ليس كل الملوك.. هناك ملوك يزجون بشعوبهم في الحروب زجاً لا لشيء إلا لأهوائهم ومصالحهم الشخصية يا مولاي.. لا يهتمون بعدد ضحاياهم حتى يحققوا ما يريدون..

- نعم هذا صحيح للأسف..

أجابه رُهان في أسى صادق مسلماً بما قاله سنزار..

قطع حديثهما سرب من الطير يرفرفون في تناغم جميل حاملين الصحائف ليضعوها في الخزائن.. وما إن وضعوها حتى عادوا محلّين حيث اختفوا داخل غرفة ملحقة بالقاعة الفسيحة يصل بينهما معبر ليس له باب..

- أتم بارعون مع الطير.. كيف تجعلونها بمثل هذه الطاعة؟



- إنها علاقة قديمة بيننا وبينهم.. أغلبنا يمكنه تطويعها وتدريبها..
ولكن قليل منا يستطيعون الحديث معها كما نتحدث الآن.. إن
الطير أمة شديدة الذكاء إن شاءوا.. يحفظون مكان كل صحيفة
في هذه الغرفة كما يحفظون طرقهم في السماء.. إنه سر من أسرار
سينا مجنين يا مولاتي..

ابتسم في خبث بري..

بادلته الابتسامة وشعرت نحوه بالألفة، فقالت في عفوية:

- لا داعي لمناداتي بمولاتي.. يمكنك أن تدعوني سيدة سيتورا..
كانت تكره مناداتها بمولاتي فهي لم تعتد الأمر بعد وتشعر بالغرابة
عند سماعه من أفواههم..

كان رُهان منشغلاً بقراءة وثيقة بين يديه عندما نزلت عليه
جملتها كالصاعقة.. جز على أسنانه ودُهِش سيزار وبدا عليه
الارتباك، وإن حاول إخفاء الأمر، فتحدث سريعاً متجاهلاً
تعقيبها:

- عذراً يا مولاي.. يجب أن أذهب الآن.. فلقد وصلت
البارحة صحيفة مهمة جداً ولكننا لا نزال نعمل لفك طلاسمها..
ادعى من باعها لنا أنها تحمل علاجاً شافياً لداء (البقع الحمراء)..
أتمنى أن يكون محققاً، فقد كثر في هذه الأيام من يدعون مثل
هذه الأكاذيب والترهات ليكسبوا المال، ولكن لدينا من الخبرة
ما يجعلنا قادرين على الحكم على قدر الصحيفة التي بين أيدينا
وأهميتها، ولقد رأيت أنها بالفعل على قدر كبير من الأهمية حتى
إنني لأظن أنه قد بخشها قدرها.

- أتمنى لكم التوفيق..



بهذه الجملة المقتضبة أنهى رُهان حديثه مع سيزار وراقبه وهو
يمشي حتى دلف إلى إحدى الغرف المتناثرة في أنحاء القاعة..
التفت إلى موان، وقال في نفاذ صبر وسخط:

- موان.. من غير المقبول بأي حال من الأحوال أن يدعوك
أحد بغير مولاتي.. واسمك هو موان..

كانت لهجته حازمة..

- ولكنني لست موان...

قاطعها بحدة وعصبية:

- إذا من أنت؟ إن لم تكوني موان.. فمن أنت بحق الله؟
سيتورا!؟

رفعت كفها لتفرك جبينها في عصبية واضحة:

- لا أعرف من أنا.. منذ ست سنوات والناس يخبروني من أنا
ولكنني لا أعرف.. لا فكرة لدي عن أنا!

تهدج صوتها ولاح في عينيها العسليتين الواسعتين الخوف والحزن
وسرعان ما أشاحت بنظرها بعيداً عنه.. شعر بالندم لقسوته عليها
ولأول مرة يدرك قسوة أن يكون الإنسان بلا ماض ولا تاريخ
وبلا ذكريات تؤنسه.. ود لو أنه يستطيع أن يحتضنها عساها تشعر
في حضنه بالأمان، ولكنه خاف أن يملأها خوفاً لا أمناً.. ورعباً
لا سكناً..



رفع يديه في تردد ليحيط كتفها وهي تواجهه..

- إذا حبيبتى حتى تعرفى من أنت.. هلا تقبلين بأن يدعوك مولاتى.. وأن أدعوك موان ما دمت هنا.. اقبلي هذا رجاءً..

رق وجهه وامتلات عيناه حناناً.. هزت رأسها موافقة بعد أن شعرت بالطمأنينة تتسلل إليها من نظرتة وإحاطته بها رغم حيرتها من هذا التغير السريع في سلوكه..

- هل أحببت ديواننا؟

- نعم.. إنه رائع.. يبدو أقرب إلى الحلم..

- نعم أحببت يوماً ما فتاة رائعة كان هذا أحد أحلامها أيضاً.. لم أستطع تحقيق حلمها يوماً.. لكن عندما سنحت لي الفرصة عملت حتى أحقق حلمها رغم أنني لم أكن متأكدًا من أنني قد ألقاها مجددًا.

كانت طريقته هذه في الكلام عنها كأنه يعرفها منذ زمن تربك مشاعرها وتحيرها وتزيد من غربتها داخل نفسها، فهي غير قادرة على تصديقه أو تكذيبه.. إن قال أكثر أو أقل فهي لا تعرف الحقيقة من الخيال.. وإن كانت متيقنة أن مثل هذه المكتبة حلم من أحلامها التي طالما تمنتها بلا شك..

- أشعر بألم شديد في رأسي.. أريد أن أعود إلى غرفتي..

سارا معاً في صمت.. كلُّ منهما في واديه، لم تستطع أن تسايره في تلك المشاعر التي يبوح بها.. يعمل عقلها بقوة باحثاً في زواياه الخفية وأركانها عن أي ذكرى أو ومضة، لكنها لا تجد سوى

الظلام الدامس تمشي فيه بلا هداية، فتصطدم بحوائط مصمته مرة تلو الأخرى.. وكلها سلكت طريقاً وجدته مسدوداً حتى تخور قواها وتنهار من إحساسها بالضيق وتنزوي في نفسها على نفسها، تبكي دون أن يُسمع بكائها أو يرى دمعها.. كان رهان يسترق النظر إليها بطرف عينيه طوال عودتهما خائفاً من أن يكون حديثهما قد عكر مزاجهما، ورغم أنه في النهاية مر بسلام علي غير العادة منذ حلت بالقصر، فقد اعتادا أن ينهيا حديثهما معاً بالصراخ والحنق..

كانت تبدو هادئة وهو لا يدري شيئاً عن هذا الصراع الذي يتفجر داخلها بقوة.. كأنه اقترب منها خطوة وإن ظل الطريق طويلاً، فإن دأبه ألا يتعجل النصر.. فمذ صغره وقد تعلم أن ثمار الصبر أحلى مئة مرة.. عندما وصلا إلى غرفتها.. فتحت موان الباب وتوقفت قبل أن تدخل:

- كان وقتاً جميلاً.. شكراً لك..

انفجرت أساريره عن ابتسامة صافية زادت وجهه حسناً وجعلته يبدو كالصبي..

- كان أجمل وقت قضيته منذ وقت طويل.. شكراً لك..

همت بالدخول ولكنه استوقفها قائلاً:

- موان.. ما رأيك أن نخرج للصيد معاً..

تردد قليلاً ثم أردف:

- يوماً ما.. لا تتعجلي الرد خذي وقتك وفكري في الأمر..

وكأنه أراد أن يؤكد لها أنه غير متعجل ويمنحها الوقت الكافي..

- إنني أحب الصيد!

- أعلم ذلك.. إنك رامية بارعة..

ابتسم وهو يتذكر كيف كانت رميتها دقيقة لا تخطئ فريستها
قط..

- نعم يقال هذا عني.. هل رأيتني من قبل؟

- نعم رأيتك بالطبع.. إنني أعرفك أكثر مما تعرفين نفسك؟

ترددت وسكتت.. تذكرت دهشة نمار عندما رآها ترمي أول
مرة من دقة رميتها، كانت يومها لا تقل دهشة عنه، فهي لم تكن
تعلم بهذه المهارة التي لديها..

يشير كلامه أشجاناً في نفسها، هل حقاً يعلم عنها ما لا تعلمه هي؟!!

قد ضاع منها كل خيط يمكنها تتبعه لتعرف لمحة من ماضيها..
فهل يصبح هو ذلك الخيط؟ عادت من أفكارها لتقول:

- نعم سأحب ذلك.. لم لا؟ إنها مجرد رحلة صيد لا أكثر..

ابتسمت ابتسامة ساحرة وهي ترفع كتفها في بساطة وتمط
شفتيها كأنها لا تبالي، وهي بذلك تكرر ما قاله لها آنفاً عن ديوان
الكتب..



- نعم.. رحلة صيد لا أكثر..

ولكن بداخله تمنى أن تصبح أكثر من هذا..

* * *



بدأت الأيام التالية للقاءهما في ديوان الكتب حلوة عذبة لرُهان على الرغم من الطقس الشديد البرودة والثلوج التي لا ينقطع نزولها.. كانت ذكرى اللقاء تؤنس قلبه وتدفعه، فبدأ على وجهه السعادة أينما حل، وقد لاحظ ذلك كل من حوله، وهامت نفسه شوقاً لرحلة الصيد.. وكان حُران أول من لاحظ ذلك، وأخذ يحثه على الكلام، ولكن لكثرة انشغالهما لم يجد رُهان الوقت المناسب حتى يفضي إلى صاحبه..

كان الوقت ليلاً عندما لاح لرُهان وقتاً مناسباً.. كانا ذاهبين معاً على جواديهما لتفقد إحدى الثكنات العسكرية، وكان الطريق طويلاً والريح هادئة..

- إذا لم تتجادلا؟ وأنت ترى أنها علامة جيدة!

- نعم.. ألا تظن ذلك؟ وقد لانت في حديثها معي على غرار السابق...

حاول الدفاع عن وجهة نظره عندما أحس بالتوجس من صاحبه..

- بلى.. إنها علامة جيدة بالطبع، ولكنها قد تكون علامة لشيء آخر..

نظر إليه رُهان في عدم فهم..

- اسمعني يا رُهان.. لقد قبلت أن تدخل في هذه المقامرة يا صديقي، ويجب عليك أن تتقبل فكرة الخسارة كما الريح.. نعم قد يبدو هذا علامة على تقاربكما ولكنه قد يبدو أيضا علامة على شعورها بالوحدة ورغبتها في قضاء بعض الوقت مع أحدهم.. احتياجها إلى من تتحدث معه ورغبتها في التنزه قليلاً.. إن الفتاة لها شهرور في القصر لا تغادره.. أريدك فقط أن تُعد نفسك للاحتمالين..

أوما رُهان برأسه، ولكنه أحس بالضيق لحديثه مع حُران، ولم بُرد استكمال الحديث، فمذ تلك الرسالة وحُران يبدو متوجساً من كل شيء.. وقد أزعجه هذا الليلة أيما إزعاج.. في الواقع إنه منذ البداية وحُران لا يوافق على أي من أفعاله، ولأول مرة يختلف الصديقان بهذا الشكل الكبير.. وهو لا يلومه على ذلك فهو لا يشعر بما في قلبه من نيران تحرقه.. لم يشعر بمرارة الفقد.. لو أدرك معنى أن يكون من أحببته وانتظرت سنوات، وكلك أمل في عودته بين يديك، ولكنه لا يعرفك.. لا يتذكرك بل وهو واقع في يد أخس الرجال.. ولكن هيات أن يدرك فما باله أن يحس ويشعر.. هل أحس حُران يوماً أصلاً بحلاوة الحب؟! فعلى الرغم من كثره علاقاته فإنه لا يذكر أن صاحبه قد وقع في الحب قبلاً.. يُستثنى من ذلك حبه الصامت لليما.. عاد حُران يسأل:

- إذا متى تخرجان للرحلة؟

- لا أعرف.. يبدو أن الثلوج تعاندني هي الأخرى..

- لا تقلق.. أتوقع أن نتوقف هذا الأسبوع..

- أتمنى ذلك..



في صباح اليوم التالي توقفت الثلوج، وكأنها استجابت لصلوات رُهان.. أصبح الجو أكثر دفئاً وإن غابت الشمس خلف السحب، فقرر رُهان ألا ينتظر أملاً في أن يصبح الجو أفضل، فقد تعود الثلوج في أي وقت سريعاً، لذلك فإنه أرسل ماونتي إلى موان يخبرها بأن الرحلة ستكون في اليوم التالي إن شاءت، وجاءه ردها سريعاً بالموافقة.

بالكاد استطاع النوم ليلتها ظلت الرؤى تؤرقه طوال الليل.. برقد في سريره مع ذكرياتها وأحلام يتمنى تحقيقها تجعل النوم بعيد المنال، وإن لم يكن مستيقظاً بالكلية أيضاً.. عندما طلعت الشمس في الأفق لم يدر أرقد أم أنه ظل في أحلام يقظته الليل بأسره.

اغتسل سريعاً ولبس لباسه الذي يفضله في الصيد حلة رمادية يكسوها فرو بني عند الكتف والرقبة، تتميز بخفتها بيد أنها تشعره بالدفء أيضاً.. فكر أن يذهب إلى موان ليصحبها من غرفتها، ثم عدل عن ذلك وفضل أن ينتظرها في ساحة القصر البيضاء خوفاً من أن يتعجلها.. لم يدم انتظاره طويلاً وشكر لها ذلك.. رآها تنزل السلم الأمامي في ثوب أخضر زمردى صنع لها خصيص مبطن من الداخل بفرو ناعم ليحافظ على درجة حرارة جسدها ويبقيها دافئة وسالمة، ويكسوه فرو أبيض ناعم عند كتفها وصدرها يداعب صفحة وجهها الجميل.. كانت قد تركت شعرها الأسود الفاحم منسدلاً على ظهرها وانسابت بعض خصلاته على وجهها، فزادته جمالاً وإشراقاً ولمعت عيناها العسليتان في ضوء النهار..

أخذ نفساً عميقاً عندما رآها تتجه نحوه وهي تبتمس، كان ممسكاً بجوادين يتراقصان معاً وكأنهما يشعان بقلبه..

- ظننت أنني قد أنتظر طويلاً.. تبدين فاتنة..



- شكراً لك.. استيقظت باكراً.. إنه يوم جميل لا أريد أن أضيعه.. اشتقت إلى التنزه في يوم صاف كهذا..

مسدت جوادها وهي تتحدث.. تذكر رُهان أن موان قد جاءت من بلاد لا يسقط فيها الثلج.. جوها معتدل معظم أيام السنة وإن كان يظن أنها لا تعلم ذلك.. ولكن حتى ليموراس التي قضت فيها سنينها التي نتذكرها لم يكن مناخها قارس البرودة كما في سيناجنين.. ساعدها للصعود على ظهر جوادها وقفز إلى جواده..

مشيا الهويني في الثلج الكثيف حتى بلغا بوابات القصر التي فتحت على مصراعها، وقد استعد الجنود على جيادهم للانطلاق معهما.. التفت رُهان إليهم متحدثاً إلى قائدهم:

- لا يا سنجي.. ابق أنت ورجالك هنا..

- ولكن يا مولاي...

حدجه رُهان بنظرة صارمة لمناقشته أمراً في منتهى البساطة..

- ابقوا هنا.. سنخرج دون حراسة..

تحرك رُهان بجواده فور إنهائه جملة وتبعته موان، وهي تفكر أنهما لأول مرة سيكونان بمفردهما تماماً.. شعرت بهول ما أقدمت عليه ولا مجال للتراجع الآن.. سارا يبطء بسبب الثلوج الكثيفة ولكن بعد فترة بدأت الثلوج تصبح أصعب من تحتهما، فساعد ذلك جواديهما على المشي أسرع، وأدركت أنهما بذلك يقتربان من غابة لينودام، فقد أخبرتها راما يوماً أن غابه لينودام لسبب غير معلوم لا يسقط فيها الثلج أبداً، فتبقى دافئة ومياهها

رقاقة طول العام..

- إذا لم تستطعي النوم ليلة أمس..

تمنى أن تكون قد قضت ليلة مثل ليلته..

- أنا!!!!!!.. لقد نمت جيداً..

كانت تعلم أنها تكذب وتمنت ألا يلاحظ ذلك.. في أعماقها
تمنت ألا يعرف شيئاً عن تلك الإثارة التي شعرت بها ليلة أمس،
وطيرت النوم من عينيها..

- عندما قلت إنك... لا عليك.. هل ما زالت تفضلين اصطيات
الأرانب البرية؟

- نعم.. كيف عرفت؟

ولكنها سرعان ما أجمت عن سؤاله، في فترة ماضية من حياتها
لم تكن حتي تعلم هذه الأشياء عن نفسها.. بفرض صحة ما يقول
إنه عرفها منذ زمن طويل فإن ذلك يعني أنها لم تتغير برغم
فقدانها ذاكرتها!

- إنني أعلم كثيراً عنك..

ابتسم ابتسامة ماكرة وساحرة في آن واحد.. لعلني أعلم أكثر مما
تعرفينه عن نفسك يا موان بل أنا أعلم أكثر بالفعل..

- ماذا تعرف أيضاً؟



تساءلت في نفسها إن كانت تختبره أم أنها تريد أن تعرف مزيداً
عن نفسها، لعله يكشف لها أحد الأمور التي ما زالت تجهلها..

- أعرف أنك تفضلين اللون الأصفر.. وزهرة النسين
الزرقاء (زهرة منتشرة في تلك الأنحاء).. تتناولين طعامك دافئاً..
وشرابك ساخناً جداً.. تحبين الفاكهة والخضر كثيراً.. لا تفضلين
اللحوم عامة.. تعشقين الليل وتنشطين فيه.. تتأخرين في نومك..
نومك ثقيل ولكنك تستغرقين وقتاً طويلاً لتنامي.. تحبين الأمطار
الصيفية الخفيفة التي تسقط في بلادك..

- لا أتذكر الأخيرة ولا أعرفها حتى.. كانت موان مدهوشة من
دقة وصفه لها.. لكن هذه المعلومة بالتحديد لم تستطع تصديقها أو
تكذيبها، فهي لا تعلم بلادها حتى..

- إنك لا تتذكرين بلادك..

قصد رُهان ذكر بلادها على الرغم من أنه كان متيقناً أنها لا تعلم
شيئاً عنها.. أراد أن يثير فضولها أو أن يكون في مركز قوة بعلمه
أشياء تجهلها عن نفسها أو الاثنين معا..

- لا.. لا أتذكر شيئاً..

نظرت إليه بطرف عينا وهي تتساءل كم يعلم عن ماضيها،
لقد قضت مع نمار ما يزيد على الست سنوات، وهو لا يعلم عنها
نصف ما قاله.. أرادت أن تسأله المزيد عن بلادها، ولكنه قال
بسعادة حتى نسيت ما كانت ستسأله:

- لقد وصلنا..



نظرت أمامها، بدت الغابة ساكنة وقد اختفت الثلوج تماماً على مشارفها إلا نتفاً.. كانت مستغرقة في حديثهما فلم تنتبه لقرب الغابة منهما كما لم تنتبه من قبل لحقيقة أن رهان قد يكون صادقاً.. وإن كان كذلك فإنه يعلم ما تجهله هي عن نفسها.. وإن صدق فماذا حدث في الماضي؟ وإن كان يحبها كما يدعي لماذا تخلى عنها؟ ما قاله وفهمته من الجميع أنهما قد اقتربا كثيراً من زواجهما، لكن رهان ألغى الزواج فجأة، ولكن أحداً لم يخبرها بالسبب..

كانت الغابة ساحرة بأشجار الكيوان ذات الأوراق الذهبية التي لم تر مثلها قط وأزهارها الوردية.. تجري ينابيع صغيرة في أنحائها المتفرقة، مياهها صافية رقراقة حتى يرى القاع وصخوره بوضوح، وترى أسماك ذات اللونين الأصفر والأسود تسبح.. تسقط الأوراق الذهبية على صفحة الماء الصافي، فتصنع لوحة رائعة متعددة الألوان تجبس الأنفاس.. كان الجو داخل الغابة أدفاً من خارجها.. على الرغم من أنه ما زال بارداً لموان ولكن على الأقل فهي تشعر الآن بأن الخدر الذي سرى في أطرافها منذ خرجت من القلعة يغادرها ببطء عندما توغلا في الغابة..

- جميلة هي لينودام.. سرى في صوتها انبهار حقيقي..

- نعم أجمل ما رأت عيني.. إنها هبة سينامجنين.. نسن كثيراً من القوانين لتنظيم العمل والصيد فيها لحمايتها حتى نحافظ عليها للأجيال القادمة.. لو تركت للعمل العشوائي لهلكت ونفدت خيراتها على مر العصور.. حافظ عليها أجدادي.. وجاء دوري ومن بعده يأتي دور أبنائي..

نظر إليها نظرة ذات مغرى، ولكن موان هربت بعينها من

نظراته عندما لمحت أرنباً برياً كبيراً يجري سريعاً.. أشارت إلى رُهانٍ بالألا يتحرك، وبخفةٍ سحبت قوسها ولقمته بالسهم، وتحركت بخفةٍ حتى إنه لا يسمع تكسر الأغصان ولا حفيف الأوراق تحت قدميها.. أفلتت سهمها فانطلق سريعاً مستقراً في إحدى الأشجار فوق رأس فريستها التي سرعان ما فرت بحياتها..

- كدت أصيبتها!! لا بأس بها، فهي أول رمية منذ شهر طويل..

تقافزت بسعادةٍ وجرت لتنتزع السهم الذي استقر في الشجرة.. عندما سحبت لفت نظرها نقشٌ عليه لأول مرةٍ تلاحظه..

- ما هذا؟

- إنه اسمك، فقد صنع هذا القوس وسهامه لك خصيصاً..

ألقت نظرةً إلى القوس والجمعة، ودهشت عندما رأت النقش نفسه عليهما، ولم تلاحظه قبل الآن..

- ولكن هذه ليست اللغة السيناجينية.. فأنا أعرفها..

- نعم، إنها لغة أهل دون.. بلادك يا موان.. ستذكرينها سريعاً عندما أحكي لك عنها.. لقد دهشت أنك ما زلت تذكرين لغة سيناجينين رغم مرور كل هذه السنين..

- لقد دهشت أنا أيضاً.. في ليوراس يتعلم الأمراء منذ الصغر لغة عدوهم اللدود.. سيناجينين.. لذلك كان نمار وأريانا يجيدان لغتكم.. وعندما تقرر سفرنا مع الوفد حاولت أريانا تعليمي بعض الكلمات الأساسية حتى يسهل عليّ التعامل مع من حولي.. ولكن

ما إن شرعت في تعليمي حتى وجدت كل شيء داخل عقلي..
وكأنني أنفض عنه غبار الماضي، وأدركت أنني أعلم هذه اللغة
جيداً حتى شككت في أنها بلادي، ولكنني احتفظت بالأمر
لنفسي.. خفت إن علم نمار بالأمر أن يثير الأمر شكوكه فيمنعني
من السفر.. لطالما شعرت بأنه شديد التكتم فيما يخص ماضي
حتى إنه كان يشعر بالغضب الشديد إزاء فضولي عنه.. إذاً هذه
لغة بلادي كما تقول..

حاولت التركيز على النقش لعله ينقل إليها أي ذكرى ولكن
دون جدوى.. فشعرت بالغضب الشديد إزاء ذلك..

- لا ترهقي ذهنك يا موان.. لديك كل الوقت للتذكر لاحقاً..
إذا تذكرت لغتنا فإنك ستتذكرين لغتك بسهولة.. لقد علمتكم لغتنا
في السابق.. وقد كنت تلميذة ذكية تتعلمين سريعاً، وقد أجدتها
أيضاً.. لقد تعلمت في صغري لغة ليموراس أيضاً.. وكذلك تعلمت
لغات عدة غيرها.. لكن عندما شرعت في إنشاء مكتبي الخاصة
وجمع المخطوطات من أنحاء المعمورة، عنيت بإعداد نخبة من
اللغويين.. وأرسلت الطلاب إلى البلدان المختلفة لتعلم لغاتها، وقد
عادوا فعلها غيرهم من الطلاب، لذلك تجدون أن القصر مليء
بأولئك الذين يجيدون لغات عدة منها اللغة الليموراسية.. ولذلك
عندما جاء وفد ليموراس لم نجد صعوبة في التعامل معهم، وانتشر
في القصر الذين يجيدون لغتهم لمساعدتهم في شتى الأمور..

لم يعلق على ما قالت بشأن نمار.. ما زال يتحسس من نطقها
لاسمة وحديثها عنه.. يشعر بالدم يغلي في عروقه كلها جاء ذكره
على لسانها وإن كان ذماً أو ذكراً عابراً لا مدح فيه.. لذلك لم يشأ
أن يطبلا الحديث عن هذا الوغد في مثل هذا اليوم الجميل.. أشار
إلى شجرة وقال:

- انظري هناك..

نظرت إلى حيث أشار، فرأت سرباً من الطيور الحمراء اللون إلا
تاجاً من الريش الأصفر والأزرق الكثيف يعلو رأسها.. بدؤوا
ينشدون لحناً بديعاً عندما نظرت إليهم تردد صدهاء في الغابة،
وكان الغابة كلها تغني.. همس لها:

- إنهم يرحبون بك..

استمعا إليهم حتى أنها تغريدهم عندها طار أحدهم حتى حط
على كتف رهان، وأخذ ينقره في جانب وجهه.. كان الأكبر
حجماً بينهم وكان عرفه لونه أزرق داكناً وأطول وأكثر من البقية

- إنني سعيد أيضاً بلقائك يا (بون).. شكراً على الترحيب.. لا بد
أنكم تراقبونا منذ دخلنا الغابة..

قهقه رهان ضاحكاً واستطرد:

- سوف أخبرها بذلك يا صديقي.. شكراً لك..

فرد الطائر جناحيه وأوماً لرهان برأسه وانحنى له كأنه يحببه ثم
التفت إلى موان وانحنى لها هي الأخرى قبل أن يحلق عالياً في
السماء يتبعه باقي السرب الأحمر..

- طائر جميل.. هو قائد السرب! بم ستخبرني؟

- بون إنه قائد حرس الغابة.. هو وسربه أعيننا داخل الغابة
يتأكدون أن قوانين الغابة لا تنتهك من قبل أحد.. ينقلون لنا كل



ما هو مريب.. وقد كان يخبرني أنك منذ جئت المملكة والغابة
تتحدث بجمالك، ولكنك أجمل من كل ما قالوه عنك..

ابتسم في رقة ولاح في عينيه السوداوين بريقاً نفذ إلى قلبها..
سكت قليلاً ثم خلل شعره الرمادي بأصابعه وأردف:

- كما أنه أخبرني بأن أرنبك الذي أضعته سابقاً قريب منا..
انظري هناك.. لقد عاد من جديد..

خفض صوته وتحرك بخفة حتى أصبح وراءها يكاد يكون
ملاصقاً لها، وهمس في أذنيها ببطء حتى أحست بأن صوته يسري
في جسدها كله:

- هل تعلمين يا حلوتي أين أخطأت المرة السابقة؟ من شدة
حرصك على صيد فريستك اقتربت منها أكثر مما يجب.. لقد
أخفتها حتى إنها فرت قبل أن يصل إليها السهم.. أمسك يدها التي
تحمل القوس وحرك اليد الأخرى التي ما زالت تحمل السهم التي
انتزعته آنفاً ثم همس في أذنها وهو يلامس وجهها بجانب وجهه:

- الآن..

سرت رعشة في جسدها كله وأطلقت السهم الذي استقر هذه
المرة في صدر فريستها، ولكنها أحست بأنه قد استقر في صدرها
هي لا الأرنب.. التفتت إليه وسألته دون سابق إنذار حتى إنه
بوغت تماماً:

- إذاً ماذا حدث؟

- ماذا حدث.. ماذا تقصدين؟



سألها في دهشة..

- ماذا حدث في الماضي؟ لماذا تركتني؟ إن كنت أحببتني كما تدعي كيف تخليت عني؟

كانت لهجتها عدائية..

- موان أنا لم أتخل عنك.. لم أتركك.. لقد ضعت مني.. ولقد بحثت عنك طويلاً..

- لماذا ألغيت الزواج؟ ألم يكن قرارك كما فهمت؟

- لأنك كنت مريضة.. لم تتحملي البقاء هنا.. أردت أن أحملك..

- حقاً؟! وما المانع يومئذ أن يتم الزواج ونعيش خارج سينامجنين..

حاولت أن تجعل تساؤلها منطقي أكثر منه عاطفي، وكأنها تناقش أمراً لا علاقة لها به.. أرادت أن تحمي نفسها من الإجابة التي حدست أنها ستعذبها لا تريحتها..

- لم يكن لولي العهد وملك المستقبل أن يترك مملكته.. حتى إنه لن يعترف بك ملكة ولا بذريتي إلا...

- إذا كنت تحمي عرشك.. تحمي مملكك.. لم تكن تحميني أيها الملك

- موان.. أرجوك.. أنا لا أصدق أنه بعد كل تلك السنين
الجدال نفسه..

رفع كفيه ليفرك بهما وجهه في عصبية واضحة محاولاً أن يتحكم
في غضبه.. كيف تحولت هذه اللحظة الرائعة إلى الجدال القديم
الذي انتهى عنده كل شيء.. ولكن ما حدث بعد ذلك أفقده
كل قدرة تعلمها منذ الصغر للتحكم في غضبه..

رفعت موان قوسها نحوه وهي تنظر إليه بعزم وأسى في آن
واحد..

- أخبرني أيها الملك ما الذي يمنعني أن أنفذ فيك سهمي وأنتهي
من كل هذا.. وأهرب منك ومن ثمار ومن كل أولئك الذين
ادعوا أنهم يفعلون ما يريدون لسعادتي وحماتي؟! ما الذي يمنعني
أن أغدر بك.. أن أنهي كل ألمي وأتحرر من عبء سنوات من
الضياع والذل.. إن كان ما تدعي صحيحاً، فأنت السبب في أن
أقع بين يدي هذا الوغد.. أنت من قرر يومها أن أرحل.. وأنت
من قرر اليوم أن أصبح أسيرتك.. وبين هذا وذاك أنت من قرر
ونفذ لتلك الفتاة المسكينة الجمقاء.. إذاً أخبرني كيف ستعوضني
عن سنوات الذل والعار.. أخبرني!!

لمعت عيناها العسلتان بالدموع.. ولكن قبل أن يرد عليها
وجدت نفسها فجأة خلف رُهان وهو يضغط بجسده عليها حتى
تظل ملاصقة لشجرة خلفها، ولا تستطيع الحراك وكلها حاولت
تحرير نفسها ضغط بجسده أكثر ليمنعها من الحركة وهو يهمس لها:

- لا تتحركي.. أدركت سريعاً من حالة ترقبه أنه يستشعر اقتراب
شيء ما منهما لم تعرف كنهه، وسكنت ورائه وظل يجول بعينه

في الغابة الممتدة أمامهما حتى سمعا صياحاً عالياً:

- مولاي.. هل أنت بخير؟

لمع من بعيد نصل سهم يقترب منهما..

- سنجي.. هل هذا انت؟

خفف من ثقل جسده عليها حتى يسمح لها بالحركة قليلاً..
التفت إليها وقال بحزم:

- لا تتحركي.. واجعلي ظهرك للشجرة..

ابتعد عنها قبل أن تجد وقتاً للإيماء حتى ومشى قليلاً، جاءه
الرجل مهرولاً هويصيح:

- مولاي.. هل كل شيء بخير؟

تغيرت لهجة الرجل.. أصبح أهدأ من ذي قبل..

- سنجي؟ ما الذي تفعله هنا؟ ألم أمرك بالبقاء في القصر؟

- مولاي! بلى، ولكنها أوامر الوزير حُران..

أطرق سنجي برأسه..

- ويلك.. تعصي أمراً مباشراً مني.. وترفع سهامك على الملكة..

كانت ثورته عارمة، وهو يصيح وصار صوته خشناً ووجهه

مكفهرًا

- مولاي.. لقد ظننت...

- اصمت! من معك من الرجال؟

- كلهم..

نظر رُهان حوله وكأنه يحاول أن يراهم..

- لقد عصيت أمرًا مباشرًا مني.. ولا يهمني من أعطاك أمرًا؟
ستكون عاقبة أمرك خسرًا ووبالًا عليك.. اصحب الملكة إلى
القصر ثم سلم سلاحك لنائبك.

انطلق خارجًا من الغابة دون أن يلتفت إلى موان حتى.. كان
صدره يغلي كما يغلي الرجل فوق الموقد.. تحول إحباطه ويأسه
إلى نار متأججة.. لا يكفيه ما فعلته موان بما ظنه أجمل يوم في
حياته منذ سنين بل إن القصر كله سيتحدث عن الملكة التي
رفعت سهمها في وجه الملك وأرادت قتله.. ركب جواده وانطلق
كالسهم إلى القصر.. عندما دلف إلى القصر صاح بأعلى صوته:

- حُرُااااان.. أين أنت يا وزير الملك؟

جاءه أحد الخدم يجري مهرولاً في خوف:

- مولاي.. الوزير حُران في غرفة الطعام الشرقية يتناول غداءه
مع...

لم ينتظر حتى يكمل جملته، وانطلق مسرعًا إلى غرفة الطعام



الشرقية.. كان الخدم يسترقون النظر إليه، وهو يمرق بينهم كالسهم وعلى وجهه آي الغضب بعد أن سمع صياحه في أرجاء القصر..

كانت غرفة الطعام الشرقية تبعد كثيراً عن البهو الرئيسي للقصر.. وكانت كل خطوة يخطوها تزيده غضبا وتؤجج النار بداخله.. وعندما اقترب منها سمع صوت الوزير الصاخب، وهو يضحك مجلجلاً ليس على باله شيء.. صاح مرة أخرى:

- حُرّان.. يا وزير الملك..

توقفت الضحكات واقتحم رُهان الغرفة.. كان حُرّان واقفاً على رأس مائدة الطعام الطويلة بعد أن سمع صياحه الغاضب وبجانبه ليما، وقد بدا عليهما الذعر وتراقص خلفهما النيران البنفسجية في المدفأة.. لما رأى رُهان يسرع نحوه سأله في توجس:

- ما الأمر يا مولاي؟

أمسك رُهان صديقه من مجامع ثوبه وهزه هزاً عنيفاً حتى صاحت ليما فزعاً، ووضعت يدها على فمها، وإن ظل حُرّان محافظاً على رباطة جأشه، وإن بدا مضطرباً بشدة:

- ما الأمر يا مولاي!؟

- ألا تعرف أيها الوزير؟ تبعث الجنود خلفي دون علم مني!! وتحرضهم على عصيان أمري؟

- مولاي!! حاشاني أن أعصي لك أمراً أو أن أحرص الرجال على عصيانك.. إنني أخشى على سلامتك يا مولاي.. أخبرتك قبلاً أن هناك شيئاً يحاك في الظلام؟ يا مولاي إن الحب قد يجعل

المراء لا يضع الأمور في نصابها ولا يقدر الأمور حق قدرها...

- لا يقدر الأمور!! الآن بسبب ما فعلت سيتحدث القصر كله عن الملكة التي حاولت قتل الملك..

صاحت ليما مرة أخرى، وبدأت الدهشة علي حُران وسأله:

- ماذا تقول يا مولاي؟ ماذا حدث؟

تخلي حُران عن نبرته الرسمية وأصبحت لهجته قلقة يريد أن يطمئن علي صديقه، مذكراً رُهان بصداقتهما ومحاولاً امتصاص غضبة الملك..

- أنا الذي أسألك؟ كيف تجرؤ علي عصيان أمري؟

- مولاي عفوك.. ولكنني أخشى علي سلامتك وسلامة الملكة، وكنت أعلم أنك ستصر علي الذهاب دون حرس.. يا مولاي لقد وقعت في أيدينا رسالة جديدة مربية أرسلت لأحدهم في القصر.. سامحني يا مولاي ولكنني أقسمت علي حمايتك.. ارجو عفوك.. لكنني لم أكن لأخاطر بتعريض حياتك للخطر..

أقلت رُهان صاحبه وانهار جالساً علي أحد المقاعد وأرسل ناظريه إلى النار البنفسجية المتأججة في المدفأة.. سأله حُران عندما رأى أن غضبه قد هدأ قليلاً

- ما الذي حدث؟ لماذا تقول إن القصر سيتحدث...

- ليس الأمر كما يبدو.. ولكن هذا ما سيتناقله الجميع.. لقد غضبت موان فجأة ووجهت قوسها نحوي.. ليس الأمر وكأنها

كانت ستقتلني.. كانت تعبر عن غضبها لا أكثر.. إنني أعرف
تمردا وعنادها..

تبادل لهما وحران النظرات القلقة فيما بينهما.. كان كلامه
يثبت قلق وخوف حران علي سلامته.. ضايقه وأزعجه أنهما لا
يتفهمان الموقف كما يتضح له..

- رُهان.. لقد تأكدنا دون أدنى مجال للشك أن الرسالة كانت
قد أرسلت لشخص ما في القصر.. أسألك أن تفكر وتحتاط...

قاطعته بحدة قبل أن يتم عبارته:

- إذا ابحث عن هذا الشخص -أيها الوزير- وجده لي في أسرع
وقت.. وحتى هذا الوقت لا تلق بالاتهامات والتلبيحات جزافاً..

انتفض واقفاً لينهي الحديث وسار في اتجاه الباب قليلاً ثم
التفت إليه قائلاً:

- حران.. ستنال العفو لأنني أعلم نواياك الصادقة، ولكن يا وزير
إياك أن تفعلها مرة أخرى.. إياك.. مفهوم؟

- مفهوم يا مولاي..

انحني حران في خضوع وهو ينظر إلى رُهان بثبات.. عندما
خرج من الغرفة أسرع حران قائلاً وهو يرمي بنفسه على أحد
المقاعد:

- إنه لا يتغير.. يميل إلى العفو وإحسان الظن بمن حوله.. ماذا
أفعل؟!!

- صحيح.. ولكن حتى أنت تستفيد من ذلك يا حُران ليست
موان وحدها..

- ماذا تقصدين؟ كنت أحافظ على سلامته لا أحاول قتله..

- أتظن أنها كانت تحاول قتله فعلاً؟! يا للرجال!!

ابتسمت وهزت كتفها..

- فماذا كانت تفعل وهي توجه سهامها إلى صدر الملك؟!

- دعك من هذا الآن.. أخبرني عن تلك الرسائل الغامضة.. لمن
تظن أنها قد أرسلت؟

كانت قد اتخذت لنفسها مقعداً مواجهاً له، ومالت بجسدها
نحوه وهي تخفض صوتها..

- ما زلنا نبحث في الأمر.. لا شك لدينا أنها قد أرسلت لأحد
داخل القصر.. الرسائل مريبة ومقتضبة بشدة وتدور عن طلب
تفاصيل لشيء معين.. أياً كان من أرسلها، فهو حذر ولذلك
كتبت بهذا الشكل المقتضب مخافة أن تقع في يد أحدهم..

- الأمر مريب جداً كما تعلم.. ولكن أتعلم! رهان عنده حق..
لا يوجد ما يربط بين الملكة وهذه الرسائل..

- نعم.. ولكن في ظل ظروف زواجهما غير العادية يجب أن
نحتاط.. لقد وضعت كثيراً من الخدم والأشخاص تحت المراقبة
تحسباً لأي شيء.. لن أدخر جهداً للحفاظ على أمن الملك

وسلامته.. نظرت إليه بتقدير بالغ وإعجاب:

- ما تقوله صحيح تمامًا.. لكم هو محظوظ رُهان لأن يحظى
بصديق مثلك يحمي ظهره.. أكاد أحسده!! في دنيا مليئة بالمنافقين
والخبيثين لا يكاد يجد المرء من يثق به..

- ليماء.. أفديك بروحي يا صغيرتي.. سأكون دائماً إلى جانبك..

- أعلم يا حُران.. إنني أثق بك دائماً.. لطالما شعرت بالأمان
وأنت إلى جانبي..

نظرت إليه بعينها الزرقاوين ولاحت فيها نظرة حانية.. سرت
رعشه في جسده الضخم وهو ينظر إلى عينيها الجميلتين وخفق قلبه
بقوة.. خفضت عينيها ورفعت خصلة من شعرها الذهبي المنسدل
على وجهها بفتنة وقالت:

- هل تعلم لقد أفادني المكوث هنا بعيداً عن أبي وخلافتنا
معاً.. أعدت التفكير بهدوء في كل ما حدث بيننا.. لعل أبي كان
محقاً.. لعله رأى بحنكته وخبرته ما لم أستطع رؤيته كما قلت لي
أنفاً يا حُران.. عندما يهدأ المرء يصبح حكمه أفضل على الأمور..

- حقاً!! لكم يسعدني ذلك يا ليماء..

رفعت حاجبها في دهشة، فارتبك قليلاً واستطرد يقول سريعاً:

- يسعدني أن تكونا على وفاق أنت وإسفيلس..

ألقت برأسها الجميل إلى الخلف وهي تضحك بغنج، وقالت له:

- طبعاً.. طبعاً.. مفهوم.. سوف أذهب الآن إلى غرفتي، فلقد استيقظت اليوم في وقت مبكر عن عادتي.. وأشعر برغبة في النوم قليلاً قبل العشاء..

- إذا أراك على العشاء..

سارت حتى وصلت إلى الباب ثم التفتت إليه، وقالت برقة وعيناها تلمعان:

- حُران.. شكراً لك.. شكراً لك على كل شيء.. ثم ابتسمت ومضت في طريقها، وهي تعلم أن قلب الوزير يخفق بقوة كما لم يحدث له من قبل..

* * *

في طريق عودتها إلى القصر راجعت موان أحداث يومها الحافل.. أذهلتها حقيقة أن رُهان كان مستعداً لتلقي ذلك السهم بدلاً عنها.. في الوقت الذي كانت تهدده بقوسها.. لم يفكر ولم يتردد بل حماها بجسده وروحه.. عندما أزاحها كان مستعداً لتلقي السهم الذي قد يؤدي بحياته دون تردد.. ظلت تؤنب نفسها على ما فعلت طوال طريق العودة.. كانت كلماتها شديدة القسوة معه.. حملته ذنب كل ألم أحست به في السنين الفائتة على الرغم من أن رُهان لم يؤذها بالفعل أو بالقول منذ قابلته رغم قدرته على ذلك.. ظل متحملاً ثوراتها وإهانتها له في بعض الأحيان أيضاً.. ربما غضب.. ثار.. وقليلاً ما توعد، ولكنها دائماً ما ظلت تهديدات جوفاء لم تشعر بجديتها.. عندما دخلت غرفتها كانت متعبة منهكة من تزاحم الأفكار والمشاعر داخل عقلها وقلبه، إضافة إلى آلام جسدها الذي أنهكه الخروج وركوب الخيل والتريض، وقد اعتاد الدفء والراحة في الشهور الأخيرة.. أسعدتها عودتها للغرفة الدافئة بنيرانها البنفسجية المتأججة في المدفأة الضخمة التي لم تر في مثل حجمها في هذا القصر على رحابته.. نظرت إلى الأخاديد التي تسري فيها النيران بطول الغرفة وعرضها لا تنطفئ أبداً، فتجعل غرفتها أكثر دفئاً من باقي غرف القصر بعين الشكر والعرفان والتقدير لأول مرة.. يدهشها أنها سعيدة بالعودة إليها رغم أنها كانت تراها سجيناً لها حتى صباح اليوم.. استلقت في مخدعها الذي يمتلئ بالوسادات المغطاة بالفرو ضماناً لمزيد من الدفء.. يبدو كل ركن من أركان غرفتها قد أعد خصيصاً لهذا الغرض.. ضمان دفئها وراحتها.. تساءلت إن كان رُهان قد أشرف بنفسه على إعداد الغرفة بهذا الشكل المتفرد كما أشرف على صناعة القوس والسهم الذي نُقش عليه اسمها.. تمت

لو أنها التقت به في القصر عند عودتها حتى تشكره على الأقل، ولكن خاب أملها وفكرت أنه ربما من الأفضل أن تترك الأمور حتى تهدأ قليلاً.. بدا ثائراً عندما غادر الغابة حتى إنه لم يلتفت إليها.. انتزعتها دقائق على الباب فاعتدلت في جلستها.. كانت تظن أنها راما ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من تمنى غيرها..

- ادخل..

- مولاتي.. ها قد عدت؟ كيف كانت رحلتك؟

لاحظت عليها علامات القلق والاضطراب، وفهمت موان أن أخبار يومهما قد انتشرت في القصر..

- أخبريني أنت؟

ابتسمت في فتور واضح.. وانطلقت راما في الحديث:

- عاد مولاي إلى القصر في ثورة عارمة.. كان يصيح بأعلى صوته على الوزير حُران.. جميع من في القصر ارتعد خوفاً.. لم نره غاضباً بهذا الشكل من قبل..

أدركت موان أن حُران هو من أعطى الأوامر لسنجي بتتبع الملك، ولكنها تساءلت عن السبب.. لم تشأ أن تتحدث مع راما التي تثرثر ليل نهار، عما حدث في الغابة.. كانت تريد أن تنقل لها راما ما يقال في القصر عن الأمر لا العكس، لذلك رفعت كتفها ومطت شفيتها وعادت إلى استلقائها الكسول على فراشها.. ولكن راما لم تزد على ذلك على الرغم من أن موان أحست أن لديها مزيداً، ولكنها آثرت الصمت.. فقد كانت إحدى مزايا راما أنه على الرغم من ثرثرتها فإنها تعلم متى يحين وقت الصمت..



قُرِعَ البابُ ثانيةً.. فتحت راما الباب ثم التفتت إلى موان قائلة:

- مولاتي.. إنهم الخياطون يطلبون الإذن لتفصيل ثوب الحفل..

- ماذا؟! أي حفل؟!

- لا أعلم..

- أدخلهم..

دخلت امرأة في منتصف العقد الخامس، ومعها فتاتان في العقد الثاني من عمرهما، وشرعن يعرضن الأقمشة المختلفة عليها، ويأخذن مقاساتها ويدونها في رق معهن.. وعندما انتهين من أخذ المقاسات قالت المرأة:

- مولاتي سيكون الثوب جاهزاً قبل الحفل بيومين.. سنضع عندها فقط اللبس الأخرى عليه..

- ومتى سيكون الحفل؟

أحست بالخرج الشديد ل طرحها هذا السؤال، ولكن المرأة لم تدهش من سؤالها الذي كان ليزيد من حرجها وردت ببساطة:

- الأسبوع القادم يا مولاتي أي بعد خمسة أيام من الآن..

غادرن الغرفة بعد أن أنهين عملهن.. وقد تسلل إليها الإحساس بالضيق من جهلها بأمر الحفل، ولكنها هدأت من روعها بأنه ربما كان مخططاً أن يخبرها رُهان اليوم، ولكن ما حدث في



الغابة أنساه ذلك..

انتظرت طيلة اليوم على أمل أن يظهر الملك، ليطلعها على أمر
الحفل، ولكن خاب أملها عندما ظهرت قنتيج عوضاً عنه..
وقفت بأسلوبها الصارم وشعرها الرمادي المعقوص في كعكة
ضخمة، وهي تتحدث ببطء وملل بالغين:

- لذلك فإن هذا الحفل على قدر كبير من الأهمية.. سيأتي فيه
الملك والأمراء الذين قد فاتهم حفل الزفاف المفاجئ..

مطت كلماتها الأخيرة لتعبر عن اعتراضها واستيائها عن السرعة
التي أقيم بها الحفل ثم أردفت:

- أما الآن فسوف يتسنى لهم التعرف إلى ملكة سينامجنين التي
فضلت على جميع الأميرات..

أحست موان أنها لم تقصد بذلك مدحها بأي حال، فقاطعتها
بفتور:

- فهمت يا فنتيج.. أعدت الأمر على مسامعي عشر مرات حتى
الآن.. هل من شيء آخر؟

- نعم يا مولاتي.. يجب أن نبدأ التدريب على مراسم الحفل من
الآن

- لا ليس الآن.. إنني متعبة، ربما غداً..

- ولكن يا مولاتي...



- قنتيج.. قلت لك غداً..

صرت المرأة الحيزبون على أسنانها وانحنت لها وهمت بالمغادرة قبل أن تلمح راماً، فرمقتها بحق وكأنها تتساءل كيف لمثل هذه الفتاة أن تحظى بهذه المكانة الرفيعة من الملكة، وهي تُعامل بمثل هذا الإهمال والجفاء.. بعد أن غادرت الغرفة وقفت راماً تقلدها بطريقة مضحكة.

- لذلك فإن الحفل على قدر كبير من الأهمية نفس حجم منخاري الذي أحشره في كل أمر..

ضحكت موان على تقليدها، وفكرت أنها لا تطيق قنتيج هي الأخرى، ولكنها قطعت ضحكاتهما، وقالت في غضب مكتوم:

- كل القصر يعرف بأمر الحفل إلا الملكة.. رائع.. ألا يكلف نفسه عناء إخباري بأمر كهذا؟

- لا تتعجلي الأمر يا مولاتي.. ربما يأتي مولاي ليخبرك بالأمر بنفسه..

مرت الأيام التالية وموان تنتظر أن يأتي رُهان إلى غرفتها كما اعتاد دائماً ولكنه لم يفعل.. فكرت أنه لم يغفر لها ما حدث في الغابة وأنه ما زال غاضباً، ولكن ذلك لم يزد لها إلا حنقاً وغضباً.. كيف لا يتفهم وحدتها وألمها من فقدانها كل ذكرياتها؟ أليستين بكل ما مرت به من ضياع وفقد وسوء معاملة ثم خطف وأسر؟

رثت لحالها وزاد ألمها منه وتحول إلى سخط يزيد كل يوم تنتظر قدومه ولا يأتي..

استيقظت يوم الحفل على قنتيج وهي تزيح ستائر الغرفة فاصطبغت الغرفة باللون البرتقالي الواهن للفجر المنبلج حديثاً.. يبدو أن قنتيج قد قررت أن تبدأ الاستعدادات النهائية مع زقزقة العصافير، ولكن موان كانت تشعر بالوهن وعدم الرغبة في مغادرة فراشها في مثل هذا الوقت المبكر.. هذا اليوم سيكون طويلاً بالفعل، ولن تسمح لقنتيج بأن تجعله أطول..

- قنتيج.. أغلقي الستائر ولا تعودي حتى أرسل إليك..

- ولكن يا مولاتي...

- قنتيج.. اذهبي الآن..

حاولت أن تحافظ على نبرة صوتها هادئة.. أغلقت المرأة الستائر مرة أخرى وغادرت الغرفة متبرمة..

تعمدت أن تتأخر في نومها وأخذت تتقلب في فراشها في كسل، إذ كانت تشعر بالتوتر وتمنت أن يجعل ذلك يومها أقصر..

جاء الخياطون لوضع اللبس الأخرى على الثوب ومساعدتها على الاستعداد، ثم صفت لها راما شعرها.. تركته كله منسدلاً على كتفها الأيمن، ولبست تاجها الذي يشبه أسنن اللهب البنفسجية وقبل موعد الحفل بساعة أرسلت إلى قنتيج.. وعندما دخلت كان الغضب الذي تحاول كظمه جلياً على صفحة وجهها، ولكن ذلك لم يمنعها من الانبهار بالملكة وإبداء إعجابها بها..

- مولاتي.. تبدين رائعة الجمال.. تبدين.. تبدين كملكة.. بالطبع أنت ملكة ولكني أقصد..



ترددت وحاولت تحسين ما قالته، ولكن موان ابتسمت قائلة:

- شكراً لك يا قنتيج..

فقد أسعدها ما قالته حقاً، فموان بالفعل لا تشعر بأنها ملكة بأي شكل من الأشكال، مثلها مثل قنتيج تماماً..

بعد أن أنهايا معاً التدريب الأخير، تمت لها قنتيج حفلاً سعيداً وغادرتا الغرفة معاً..

وقفت أمام أبواب البهو الرئيسي تماماً كما في حفل الزفاف بثوبها الأبيض المزين بأحجار صغيرة متناثرة من الزمرد الأخضر البراق.. جاء رُهان وكان يلبس حلة سوداء مزينة بخيوط ذهبية.. التقت عيناها للحظة واقترقتا سريعاً.. لم يقل شيئاً وأمسك بيدها بوهن وأشار إلى الحراس بفتح الأبواب.. أرادت أن تسحب يدها ولكن شيئاً ما منعها.. كان يبدو واجماً، وهو يمشي بجانبها بين أخذودي النار البنفسجية.. كان قرع قلبها في أذنها أصخب من الطبول التي تفرع في هذه اللحظة عند دخولهما.. خطفت أعين كل من في البهو بشعرها الأسود المنسدل في رقة على كتفها الأيمن وبشرتها البيضاء المحمرة في ثوبها الأبيض البديع.. جلسا على العرش تحت ظل شجرة الكيوان.. انطلقت الطيور مغردة بصوت أخاذ وإن بدا شجياً.. عندما انتهت الطيور من تغريدها قام رُهان ليمشي بين ضيوفه تاركاً موان لوحدها.. لم ينظر إليها ولم يوجه لها أي حديث.. شعرت برغبة في البكاء من تجاهله لها ولكن قاومتها.. حملت الطيور هدايا الضيوف وصنعوا منها كومة بجانب كل من رُهان وموان وحملوا سلال الخبز والطعام وظلوا يخلقون في البهو بألوانهم الجميلة البراقة بين المدعويين لخدمتهم ومساعدتهم



تحت إشراف خدم القصر..

نظرت إلى رُهان الذي كان واقفاً بين حُران، وتلك الأميرة
الرائعة الجمال التي عرفت من راما أنّها تُدعى ليماء.. مال عليها
ليهمس لها في أذنها بشيء جعلها تضحك فأصبحت أكثر سحراً
وجمّالاً بشعرها الذهبي وبشرتها الخمرية.. حاولت إبعاد ناظرها
عنهما، ولكن دون جدوى انتزعها صوت راما متسائلة:

- مولاتي.. هل تريدن شيئاً؟

كانت تحاول إلهاءها عندما رأتها تنظر إليهما وعيناها تلمع..

- لا يا راما.. شكراً لك يمكنك الانصراف أو إن احببتي
استمتعي بالحفل..

ترقرقت عيناها العسلتان بالدموع، وهي في ذلك لا تعلم ماذا
حل بها وتمنت ألا تلاحظ راما ذلك.. اقتربت منها وهمست لها:

- مولاتي.. لقد كانت دائماً هنا وحوله ولكنه لم يردها بل
أرادك أنت..

أومأت لها في ثقة.. كانت كلماتها كنور الفجر تسرب إلى ظلمة
روحها فانقشعت... تبادلتا الابتسامات وانصرفت.. بعد قليل
عاد رُهان للجلوس بجانبها ووجه إليها حديثه في جد واضح ولهجة
رسمية، وهو يقترب منها:

- هذا الحفل أقيم من أجلك وعلى شرفك.. الأفضل أن تختلطي
بالضيوف..



- لا أعرف أحداً هنا..

- سوف أعرفك عليهم.. هيا..

- لا أريد أن أزعجك.. تبدو مشغولاً بالفعل..

خانها عيناها واتجهت صوب ليما رغماً عنها.. رفع حاجبيه في دهشة:

- وهل تغارين الآن؟!

- أغارا! لم؟

نظر إلى ليما وقال في خبث:

- يقال إنها أجمل الأميرات.. رفعت حاجبها متسائلة:

- إذا لم لم تتزوجها؟

- لم توافق على الزواج بي.. تحب شخصاً آخر..

اكتسي صوته بنبرة باردة وهو يستفزها..

- وكان هذا يهملك؟

ضحكت مستهزئة رداً على جوابه الذي ضايقها.. أحس بالدماء تصعد إلى وجهه وتصلب وجهه ونظر إليها في ثبات:

- إننا لا نفعل ذلك بالأميرات بنات الملوك..

كانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير..

ثبتت نظرها إليه غير مصدقة ما قاله، وأجابته في تسليم وقهر:

- نعم.. ما تقوله صحيح تماما.. خفضت عينيها حتى لا يرى
دموعها ونظرت إلى حجرها

- موان.. أنا آسف.. لم أقصد...

- أريد أن أغادر..

- انتظري.. ابقِي قليلاً..

ولكنها كانت قامت بالفعل لتغادر البهو، وتبعها الأعين في
دهشة واستغراب حتى خرجت.. تبعها رُهان في هدوء بعد أن
اعتذر للضيوف بحجة تعبها..

- موان.. انتظري..

التفت إليه

- ليس من المعقول أن تغادري الحفل بهذا الشكل.. إنك
مصممة على إحراجي..

- أيها الملك!! لماذا تريد إذلالي بهذا الشكل.. إنني لست أميره
بالفعل كما تقول، ولكني امرأة لها كرامة.. لهذا السبب تزوجت
بامرأة لا قيمة لها حتى تستطيع إذلالها وإهانتها!؟!

التمت عيناها العسلتان بالدموع سارع إليها في ندم واضح:



- حبيبتى..

- ابتعد عني ولا تقترب مني.. أنا لست حبيبتك.. لست موان..
ولا ملكة هذا القصر.. أنا لست شيئاً.. إياك أن تقترب مني..

شاهدها تجري بعيداً عنه.. شعر بالعجز واليأس.. قفل عائداً إلى
الحفل وحده وهو يفكر أنه ربما قد حان الوقت للتخلي عن حبه..

دخل البهو الرئيسي، وجلس على عرشه وحيداً وهو يعلم أن كل
من في القاعة يتساءل عن الملكة التي تغادر الحفل الذي يقام على
شرفها فجأة للمرة الثانية على التوالي.. ويندهشون لهذا الملك البائس
الذي أحب امرأة وخطفها من خطيبها وتزوجها وهي لا تحبه..
تنهد بعمق..

- ما الأمر يا رُهان؟ لماذا رحلت موان؟

كانت ليما تقف أمامه وهي تلبس ثوبا وردياً، وتبتسم في وهن..

- أغضبته كالمعتاد.. أشعر بالضيق.. ما رأيك أن نتمشى قليلاً؟

- رُهان.. هذا الحفل مقام للاحتفال بكما.. هل ستغادر
ضيوفك؟

- نعم.. إن أردت البقاء سأخرج بمفردي..

- لا جدوى من إقناعك.. هيا بنا..

غادرا البهو معاً.. كانت الشمس قد بدأت في المغيب، واصطبغ

الأفق باللون الأحمر الجميل..

- أحياناً أشعر بأنني كان يجب أن أستمع لكما.. كان يجب أن أتركها..

- لم يفت الوقت بعد.. يمكنك أن تصلح الأمر يا رهان..

- لا أعلم يا ليماء.. لقد أصبح الأمر أكثر صعوبة.. إن كنت تركتها منذ البداية على الأقل كانت ستشكر لي إنقاذها من الوغد نمار.. أما الآن فإنها تكرهني أكثر منه.. إنني خسرت كل شيء.. عموماً لم يتبق كثير حتى ترحل.. أقل من ست أشهر وسترحل إلى الأبد.. لقد وعدتها..

- أن تقترف خطأً ثم تعترف به وتصلحه خير لك من أن تستمر فيه.. يمكنك أن تتجاوز ألمك..

- أنا أحبها كثيراً.. لا أرى للحياة معنى دونها يا ليماء..

اكتسى وجهه بالألم.. أومأت له وعيناها تلتمعان بالدموع..

- أعرف مدى قسوة هذا الشعور.. أن يحال بينك وبين من تحب..

- ألهذا تخاصمت مع إسفيلس وترفضين العودة؟

- إذا فقد أخبرك حُران بالأمر؟

- أخبرني أنك قد اختلفت معه، ولكنه لم يخبرني بالسبب.. ولكنني أعرفك جيداً.. وأظن أن الأمر مختلف معك.. إنك أميرة

رائعة الجمال يا ليماء قد يسهل استغلالك.. ربما كان إسفيلس على حق.. ربما أسأت الاختيار..

- دائماً الكلام نفسه واللهجة نفسها.. عندما تعشقون أنتم وتخطرون بكل شيء من أجل امرأة، فإنكم على صواب وتعرفون ما تفعلونه.. أما نحن إما إننا حمقاوات يعمينا الحب وإما يساء استغلالنا؟! أنا لا أصدق حقاً..

كانت غاضبة وحانقة.. ابتسم رُهان لها في لطف:

- إنك علي حق.. إنها ازدواجية مقبولة.. ربما يكون هذا نابعا من رغبتنا -سواء إسفيلس أو أنا- في حمايتك وإحساسنا بالمسؤولية تجاهك لطالما كنت بمنزلة أختي الصغيرة..

- المزججة.. لا تقلق يا رُهان.. إنني قادرة على الحكم على الناس مثلك تماماً..

كانت ما تزال غاضبة، وفكر رُهان أن قدره أن يغضب الجميلات..

- لطالما أخبرت آريوس بهذا عندما كان يفاتحني في الزواج بك.. إنها أختي الصغيره يا مولاي..

ظهرت ابتسامة واهنة على وجهها الجميل ثم أشارت وراء ظهره:

- إنه حُران..

التفت رُهان ليشاهد حُران قادماً ويبدو على وجهه الضيق..



- مولاي.. الجميع يسأل عنك وعن الملكة، ويريدون تقديم
التهاني لكما قبل المغادرة

- سوف أعود إلى الحفل.. لن تنزل موان للحفل ثانية، سوف
أعتذر بالنيابة عنها..

غادرهما متجهًا إلى الحفل.. التفت إليها حُران متسائلًا:

- هل تشاجرا ثانية؟

- وهل يفعلان شيئًا آخر؟

- ظننت أن الأمور قد تحسنت بينهما في الأيام القليلة الفائتة..

- أظنه قد بدأ يندم على فعلته.. قد يتركها ترحل قريبًا..

- حقًا؟! لم يخسر رُهان حربًا من قبل.. فما بالك بأن يلقي
سلاحه ويستسلم؟

- يا للرجال! أتفكرون في كل شيء على أنه حرب.. إنها ليست
حربًا يا حُران.. ألا تفهم؟!

كانت تصرخ في وجهه نافذة الصبر، ثم تركته ورحلت،
شاهدها تعود إلى القصر هي الأخرى، وهو لا يفهم لماذا انزعجت
بهذا الشكل!



ظلت موان ترفض التحدث إلي رُهان كلها جاء إلى غرفتها أو عندما يتصادفان في أرجاء القصر أو حدائقه.. حاولت راما تهدئتها ولكنها لأول مرة تصيح بها، وتأمرها بالسكوت حتى إنها قد هددتها بالطرد من الغرفة إن هي استمرت في تبرير كل ما يفعله الملك..

كانت تشعر بالحنق كون راما أقرب الناس إليها في القصر الملعون في صفه وتحاج عنه.. قضت أغلب وقتها بين الكتب وأصبح أسعد أوقاتها وهي في ديوان الكتب تطالع صحيفة جديدة أو تشاهد الطيور البديعة، وهي تطير داخل المكتبة لجمال الصحائف وتنظيمها إذ أصبح يجمعها بالطير علاقة رائعة.. فكانت إذا دخلت إلى الديوان تَحَلِّق حولها الطير مرفرفين بحماسة أو يغنون لها ألحاناً عذبة تطرب لها مرحبين بها.. وأحياناً تناقش سنزار في أحد الموضوعات التي استشككت عليها، وهي تقرأ ويظلان ساعات يناقشان أموراً أدبية أو علمية..

شاهدت رُهان في الديوان عدة مرات وقد ظنت أن وجوده في هذه الأوقات في الديوان لم يكن من قبيل الصدفة، ورغم ذلك فقد ظلت ترفض الحديث إليه على الرغم من تلاففه معها، واعتذاره عما بدر منه في الحفل كلها رآها..

ذات يوم دخل الديوان، وهي تتحدث مع سنزار عن إحدى المخطوطات، وكان قد ضاق ذرعاً من صدها إياه، فاتجه إليها ووجهه مستعر من شدة الغضب، وقال لها:

- تقضين كثيراً من الوقت هنا..

نظرت إليه ولم ترد.. أغاظه صمتها وتجاهلها إياه وطفح به الكيل،
فأمسك بمرفقها بقوة:

- ردي عليّ؟ ألا أحدثك؟

ظلت صامته، وارتسمت على وجهها نظرة عنيدة.. سحبها من
مرفقها وجرها وراءه ليخرجها من المكتبة..

مشت معه في استسلام ثم توقف فجأة والتفت إليها وقال في
نفاد صبر وغضب مكتوم وقد أسند ظهرها إلى الحائط وحبسها
بين ذراعيه الممدودين أمامه:

- اصمتي كما تحبين يا موان.. ولكن لا أريد أن أراك في الديوان
ثانية.. هل تفهميني؟

أنهى جملة سريعاً وغادرها.. كانت هذه آخر مرة تراه.. لم
يعد يظهر في أرجاء القصر ولا في حدائقه بل لم يعد يأتي إلى
غرفتها، وكأنه اختفى من فوق ظهر الأرض حتى إنها شكّت أنه
قد رحل عن القصر، وسافر ولكن راما أكدت لها من ثرثرتها
عرضاً أنه في القصر ويباشر مهامه..

ذات ليلة بينما هي نائمة حلمت به يودعها، وهي تغادر القصر
كان حزيناً وبائساً، وأخذ يتحدث معها بكلام وكأنه يعاتبها حتى
جاءت حية تزحف بين قدميها، فسقطت وهي تصرخ فرعة..

عندما استيقظت شعرت بانقباض في صدرها لم تدر كنهه حتى
تذكرت الحية.. وضعت يدها على صدرها، وظلت مستلقية على



سريها ووجهها مصفر..

- مولاتي.. هل أنت بخير؟

- رأيت كابوساً أزعجني..

- كنت البارحة ترتجفين من البرد رغم كثرة الدثر التي ألقيتها عليك.. حتى أنني فوجئت بجماعات من الطير تأتي وأحاطوك بأجسادهم وأنت نائمة حتى توقفت عنك الرجفة.. لم أرهم يفعلون شيئاً كهذا مع غيرك.. إنهم يحبونك، هكذا قال الملك عندما جاء البارحة ليودعك وشاهدتهم..

- رهان!!

- نعم.. أراد أن يودعك قبل أن يذهب إلى الحرب..

- الحرب!!

امتقع وجهها وازداد اصفراراً:

- نعم..

تهدت راما في حزن ثم أردفت:

- لم يشأ أن يوقظك حتى إنه أخبرني أن الأفضل أن يودعك وأنت نائمة..

- ماذا يعني بذلك؟



- أظنه يعني أنك لن تتحدثي إليه إن كنت مستيقظة يا مولاتي،
ولن تتركه يودعك!!

ردت عليها وهي ترفع حاجبها في تعجب واستنكار كأنها
تساءل كيف لا تفهم مقصده..

زاد خبر الحرب من انقباض صدرها.. وشعرت بحيرة من
أمرها.. ألم يكن هذا ما طلبته من رُهان؟ أن يبتعد عنها.. ألم
يفعل ما طلبته منه وأصرت عليه؟ إذا لماذا تشعر بهذا الحزن
لرحيله وابتعاده؟ ألا يفترض أن يريحها ابتعاده عن القصر؟!
عندما كان أمامها تمنعت عنه رغم اعتذاره الدائم لها وندمه
الشديد وأسفه على ما بدر منه في الحفل.. والآن بعد أن رحل
تشعر بالخوف والوحشة!

ضاقت ذرعاً بمشاعرها الجديدة المضطربة التي حلت محل
مشاعر الغضب القديم، وكلها مرت الأيام زادت وحشتها
وخوفها حتى إنها ظلت تكرر لنفسها أن هذه الوحشة لا علاقة لها
بغيابه، وإنما لأنها ملت البقاء في القصر دون عمل شيء مفيد أو
لأنها تشتاق إلى مغادرة سجنها، لكن في أعماق قلبها كانت تعلم أنها
تخضع نفسها.. إن كان الأمر كما تقول فلماذا إذا يطاردها هاجس
أنه قد لا يعود من الحرب ويضج مضجعا ليلاً ويقتلها قلماً فلا
تستطيع النوم وتقلب في فراشها خائفة متوجسة.. حاولت مراراً
طرد هذا الهاجس المفرع من ذهنها، ولكن كلها نجحت في
إبعاده قليلاً يعود من جديد ليعذبها.. سألت راما يوماً:

- ألم يقل لك متى يعود؟

- عندما يذهب الرجال إلى الحرب لا يقولون متى يعودون يا



مولاتي.. لأنهم ببساطة لا يعرفون..

- هل ذهب الوزير حُران إلى الحرب أيضاً؟

- نعم هذا أكيد.. لا أراه في القصر أيضاً.. يصعب ألا يلاحظ المرء الوزير بينيته الضخمة وصوته الصاخب.. إنه يخيفني وكل من في القصر يرتعد منه.. سرت رعشة في صوتها وأردفت:

- إنه لا يملك حلم مولاي ورأفته.. ولديه من الغلظة والسلطة ما جعلني أظنه الملك عند بداية عملي في القصر.. يمشي متبخترًا ويهدر صوته في كل أرجاء القصر.. لم أصدق عندما اكتشفت أنه ليس الملك، وظلت أظن أن لديه من السلطة والحظوة ما لا يملكه مولاي..

نظرت إلى موان بطرف عينا حتى تتأكد من وقع كلامها عليها.. ثم أردفت عندما رأت وجهها هادئًا:

- إلى أن جاء ذلك اليوم..

- أي يوم؟

- كنت مسؤولة عن تنظيف وترتيب غرفة الوزير، وفي أحد الأيام بعد أن أنهيت عملي اتهمني ظلماً بسرقة سوارٍ ذهبيٍّ ودون دليلٍ أمر بزجني في السجن.. ظلت أبكي وأقسم له أنني لم أر شيئاً ولم أسرق شيئاً.. لكنه ظل معانداً مصمماً على سجنني إن لم أحضره له في اليوم التالي.. وبينما أبكي دون أمل ألهمني فكري أن أستنجد بالملك رغم غلبة ظني بأنه لن يصدق جارية ويكذب وزيره.. ولكنني كنت كمن يتعلق بقشة.. أسرعت إلى غرفته وكنت أعرف طريقها، ولم أكن أعرف الملك حينها.. فمنعني



الحراس من الدخول فقد كان الوقت ليلاً والملك نائم، أخذت أبكي وأصرخ بأعلى صوتي والحراس يجررونني بعيداً عن الغرفة وهم يتوعدونني.. ولكن مولاي فتح الباب فيبدو أن صراخي قد أفلح في إيقاظه، فتوقف الحراس مبهوتين..

صرخت بأعلى صوتي وأنا بين أيديهم:

- مولاي.. أرجوك.. قاطعني أحدهم موجهاً حديثه للملك:

- مولاي.. عذراً على إزعاجك ولكن هذه الملعونة.. أشار إليهم أن يتركوني وأدخلني غرفته كنت في حالة يرثى لها.. استمع إلي في صبر دون أن يقاطعني، وعندما انتهيت لم ينبس ببنت شفة..

خرج إلى الحراس وأمرهم بإيقاظ الوزير وإخباره بضرورة المثل أمام الملك دون تأخير.. بدا مولاي غاضباً وقد كنت خائفة حتى إني لم أجروء على الحديث.. جاء الوزير سريعاً.. كان مغتاضاً عندما رأي نظري نظرة متوعدة.. طلب الملك مني أن أقص الأمر مرة أخرى، وعندما انتهيت التفت إلى الوزير قائلاً في غضب:

- هل أمرت بزجها في السجن؟

- نعم.. إنها سارقة..

- هل معك بينة على ذلك؟

- كانت تنظف الغرفة يومها..

- هل قدمت لمجلس الحكم؟

- مولاي.. إنها سارقة حلوة الحديث...

- صمّتا.. أيها الوزير إياك ثم إياك أن توقع عقوبة بأحد دون
المثول أمام مجلس الحكم.. وقف الوزير صاغراً أمام الملك
الغاضب..

- مولاي...

- لا مزيد من الحديث يا حُرّان.. لقد خيبت ظني بك.. يمكنك
الانصراف الآن.. أطرق الوزير برأسه وهم بالانصراف ولكن
قبل أن يخرج استوقفه الملك..

- حُرّان.. إني لأشعر بخيبة أمل كبيرة..

انتهت راما من سردها لما حدث وبدا عليها التأثير الشديد، وكان
الأمر قد حدث البارحة..

- لولا مولاي.. لتعفنت في السجن.. لم ينظر إليّ بصفتي جارية
لا قيمة لها بل استمع إلى حديثي، وقبل بكلمتي أمام كلمة وزيره
وأنصفني.. يومها علمت أنه الملك وإن ظنوني فيه على غير حق..
وأنه يمشي الهويني لا ضعفاً منه بل قوة وحلباً وتواضعاً.. لذلك
كنت أكرر لك أنك ما أن تتعرفني عليه حقاً حتى..

صمّت راما خوفاً من موان، فقد كانت موان تنزع مؤخرًا من
دفاعها عن الملك، ولكن موان ابتسمت في نجل عندما أحست
بتردد راما في البوح بما تريد خوفاً منها:

- الحب أمر آخريا راما..



تهدت وقد بدا عليها التعب والإرهاق

- مولاتي.. لم تأكلي شيئاً منذ الصباح.. صار وجهك مصفراً..

- لا أشعر بالرغبة في الطعام يا راما.. أشعر بالغثيان كلما فكرت فيه..

- ألا يعجبك الطعام هنا؟

- لا.. إنه رائع.. إنهم يتفنون في إبهاري..

- إنه وقت العشاء الآن.. أرجوك كلي شيئاً بسيطاً.. لقد سمعت أن هنتار سيقدم اليوم اليخنة.. ولا أستطع أن أصف لك مدى روعتها.. يجب أن تذوقها.. أرجوك.. إنك لم تأكلي شيئاً منذ البارحة..

ابتسمت لها موان وهي ترى في عينيها صدق الحرص عليها..

- لأجل خاطرِك يا راما.. قد آكل طبقاً صغيراً.. ولكن قبلها أحضري لي شراباً ساخناً ربما نعناعاً ليريح معدتي قليلاً..

- أمرك يا مولاتي.. لن أتاخر سأشرف على إعدادة بنفسه..

انطلقت وهي سعيدة بإقناعها.. قطعت ردهات القصر جرياً حتى وصلت إلى المطبخ.. كان المطبخ غرفتين فسيحتين بينهما معبراً.. الأولى فيها طاولة طويلة وحولها مقاعد وتنتشر عدة أحواض فيها.. في هذه الحجرة تُعد الخضر والفاكهة وغسلها وتقطيعها وحفظها.. إلى جانب غسل الصحون وتجهيز الطعام

المطبوخ حتى يخرج إلى الموائد الرسمية في مواعيدها المحددة..
والأخرى بها عدة مواقد وأفران حجرية وهي الحجر التي يكون فيها
الطبخ وإعداد الطعام والفطائر والحلويات بشتى أنواعها تحت
إشراف هنتار.. عندما دخلت الغرفة الأولى رأت أن اليخنة قد
أعدت بالفعل، وتركت على الطاولة لتوضع في الصحون قبل
تقديمها على العشاء.. كانت رائحتها شهية حتى إن راما شعرت
بريقها يجري داخل فمها.. قررت أن تذهب لصنع النعناع قبل
أن تاخذ طبقاً من اليخنة ولكنها عندما وصلت للمعبر الفاصل
بين الحجرتين سمعت همساً محموداً يخرج منها ما جعلها تتوجس..
والتقطت طرفاً من الحديث وسمعت كلمة (خائنة) بوضوح فسقط
قلبها.. تحركت بخفة وهي التي تعلم أن همساً محموداً من وراء
الأبواب في هذا القصر لا يأتي بخير..

- الملك غائب في الحرب وخلا الجو لها.. لا يخفى على أحد أنه
تزوجها غصباً.. ولكن هل هذا مبرر للخيانة!!؟

- أشعر بالأسف نحوه.. إنه ملك طيب لا يستحق هذا.. سمعت
أنه أحد الجنود المكلفين بحراستها تهم به عشقاً..

- هرااء.. بل هو ذاك الأمير الذي كانت مخطوبة له تتبادل معه
الرسائل السرية ويخططان لهروبها في الوقت المناسب..

شعرت راما بالدم يغلي في عروقها ولم تستطع منع نفسها،
فاقتحمت الغرفة على حين غرة وصاحت فيهما:

- أيتها الخبيثتان النمامتان.. انتظرا حتى يرجع الملك وأخبره بما
تبعجان به في حق الملكة.. سيقطع لسانيكما..

كانت تلوح بسكين التقطتها من على أحد الأرفف.. ارتعبت

المرأتان وأخذتا ترتجفان وهي تصيح بهما.. كانت إحداهما سمينة وقصيرة والأخرى رفيعة وطويلة..

- حقيرتان عاهرتان.. تتجرآن وتحدثان في شرف ملكة سينامجنين..

استجمعت المرأه السمينه شجاعته وقالت لها

- لن تستطيعي إخباره بشيء وإلا...

- وإلا ماذا أيتها العاهرة؟.. اتسعت عينا راما وأصبح وجهها في لون شعرها الأحمر من شدة الغضب

- لعلك لا تعلمين أن التسلل ليلاً من القصر أمر خطير.. فكري جيداً ماذا سيفعل الملك بأثيرته إن علم بأمر كهذا؟

لوحث راما بالسكين مرة أخرى أمام المرأتين اللتين تراجعتا للخلف مرتعبتين حتى اصطدمتا بالحائط..

- سوف أقطع لسانيكما وأقدمه لكلاب القصر غير أنني متأكدة من أنهم سيبصقونه لقذارته..

- راما.. ما كل هذا الصياح؟ ماذا تفعلين بالسكين يا فتاة؟! هل جنت؟!!

كانت تلك هي مشرفة المطبخ وقد جاءت على إثر الصياح والصرخات، وظلت تنقل عينها بين راما الممسكة بالسكين والمرأتين الملتصقتين بالحائط خوفاً.. لم ترد راما عليها وتجاهلت سؤالها وانطلقت خارجة من الحجرة.. كانت مكانتها في القصر

تسمح لها بذلك.. وهي في طريقها للخروج أسقطت عدة أوانٍ في
الحجرة الأولى، وسمعت المشرفة تصيح بالمرأتين:

- هيا أسرعاً أيتها الكسولتان عديمتا الفائدة.. تضيعان الوقت في
الشجار والعشاء لم يُقدم بعد..

وقفت خارج المطبخ تلتقط أنفاسها من فرط غضبها حتى سمعت
الصراخات قادمة من المطبخ مرة أخرى..

- أيتها الغبيتان ماذا فعلتما باليخنة؟ لقد أفسدتما العشاء.. الويل
لكما.. إنها شديدة الملوحة؟ لماذا وضعتما مزيداً من الملح؟؟

- أقسم لك لم نضع فيها شيئاً.. كانت الجاريتين تصرخان في فرع
محاولين نفي التهمة عنهما

انطلقت في طريقها وهي تبتم.. ترجو أن يكون إفساد العشاء
بالمح عقاباً مناسباً لهاتين الحقيرتين.. ولكن نتيجة لكل ما حدث
نسيت أن تحضر العشاء للملكة التي تنتظرها.. فكرت في أن تتجول
في القصر قليلاً حتى تضيع الوقت ثم تعود إلى المطبخ لإحضار
الطعام للملكة بعد أن تكون هاتان العاهرتان قد غادرتا.. ليتها
أبقت على صحن من اليخنة قبل أن تفسدها بالملح، ولكن لم
يكن لديها الوقت الكافي لذلك.. يمكن أن تجد بعض الأصناف
الأخرى المتبقية من الغداء.. لذلك ظلت تتجول في القصر قليلاً
وكانت في طريقها عائدة للمطبخ عندما سمعت أطراف حديث
هامس آخر، ويبدو أن القصر هذه الليلة مليء بالأحاديث الهامسة
المحمومة.. استرقت السمع ولكن هذه المرة سمعت ما جعلها
ترتعد بشدة حتى إنها لم تعد تفكر في عشاء الملكة، ولا أي شيء
آخر غير ما سمعته، وانطلقت تجري في القصر لا تلوي على شيء..

ظلت موان تفكر في حديث راما معها بعد أن غادرتها.. حاولت أن ترتاح قليلاً إلى أن تأتي راما بالعشاء التي يبدو أنها ستتأخر فاستلقت على سريرها محاولة النوم ولكنها لم تستطع.. تعلم أن إعجابها بالملك يزداد يوماً بعد يوم وإن أنكرت الأمر.. شاءت أم أبت ذلك.. ولكن هل ترقى مشاعرها للحب؟! وهل ستعترف يوماً بحبها لسجانها؟ إن من السخرية أن تري في سجانها هذا القدر من الحب والحنان.. ألم يتعهد بتسريحها إن هي شاءت ذلك؟ كل ما أرادته فرصة أخيرة للحب الذي أضناه كما يدعي.. ولكن ماذا إن أصرت على الرحيل.. هل يبقى على عهده وإن خالف ذلك هواه وأضنى قلبه؟ سرحت في أفكارها حتى أخذتها إغفائه.. رآته يقف على مقربة منها ثم يدير لها ظهره ويمضي.. بكت بكاءً مريراً وهي تشاهده يرحل دون وداع حتى.. أفاقت من إغفائها والضيق يملأ صدرها.. تبكي لأنه رحل؟! ألم يكن هذا ما أردته وتمنته؟!!

كانت مجموعة من الطير ترقد على الدثار الملقى عليها ويبدو أنها رأت ارتجافها وهي نائمة فأحاطتها بأجسادها الصغيرة الدافئة.. نظرت إليهم شاكرة وهي تبسم، عندما دخلت عليها راما بوجه غير الذي عهدته.. كان وجهها ممتقاً وعيناها زائغتين وأنفاسها متلاحقة وكأنها كانت تجري ولدهشتها لم يكن معها طعام ولا عشاء.. سألتها في توجس:

- ما الأمر يا راما؟

لم تجب وظلت تنظر إليها في بلاهه دون أن تنطق.. سقط قلبها وصاحت فيها:

- انطقي..



ترددت قليلاً ثم أفلتت لسانها..

- أصيب مولاي في الحرب..

- ماذا؟! من أين جئت بهذا الكلام؟

- مولاتي.. أرجوك.. ما كان ينبغي أن أسمع الأمر فضلاً عن نقله.. إن الأمر في غاية السرية كما سمعت..

أصبحت راما أكثر هلعاً بعد أن أفضت إليها بما سمعت، وكأنها زادت غمّاً فوق غم.. تماسكت موان وسألتها بهدوء:

- اهدئي يا راما، وقصي عليّ ما سمعته ولا تخشي شيئاً.

- سمعت الوزير سلوان يخبر أحدهم بأن الملك قد أصيب في الحرب، وأن جرحه عظيم وحالته حرجة..

انهارت راما باكياً.. واستطردت:

- لم يكن يفترض أن أسمع، ولكنني عندما سمعت أطراف الحديث عن الحرب ومولاي أصحّت السمع لعلني أنقل لك خبراً سعيداً بقرب انتهاء الحرب وعودة مولاي، ولكن عوضاً عن ذلك سمعت هذه الفاجعة..

دفنت وجهها بين كفيها وأخذت تنتحب.. ظلت موان ساكنة للحظات، وقلبا يخفق بقوة ثم تكلمت وهي تتحرك بسرعة:

- اهدئي يا راما.. أحضري لي اللباس الرسمي..

- اللباس الرسمي!.. ماذا ستفعلين يا مولاتي؟

مسحت وجهها بكفيها.. لم تجبها وزجرتها بعينها حتى تتحرك..

- نادي الحارس..

جاء الحارس سريعاً مع راماء..

- أمرك يا مولاتي..

- أريدك أن تجد الوزير سلوان في أسرع وقت.. لا تعد إلا إذا وجدته وإن كان نائماً فأيقظه.. أعلمه أن الملكة تنتظره في... قاعة الحكم.. هيا اذهب..

خرج الجندي مسرعاً والتفتت موان إلى راماء:

- أحضري اللباس سريعاً وخذييني إلى قاعة الحكم فأنا لا أعرف الطريق إليها..

أردفت في نفاذ صبر عندما رأت علامات الهلع على وجهها:

- لا تخشي شيئاً.. لن يعرف بأنك من نقلت لي الأخبار.. هيا أسرع يا راماء..

كان اللباس الرسمي للملكة ثوباً أحمر قانياً ذا ياقة ذهبية عالية ومحلى بشجرة الكيوان على الظهر وألسنة اللهب على أطرافه، وكان يلبس في المهام الرسمية للملكة كاستقبال ضيوف المملكة أو حضور حدث رسمي.. ارتدته موان في عجلة وساعدتها راماء في إصلاح شعرها ثم انطلقتا إلى قاعة الحكم.. عندما وصلتا إليها أمرتها

موان بالعودة إلى الغرفة وانتظارها هناك.. بعد وقت ليس بالقصير جاء الوزير سلوان.. كان رجلاً قصيراً في منتصف العقد السادس تقريباً.. أصلع ويميل إلى البدانة ويبدو عليه المكر والدهاء..

انحنى عند رؤيته موان وبدا عليه الترقب والحذر.. اختارت موان أن تجلس على عرش الملك الضخم الذي يرأس القاعة وإن كانت لا تعلم إن كان لائقاً أن تجلس عليه، ولكنها أرادت على نحو ما أن تظهر قوتها التي كادت تخور وتفضحها.. وفكرت أن هذه المملكة لم تعرف ملكة منذ وفاة أم رُهان، وهذا منذ زمن بعيد لا بد أن أحداً لا يتذكر تماماً ما اللائق وغير اللائق للملكة هكذا تمت من قلبها..

- مولاتي.. إنه لشرف كبير لي أن أسعد برؤياك اليوم.. كيف يمكن أن أخدمك؟

- إنه لشرف لي أيضاً أيها الوزير سلوان.. دائماً ما تحدث عنك الملك بأنك أول من علمته الضرب بالسيف وركوب الخيل.. أخبرني أنه يراك في منزلة أب ثان له.. أمدتها راما بهذه المعلومات القليلة عن سلوان عندما سألتها ماذا تعرف عنه وهما في طريقهما إلى القاعة.. بدا عليه الزهو، وتخلي عن قليل من حذره:

- وهو بمنزلة الابن البكر لي.. لقد علمته ورأيته يكبر أمام ناظري يوماً بعد يوم قبل أن أحظى بأول ولد لي.. كان يرتمي في حضني فرحاً عندما يصيب هدفه.. أو يرتمي باجياً محتماً في عندما يقسو عليه الملك آريوس.. رُهان العزيز..

نطق باسمه بصوت خافت وكأنه يحدث نفسه لا الملكة.. بدا عليه التأثير الشديد وفكرت موان أن إصابه الملك جد خطيرة

فامتلاً قلبها هلعاً

- أيها الوزير.. إنني اليوم أحدثك لا بصفتي ملكة سينامجنين ولكن بصفتي زوجة تريد أن تطمئن على زوجها الذي ذهب إلى الحرب ولم يعد بعد.. كيف هي إصابته؟!.. لا تسألني كيف عرفت بالأمر؟ لأنني لن أخبرك ولكني أعدك أن الأمر سيبقى سراً بيني وبينك.. وأتوسل إليك أن تخبرني هل الملك بخير؟

ثبت عينيه الضيقتين على عينيها العسليتين الواسعتين، وكأنه يريد أن ينفذ خلاهما إلى قلبها ليعلم مدى صدق وجدها بكل ما يشاع في القصر من توتر العلاقة بينهما.. تحدث أخيراً..

- اطمئني يا مولاتي.. رغم أن إصابة الملك بالغة فإنها لا تهدد حياته، ولكنها ستحتاج إلى كثير من العناية عندما يعود قريباً..

- لا يسعني شكرك.. وهذا يعني أن رحي الحرب ما زالت دائرة؟.. استرخت ملامح وجهها القلقة والمعذبة.

- نعم.. رغم غلبتنا فيها فإننا لم نحسمها بعد.. حاول الوزير حُران أن يقنع الملك بضرورة العودة لحاجته الماسة إلى الرعاية، وخاصة أن النصر مسألة وقت فقط، ولكن مولاي رفض وأصر على البقاء حتى حسم الأمر تماماً..

- فليكن النصر حليفهم إذا.. نظر إليها متفحصاً وهو يتعجب كيف يمتلئ القصر بشائعات الخيانة والهجر إن كان لديها كل هذه المشاعر للملك التي تبدو له -وهو الرجل الذي عركته الحياة ولا يسهل خداعه- صادقة متاجمة!

- أشكرك أيها الوزير سلوان.. لا أريد أن أطيل عليك.. فلعلنا



قد أزعجناك وأيقظناك في هذا الوقت المتأخر من الليل.. يمكنك الانصراف..

ابتسمت ابتسامة راضية زادتها حسناً وإشراقاً..

- لا.. لا إزعاج يا مولاتي.. كنت بالفعل قد هممت للخلود إلى النوم قبل أن يأتي رسولك، ولكنني تحت أمر جلالتك في أي وقت من ليل أو نهار.

انحنى أمامها وهو يفكر أنه لا عجب أن الملك قد افتتن بالفتاة..

هم بالانصراف، ولكنه قبل أن يخرج من الغرفة التفت إليها، وقال في خفة:

- أخبرني راما تلك الثرثرة أن الوزير سلوان سيقطع لسانها إن علم أحد في القصر بإصابة الملك.. ما أجملك يا مولاتي تبدين فائنة حقاً..

ضحكت موان من أسلوب الوزير وطريقته المتكلفة والمضحكة في أن واحد، وأومأت له برأسها وهي تبسم في رضا قبل أن يتركها ويخرج.



مرت الأيام ثقيلة على موان بعد حديثها مع سلوان.. على الرغم من محاولته بث الطمأنينة فيها فإنها تأكدت من إصابة رُهان وأن إصابته ليست باليسيرة.. أقض ذلك مضجعها وأسهر ليلها الطويل.. امتلأ نومها بالكوابيس وقلت شهيتها شيئاً فشيئاً.. بدت شاحبة وشاردة معظم الوقت..

قابلت سلوان عدد من المرات، وفي كل مرة كان يحاول طمأنتها ويوصيها بنفسها خيراً.. شعرت دائماً في وجوده بالأمان والقوة تلك الأحاسيس التي غادرتها منذ أمد بعيد.. كانت لتقول أنه مثل أب لها غير أنها لا تعلم كيف يكون الأب حقاً.. ولكنها علمت الآن أن رُهان لم يتركها كما اعتقدت دون مساعدة أو حماية.. فقد أخبرها سلوان أن الملك عندما خرج إلى الحرب أوصاه بها في حالة لم يعد، وقد أزعج ذلك سلوان كثيراً لكن رُهان كان جاداً وجعله يقسم أن حمايتها ستكون أولى مهامه في ذلك الوقت إن جاء.. لماذا قال لسلوان هذا الكلام؟ بدا من كلام سلوان أن الملك لم يعتد مثل هذه المقولة.. وقد أبدى سلوان انزعاجه الشديد بمقولته تلك؟ ما الذي جعله يشعر بأنه لن يعود من الحرب؟ بدا لها أن رُهان كان يثق فيه ثقة كبيرة صنعتها السنون والمواقف، فقد كان سلوان من ساعد الشاب الصغير على أحكام قبضته على المملكة في سنة حكمه الأولى بعد وفاة أبيه وبخبرته ونصائحه أسهم في استقرار الحكم له.. أدهشها أنه حتى وهو مشغول بأمور عظام يحمل هم حمايتها.. حتى وهو يفكر بموته يمهد لحياتها بعده في أمان وسلام.. اشتاقت إلى حديثه.. صوته.. ونظرته حتى الصارمة منها.. إلى ذلك الإحساس الخفي والمتغلغل بالأمان في حضوره وتواجده الذي لم تشعر به إلا معه.. لم تعد

بعد قدرة على خداع نفسه أو إيهامها بغير الحقيقة.. سألتها راما في قلق عندما شعرت بأن الدم يغادر صفحة وجهها:

- هل أزيد النيران يا مولاتي.. هل تشعرين بالبرد؟

- لا يا راما شكراً لك.. صبي فيها كي يقل ضوءها.. أريد أن أنام قليلاً..

صبت راما ذلك السائل الأصفر الذي يصنع خصيصاً في سينامجنين في المدفأة والأخاديد الذي يقلل من ضوء النيران البنفسجية الشديد، ويحافظ على حرارتها الشديدة كما هي.. كان الوقت ما زال باكراً ولكنها استسلمت للرقاد في سريرها يحيط بها كل أفكارها السوداوية وأحزانها.. بعد وقت طويل غفت وبدأت الكوابيس تطاردها كما اعتادت في الآونة الأخيرة منذ غادر رهان.. تجري تارة وتارة فتراناً وثعابين يلاحقونها تارة أخرى.. تضل طريقها في الغابة ثم تجد نفسها في القصر ونمار يلاحقها.. تجري ثم تجري حتى تعثر عليه راقداً على الأرض في بركة من الدماء.. تجثو بجانبه وتبكي وهي تصرخ بأعلى صوتها (رهان.. رهاااان)، ولكن دون جدوى فهو لا يجيبها.. تبكي وتنشج (رهاان.. أرجوك لا تتركني.. لا تتركني).. تسمع صوته ضعيفاً يأتي من بعيد (أنا هنا يا موان).. ولكنه لا يتحرك ولا ينطق ويبقى بين يديها جثة هامدة لا حياة فيها (رهااان.. لا تتركني) تبكي وتنشج.. شعرت بشيء بارد على جبينها..

- أنا هنا.. موان حبيبتي.. إنني بجانبك..

فتحت عينيها لترى صورة غير واضحة لجانب وجهه تراه بالكاد بسبب الظلمة كان يجلس على طرف سريرها.. هل استيقظت



أم إنها ما زالت تحلم؟ بعد أن اعتادت عيناها الظلام تراه الآن
بوضوح.. هاتان العينان السوداوان اللامعتان تحت الحاجبين
الأسودين العريضين وشعره الرمادي المبعثر.. مدت يدها لتلمس
وجهه حتى تتأكد أنه ليس حلما وأنها بالفعل تراه أمامها.. قبل
باطن كفها فارتمت في حضنه:

- رهااان.. استقبل حضنها بأهة مكتومة..

- أووووه.. رُهان.. آسفه.. إنه جرحك..

نزعت نفسها من حضنه ونظرت إلى عباةته المفتوحة من الأمام
التي يظهر من تحتها جسده المضمد بإحكام..

- لا عليك.. ابق فقط كما كنت..

كان يبدو عليه الوهن حتى إنه ما كان قادراً على منعها من
مغادرة حضنه رغم رغبته في ذلك..

- هيا تعال.. استرح هنا.. سوف أساعدك..

استند إليها حتى وصلا إلى الأريكة الخضراء واستلقى عليها بحذر
بمساعدها.. بدا وجهه شاحباً كما لم تره من قبل..

- النيران.. سوف أزيدها.. لا تبدو بخير..

- لا.. لا.. الدفء يقتلني ويجعل جرحي أسوأ كأنه نار موقدة..
إن غرفتك بالفعل خانقة لي..

- إذا أقللها..



- فقط ابقني أمامي..

كانت تجلس أمامه على طرف الأريكة والحبور يملأ عينيها
العسليتين وشعرها الأسود منسدل في غير ترتيب وقيصها الحريري
الأبيض ينساب على جسدها في نعومة ورقة.. رفع شعرها بيده
وابتسم وعادت إلى وجهه قليل من الحمرة.

- أوحشتني يا موان!! اعتقدت أنني لن أراك ثانية..

وضعت يدها على الضمادات..

- كيف حال جرحك؟

- يتحسن ببطء.. لم آبه به حقاً.. تمنيت ألا يشفى أحياناً..
ولكن كيف عرفت بالأمر؟

- لا تقل هذا! من غيرها؟ راما الثرثرة..

- كنت مهزوماً.. كان جرح قلبي أكبر وأعمق.. كانت الحرب
الأولى التي أهزم فيها تحدث في قصري..

- لم تهزم..

- تمنيت ألا أعود..

- كفى يا رهااان.. إنني آسفة..

التمعت الدموع في عينيها..



- عندما ضعت مني في الماضي كنت كمن فارقت روحه..
أعيش ولكن بلا روح.. بحث كثيراً وبكيت كثيراً كالطفل
وحدي عندما يحل الظلام دون أن يراني أحد، فأنا الملك القوي
ليس مقدراً لي أن أبكي وأظهر ضعفي، ولكني بشر في النهاية.. ثم
قنعت بأن أعيش بلا روح ووجدت السلوى في العمل لمملكتي،
وتركت لله أن يطيب جرحي.. عشت كالميت ألتقي بالنساء فيهن
لي راحة جسدي ولكن هيات لقلبي أن يستريح.. ثم عدت يا
موان وعادت لي روحي صرت حيا من جديد.. نعم فرحت
عندما علمت أنه وغد معك.. فهذه فرصتي لأستعيد روحي..
نعم كنت أنانياً.. ولكن بعودتك ما جنيت إلا مزيداً من الألم،
والروح التي عادت صارت تغادر جسدي شبراً شبراً في كل مرة
ترينني فيها غريباً.. في كل مرة تصدينني.. في كل مرة أرى
الوحشة في عينيك الجميلتين.. كان الألم فوق احتمالي.. كم تمنيت
ألا أعود من حربي هذه المرة..

نزلت دموعه فلم تحمل موان رؤيته يبكي وضعت يدها على فمه
وألقت برأسها على صدره بحذر.. رفعت رأسها وابتسمت في وهن:

- ولكن يبدو أن رهان بن آريوس ملك لا يهزم كما يشاع..

اتسعت ابتسامتها حتى أضاءت وجهها وعندما رآته يتسم
أردفت:

- يتربص بطريدته حتى يوقعها في شباكها كما قال من قبل..

- بيد أن الفرق الوحيد أنه كان الطريدة هذه المرة.. موان لا
أريد منك أن تبقى لأنك تشفقين على الملك تعس الحظ.. إن لك
كامل الحرية في اختيار الرحيل حتى قبل انقضاء العام..



وضعت يدها على فمه قبل أن يتم جملة..

- سأبقى.. سأبقى يا رهان لأني أحبك.. سأبقى لأني أود أن أنام كل يوم بين ذراعيك في أمان لم أعهده إلا معك وفي صحبتك.. سأبقى لأني أعلم أنه عندما أستيقظ سنضحك معاً.. ونبكي معاً... ونشكو الأيام والعثرات معاً.. سأبقى لأنك أصبحت مني وأنا منك.. لأنك عندما ابتعدت غادرت روحي معك.. وعندما عدت أحيتني من جديد..

لمس وجهها بيده وهو لا يكاد يصدق ما تقوله:

- أحبك يا حلوتي..

قبل أطراف أصابعها التي امتدت لتلمس وجهه..

- وأنا أحبك يا رهان..

لم يكن يصدق ما يسمعه منها وهو الذي اعتقد أنه قد خسر كل شيء وتمنى الموت.. وهو الذي جاء اليوم ليحررها بعد أن عذبه ألمها وحزنها المستمر، ولم يعد يقوى على رؤيتها تعيسة غاضبة طوال الوقت.. قد جاء اليوم وقد عقد العزم إن كان لا بد لأحدهم أن يمينا تعيساً بلا روح، فليكن هو ذلك الشخص.. أعادت رأسها بحذر على صدره وأخذ يمسد شعرها وظلا هكذا حتى استغرقا في النوم على هذه الحال.. نوماً هنيئاً حلواً بلا كوابيس وبلا خوف.

استمر الثلج في التساقط في سينامجنين جاعلاً الجو البارد أكثر برودة وقسوة، لكن غرفة الملك ظلت دافئة بما فيها من حب واهتمام جد عليها..



سارت الأيام على منوال واحد تقريباً.. تستيقظ موان في الصباح الباكر وتسرع إلى غرفه رُهان لتعتني به وبجرحه الذي صار تحسنه أسرع من أي وقت مضى كما لاحظ المعالجون.. كانت بجانبه دائماً لا تفارقه إلا عند النوم في ساعة متأخرة من الليل على غير رغبة منه.. ضج القصر بالليل والقال لهذا التغير المحبب في علاقة الملك والملكة بعد أن امتلاً قبلاً بإشاعات الخيانة والهجر.. عندما دخلت موان الغرفة الفسيحة أول مرة.. أدهشها ذلك المخدع العظيم بأعمدته المزينة بالسنه الذهب ذو الأجار البنفسجية الذي يقع في وسط الغرفة وقبالته شرفة واسعة تطل على منظر بديع لغابات لينودام.. وقفت في الشرفة تراقب الشمس البيضاء الباهته التي بالكاد ترتفع فوق أشجار الغابة فتزيدها جمالاً.. عادت إلى الغرفة وجلست بجانب رُهان الراقد على السرير ودثرته بالأغطية..

- يجب أن تنام الآن وترتاح..

- ولكني لا أريد النوم..

كان جفناه ثقيلين من شدة التعب والوهن، واستطرد قائلاً:

- ابق معي.. هناك كثير من الكلام أود أن أقوله لك..

- سأبقى معك وستقوله يا حبيبي واسمعه.. ولكن الآن وقت النوم والراحة.. سأبقى بجانبك حتى تغفو.. جلست بجانبه وأسند رأسه الثقيل إلى صدرها وغط في النوم في الحال وعلا شخيره في اللحظة نفسها..

كتمت ضحكاتهما حتى لا يستيقظ.. كان صوت شخيره عالياً



ومزعجاً.. وعندما تأكدت من نومه غادرت الغرفة في خفة..
عندما استيقظ جال ببصره في أرجاء الغرفة ملهوفاً بحثاً عنها
وخوفاً أن كل ما حدث منذ عودته ليس إلا حلماً.. عندما رآها
تقف أمام غصن الشجرة الخاص بماونتي تداعبه قال لها:

- يبدو أنه أحبك..

التفتت إليه وقد بوغتت من استيقاظه المفاجئ:

- إنه رائع.. أصبحنا أصدقاء..

نظرت إلى ماونتي الذي أوماً برأسه وأصدر صوتاً وهو يرفع
منقاره عالياً.

- بل أكثر.. إنه يراك من العائلة الآن.. تلك العائلة المكونة مني
فقط..

ضحك ثم أردف:

- لقد أنقذته منذ عدة سنوات من حريق، ومن يومها لم نفترق.

- يبدو أنك مولع بإنقاذ الآخرين.. قالتها وهي تسير وصولاً إلى
سريره.. أزاحت الأغطية لتجلس قبالة على مقربة منه.. حدق
فيها غير مصدق لمدى قربها منه الآن بعد أن يتس من الأمر
سألها في تردد:

- موان.. ماذا حدث؟.. أعني ما الذي تغير؟ ابتسمت في لطف
وظهر في عينيها العسليتين التفهم لحيرته..



- هل تصدقني إن اخبرتك أنني وقعت في حيرتك نفسها..
عندما ابتعدت كما تمنيت وطلبت منك ،ظننت أنني سأرتاح..
وأن قلبي سيجد السكينة والطمأنينة في بعدك.. فلم أجد سوى
الفرع والوحشة والفقد.. تلك الوحشة وكأن العالم قد خلا من
الناس أجمع ولم يبق سواي.. أستيقظ كل يوم فإذا بثقل يجثم على
صدري لا يذهبه سوى عبور ذكرى لك أمام عيني، واذ بخاطرة
أخرى تمر تجعل قلبي يعتصر ألماً وخوفاً يا رهان.. أن أفقدك.. ألا
أراك ثانية.. أن تذهب وتركني أتخبط في هذه الدنيا.. امتلأت
عينها بالدموع، فتدفقت على وجهها بغزارة فلم تستطع إكمال
حديثها.. احتضنها بقوة رغم ألم جرحه.. ذلك الحزن الذي
انتظره سنوات طوال.. تمنى ألا يفلتها أبداً.. أن يتوقف العالم عند
هذه اللحظة فلا ينتهي حزنهما أبداً

- لهذا عدت يا موان خوفاً من أن تبقى وحدك.. شئت أم
أبيت، سأحميك.. سأبقى بجانبك رهن إشارتك.. لثم رقبتها في
رقة صعوداً إلى شفيتها.. سرت نار حارقة في جسده فقبلها بقوة،
ولكنها ابتعدت عنه بلطف، وهي تبسم:

- يجب ألا ترهق نفسك.. جرحك ينزف لأقل مجهود.. يا ربي
إنه ينزف بالفعل! رأى الدم ينتشر ببطء على الضمادات الملفوف
بها جزعه..

أسند ظهره ورأسه إلى السرير وضغط بيده عليه حتى يتوقف
النزيف:

- لا تقلقي سيتوقف خلال دقائق.. رغم نزف جرحه فإنه
أحس بالانزعاج داخله لهروبها من حزنه حتى قبل أن ترى
جرحه، ولكنه عزى ذلك لخوفها عليه..

- سوف أستدعي المعالجين بسرعة.. قالتها وهي تقف متأهبة
وعيناها تزوغان من الخوف..

- اهدئي يا موان.. يحدث هذا كثيراً ويتوقف خلال وقت
قصير كما أخبرتك من قبل.. ترددت قبل أن تجلس مرة أخرى..

- يجب أن تستريح.. زفر بقوة وهو يقول:

- سأموت كمداً بسبب هذه الراحة.. بدا كالطفل الذي يتدمر
من الدواء.. عقدت حاجبيها في صرامة وقالت:

- كلما قلت مجهودك.. تحسن جرحك أسرع وعدت إلى يومك
الطبيعي.. لفت نظرها اللوحة المحفورة على الرخام الأبيض للسريير
خلف ظهره الذي يستند إليه

- كم هي جميلة هذه اللوحة!! كان جزءاً من اللوحة مخفي وراء
ظهره..

- نعم لقد نحتت في الرخام الأبيض بناءً على أوامري منذ
سنوات.. زحزح ظهره بصعوبة لتظهر بقية اللوحة المحفورة..
كانت لرجل وامرأة تحت شجرة كيوان عظيمة ويحيطهما الطيور
من كل جانب

- انظري إلى عينيها..

- إنهما عسلتان.. تماماً مثل عيني

- كنت أعلم أنني سأعثر عليك يوماً ما.. لمس بيده جانب وجهها



فأراحت رأسها على كفه.. ما زالت تشعر بالحيرة والتخبط عندما يتحدث عنها بهذا الشكل الذي لا تذكره.. كل ما تذكره هو تلك الشهور القليلة الفائئة التي قضتها في هذا القصر التي كانت كفيلة أن تقع في حبه وتغرم به.. ابتسمت في وهن، وقالت وهي تحاول أن تهرب من أفكارها ومن حيرتها:

- الآن ستأكل جيداً ثم نغير ضماداتك ونضع الدواء على جرحك وتغفو قليلاً.. توقف النزف بالفعل كما أخبرها رهان.. ما إن انتهت من تغيير ضماداته حتى غط في نوم ثقيل حتى قبل أن يأكل.. غادرت الغرفة وقلبا مضطرم.. لقد ظنت أن الأيام قد تكفلت بجراحها.. لا يكفيها حيرتها عندما تسمعه يتحدث عنها وكأنه يعرفها منذ زمن وخوفها من أن لا تكون كما يتذكرها، فيندم على كل شيء ويملها ويزهدا.. ولكن ما إن لمسها حتى عاد إليها كل شيء كأنه حدث البارحة.. كل الألم والخوف سرى في جسدها وكان من قبلها لم يكن رهان.. القهر والذل والهوان الذي عايشته السنوات الماضية عاد إليها في طرفة عين.. بأسة يا فتاة أياً كان اسمك.. وأكثر منك بؤساً رهان الذي أحب امرأة يحمل ماضيها كل هذا الألم والخزي!! على الأقل ما زال هناك عذر الجرح تخرج به وتحتجج.. ولكن إلى متى؟ إلى متى سيصبر على ابتعادها عنه ونفورها من القرب؟ رغم حبا وحاجتها إليه لم تستطع تحمل لمستته.. أعادت لمستته الرعب الذي عايشته سنوات.. ماذا تفعل بكل هذا الألم وكيف تتخلص منه؟!

سارت أيامها على منوال واحد.. صباحاً تقضي يومها معه يتحدثان عن كل شيء وأي شيء.. كان لديه الكثير ليقصه عليها.. كل ماضيها الذي لا تعرفه.. موطنها.. نشأتها.. أبوها وأمها.. سمعته في نهم.. مطالبة دائماً بالمزيد، وكأنها تريد أن تصنع لنفسها عالماً غير الذي عرفته قبل هذا لعلها بهذا تتخلص من عبء السنين

الماضية.. تهرب من اللحظات الحميمة بينهما بحجة جرحه الذي ما يفتأ يفتح وينزف لأقل مجهود.. وفي الليل تهرب إلى غرفتها متحصنة بها من آلامها التي تعود إليها بقوة.. ولكن جرحه يشفى ورهان يستعيد عافيته وقريباً سينفذ صبره عليها.. ولكن هيات لجرحها أن يشفى ويطيب.. ماذا ستفعل يوماً؟!!

- إذا فقد كان أبي تاجر أقمشة كثير السفر وكنت شديدة التعلق به.. وقد مات وأنا في الرابعة عشرة من عمري..

- نعم يا حبيبتى.. كل يوم تراجعين ما قصصته عليك وكأنك تخافين أن تنسي شيئاً.. بدا عليه نفاذ الصبر..

- إنه كل ما لدي يا رُهان.. اكتسى وجهها بمسحة حزن مشوبة باحمرار خديها نجلاً..

- أعلم يا موان.. عذراً يا حبيبتى.. لعل مكوثي في هذه الغرفة جعلني نزقاً ضائق الصدر..

- لكنك تحسنت كثيراً وكذلك جرحك وتؤدي بعض الأنشطة الآن.. حلق إليها وبدا في عينه لمحة عتاب، ولكنه شخص ببصره، وزفر بقوة..

- نعم تحسنت.. ولكن... صمت واعتلت ملامحه صرامة لم تعهد لها منه.. تحسنت وجهه بيدها في رفق وقالت:

- إنها مسألة وقت لا أكثر.. قبل باطن كفها وجمع عنان نفسه عن الاقتراب منها.. فمع مرور الأيام بينهما تأكد حدسه.. إنها تهرب من قربه.. من لمستته.. هناك حاجز ما زالت تضعه بينهما عن قصد منها.. تساءل بداخله هل هي مسألة وقت حقاً؟

ما الذي يجعلها تضع كل هذه الحواجز بينهما؟ إنه يريد لها بشدة، وهذا حقه ولكنها تصده وتبرر بحجج لا يراها إلا واهية لا تخدع طفلاً.. يشعر بها صلدة كالخبر عند اقترابه منها؟ أتظنه غيباً؟ ألا تريده؟ بماذا تفكر؟ ألم تحزم أمرها بشأن زواجهما؟ هل نتلاعب به؟ أم أنها تمنعه نفسها تدلاً عليه؟ تصنعت الثاؤب ووقفت:

- أشعر بالتعب يا رهان.. سوف أذهب إلى النوم..

استدارت وكأنها تسمع أفكاره وتهرب منها..

- إلى متى يا موان؟ انطلقت الكلمات رغماً عنه فهو لم يخطط لهذا الحديث.. تسمرت في مكانها ولم تتحرك.. سحب نفساً عميقاً واستطرد:

- إلى متى ستهربين إلى غرفتك؟ إلى متى ستكون تلك غرفتك؟ أنا لا أفهم يا موان.. ما الأمر؟ لماذا تجعلين كل شيء صعباً؟ ألا يكفيك كل هذا الانتظار؟ ما الذي تحاولين إثباته؟ ألم تحزمي أمرك بعد؟ أخبريني.. كان صدره يعلو ويهبط من شدة انفعاله وعلا صوته حتى أحست أن جميع من في القصر سمع صراخه.. استدارت إليه وهي تشعر بالندم أنها لم تأخذ زمام المبادرة لهذا الحديث..

- رهان.. أرجوك.. اسمعني...

- ألا تفكرين في؟ هذا الرجل الذي منع نفسه عن النساء إرضاءً لك؟ الذي يتقلب في فراشه ليلاً وحيداً ونساء العالم رهن إشارته لعلك تعطين عليه يوماً؟

- أتظن الأمر سهلاً عليّ؟ أنت لا تعرف شيئاً؟ كلما اقتربت

مني عاد إليّ الخزي والعار الذي حملته طيلة السنوات الماضية؟ في الوقت الذي كنت تتقلب فيه أنت في فراشك مع النساء كنت أنا أنتهك وأغتصب من هذا.. تهدج صوتها بالبكاء..

- كفى يا موان! لا أريد أن أسمع عن لياليك الجامحة.. أصبح وجهه جامداً كأنه قد من صخر..

- لياليّ الجامحة!! لم تصدق ما قال وعقدت الصدمة لسانها.. ولكن قبل أن ينطق أيّاً منهما سمعا طرّقاً على الباب ثم دخل الحارس بعد أن أذن له رهان بالدخول..

- مولاي.. الوزير حُران والأميرة ليما يسألان إن كان الوقت مناسباً لزيارتك؟ لقد جاءا من قبل لزيارتك، ولكنك كنت نائماً وأمرت الملكة ألا يزججك أحد.. نظر رهان إلى موان وقبل أن يقرر انطلقت تقول:

- أخبرهما أن الوقت مناسب.. غادر الحارس الغرفة.. ظلت موان منزوية في أحد أركان الغرفة بينما بقي رهان علي سريره وهو يمسك مقدمة رأسه ويشد عليها وكأنه يعاني صداعاً أو صراعاً داخل رأسه.. ظلا هكذا في صمت مطبق حتى دخل حُران وليما.. أسرعتا الأخيره إلى جانب سريره وهي تبتمس في سحر بالغ وسألته:

- كيف حالك اليوم يا رهان؟... حدجتها موان بنظرة جانبية وكانت تقف في أحد أركان الغرفة فغفل عنها الاثنان.. كان شعرها الذهبي الطويل وعيناها الزرقاوان قادرين على جعل أكثر النساء برودة ناراً مستعرة..

- بخير.. رد عليها باقتضاب ثم أردف عندما شعر ببرودة رده:

- شكراً لك يا ليما.. شعرت ببعض التعب فأردت أن أنام قليلاً.
- تبدو متعباً يا رُهان.. هل استدعي المعالج؟ سأله حُران في قلق لما يبدو عليه من الإجهاد..
- لا داعي لذلك إنني بخير.. نظر حُران وليما لبعضهما مختارين..
- كنت أخبر ليما بأنك كنت شديد التهور هذه المرة وضربت بكلام قوادك عرض الحائط وعرضت حياتك للخطر..
- كفاك هذراً يا حُران!!! إنك تهول الأمر.. التفت إلى موان التي انزوت في أحد أركان الغرفة وهي تداعب ماونتي بعد أن أحست بالغربة الشديدة بين ثلاثتهم..
- ستظن الملكة بهذا الحديث أن زوجها غير مبالٍ بسلامته.. انتبه الاثنان إلى وجودها في الغرفة وهو ما قصده رُهان.. فقال حُران في ارتباك:
- مولاتي.. عذراً لم ننتبه لوجودك.. انحنى لها فابتسمت في رقة وهي تقول:
- لا داعي للاعتذار أيها الوزير.. أهلاً بك وبالأميرة ليما.. سارت حتى وصلت إلى حيث يرقد رُهان وقالت وهي تبسم
- كنت أهم بالرحيل قبل دخولكما، ولكنني أحببت أن ألقى عليكما التحية.. سوف أترككم الآن لأنني بحاجة إلى الراحة.. أعلم أن رُهان سيجد من يؤنسه هذه الليلة.. ابتسمت في خفوت ثم التفتت إلى رُهان وسألته دون أن تنظر إلى عينيه:

- تصبح على خير يا مولاي.. تعمدت أن تناديه مولاي..
أرادت أن تضع هذه المسافة بينهما بعد أن أذاها قربه..

- تصبحين على خير.. كانت نبرته باردة موحشة وتحاشى النظر إليها.. بعد أن اطمئن حُران لخروجها وابتعادها أسرع يسأل صاحبه بصوته الصاخب المعتاد:

- ما الأمر؟ خلتكما على وفاق الآن حتى إن كل القصر يتحدث بهذا..

- إننا على وفاق.. ولكنها مشادة عابرة..

- لا تبدو عابرة... لماذا ما زالت تنام موان في غير غرفتك؟
رفعت لهما حاجبها دهشة وأردفت:

- أهذه رغبتها؟

- أخبريني أنت يا لهما؟ لماذا قد ترغب زوجة في ذلك؟

- آه.. أظن.. أعني أنه يمكن.. تلجلجت لهما وأرادت التملص من الإجابة ثم أردفت وهي تبسم:

- وما أدراني يا مولاي؟

- نعم.. صحيح.. كان تلجلجها وخرجها أبلغ إجابة لسؤاله.. زفر بقوة واندفع حُران قائلاً:

- أعطها وقتاً حتى تأنسك.. تحب أن تشعر النساء بأنهن مرغوبات.. نظر إلي لهما موبخاً وطالباً منها دعمه..



- نعم.. ربما.. أضافت في خفوت:

- بعد كل ما فعلته!! أشعر بالتعب وأريد النوم.. حُران أخبر سلوان غداً عندما تلقاه في التقرير الصباحي أنني أريد مقابله بعد أن تأتيني مباشرة.. وذلك أن حُران كان يأتيه يومياً بعد التقرير الصباحي ليطلعه على آخر المستجدات في شؤون المملكة وينقل توجيهاته وأوامره لباقي المجلس..

- أمرك يا مولاي.. بعد أن خرجا سمعه يوبخ ليما بصوته الصاخب الذي مهما حاول أن يخفضه يبقى مسموعاً:

- ما أدراني؟! ألم تجدي ردًا أفضل؟ لم يسمع رد ليما.. تنهد في أسى وفكر أن هذا الليل سيكون الأطول والأقسى عليه منذ عاد.. ظل يتقلب في فراشه وهو يشعر بالحرارة تنبعث من جسده فتحرق قلبه على الرغم من برودة الجو وإخماده للنيران في غرفته بعد مغادرة ضيوفه.. لا يدري أتك نار جرحه أم نار شوقه لموان أم غضبه المستعر منها؟ عندما أيقن أن النوم أبعد ما يكون عن عينيه وقلبه.. شعر برغبة عارمة في السباحة في البحيرة المتجمدة دون أن يراه أحدهم ويوبخه كما يوبخون الأطفال.. أزاح الغطاء عنه وأمسك جرحه يضغط عليه حتى لا يوخزه عندما يقف.. كان واثقاً أن السباحة في الماء البارد سيذهب عنه ألم جرحه.. سار في الغرفة بهدوء وتروء.. لكنه عندما اقترب من الباب سمع خطوات وراهه وهمساً محموماً حتى إن ماونتي الذي كان يغط في نومه رفع رأسه من تحت جناحيه ليستطلع الأمر، ولكن ما لبث أن عاد للنوم عندما توقف الهمس.. ولكن رهان ظل مترقباً ساكناً في مكانه لحدسه بقدم أحدهم.. عاد إلى سريره واستلقى عليه مرة أخرى وانتظر في نفاذ صبر لكن عندما لم يحدث شيء

رفع غطاءه بقوة وهب واقفاً غير عابئ بونز جرحه هذه المرة
عندما فُتح الباب:

- رُهان.. إلى أين أنت ذاهب؟ رفعت موان حاجبها في
استياء..

- موان! ألم تقولي إنك ذاهبة للنوم؟ تملص من الإجابة كطفل
ضبط يسرق حلواه المفضلة..

- حاولت أن أنام.. ولكنه جافاني.. ماذا كنت تفعل؟ رُهان
الجو قارس البروده هنا.. تحركت بسرعة وصبت السائل في
الأخاديد فاشتعلت النيران البنفسجية وأحاطت بالغرفة كلها

- شعرت بالحدري في ساقى فأردت أن أتمشى قليلاً.. في الغرفة..
أضاف الزيادة الأخيرة حتى يهرب من التوبيخ.. نظرت إليه
متفحصة وكررت:

- في الغرفة؟.. حقا؟!.. حقاً إنني لا أفهم لماذا لا توجد مدفأة
ضخمة في غرفتك كما في غرفتي؟ لا بد من بناء واحدة أكبر.. فجو
الغرفة شديد البرودة..

- أحب البرد كما تعرفين.. ولكني سأمرهم غداً بتوسيع المدفأة
في أسرع وقت.. ابتسم لها في لطف..

- تعال إلى سريرك.. أخذت بيده ومشى معها طائعاً وقد نسي
كل شيء عن رغبته في السباحة.. بعد أن دثرته بالأغطية على
الرغم من تدمره.. أمسكت بكفيه الدافئتين وأحاطتهما بكفياها
الباردتين على الدوام.. ظلت تضغط على كفيه في عصبية محاولة
استجماع شتات نفسها المبعثرة وتكلمت أخيراً ببطء:

- رُهان.. كان يجب أن أصرحك منذ أن أحسست بوجود مشكلة ولكنني جنت وخفت..

- خفت من ماذا؟ مني؟!

- من ألا تتقبلني...

- ليس لدي هذا الخيار يا حبيبتي.. الأمر ليس بيدي.. فأنا أحبك كثيراً يا موان.. لا أستطيع سوى أن أتقبلك وأحبك وأعشقتك.. غير هذا لا أعرفه معك.. ارتاحت قسماات وجهها المتعبة والخائفة..

- رُهان.. لقد كان الأمر قاسياً ومخزياً.. امتلأت عيناها بالدموع وأردفت:

- ليس لك أن تتخيل.. كان عذاباً وحيماً.. فهم رُهان ما ترمي إليه لم يشأ أن يقاطعها وسحب كفيه وأحاط هو كفيها بين كفيه وعلى الرغم من أنه يعلم أن القادم سيجرحه جرحاً بالغاً فإنه أرادها أن تعلم أنه مستعد لسماع كل شيء من أجلها.. من أجل أن تشفى جراح قلبها وتدمي قلبه هو..

- كنت لا أجد ملجأً يحميني منه ومن استباحته لي وتعذيبه.. كنت أبكي ليلاً وحدي حتى أبلل وسادتي وأشعر بالخزي والعار بملائي.. أنتفض إذا سمعت خشخشة ليلاً خوفاً أن يكون هو.. أمتهن وأستباح في أية لحظة.. آسفه إن كان قدرك أن تحب امرأة يمتلئ ماضيها بكل هذا الألم.. ولكن هذا الألم جزء مني لا أستطيع أن أتخلص منه.. يجب أن أتعاش مع كل يوم.. كلما تقترب مني تعود لي الذكرى.. فأنا لا أعرف غيرها.. ساحني..



ليتني أستطيع أن أتخلص من كل هذا الألم والعبء.. لن ألومك إن أردت أن تفكر.. كانت دموعها لا تتوقف في أثناء حديثها، احتضنها وهو يتمتم:

- ساحيني أنت.. لم استطع حمايتك.. سنتخطى هذا الألم معاً..
ساحيني أنني لم أكن هناك لأحميك.. يا رباه..

- لم أعد أتحمل يا رهان.. أصبح الألم فوق طاقتي.. فكرت في إنهاء حياتي البائسة أكثر من مرة.. كانت تشق و اتسعت عيناها العسلتان مستغيثة به كالغريق الذي يتعلق بقشة للنجاة..

- سأكون دائماً بجانبك لا تخافي.. تعالي في حضني واهمني لي بما في قلبك من لوعة وسأنسبك إياه.. سأبقى إلى جوارك ولن أتخلي عنك يا حلوتي.. ابتسم في خفوت.. أو أخبرك أمراً قد تجربته من قبل كثيراً وأفلح معي.. أومات برأسها..

- قولي يا من خلقتني ووهبت لي الحياة أغثني.. أغثني من الألم والظلام..

- استنجدت به ولم يسمعني.. أنا لا أعرفه يا رهان..

- حبيبتي أولم يرسلني إليك لأنقذك من هذا الوغد؟ أولم يكن قمة الغباء والحمق منه أن يأتي بك هنا ظناً منه أنه قادر على إخفائك تحت أنفي؟

- ولكن.. كيف تعرف من خلقك؟

- هو إله واحد لا شريك له.. أرسل رسله في كل القرى والأمصار التي نزلت بها يدعون بدعوة واحدة أن لا إله إلا

هو خالق كل شيء ورب كل شيء... خلقنا ثم يميتنا ثم يبعثنا
لنحاسب على ما قدمناه في هذه الدنيا.

- تؤمن بالبعث والحساب؟ ولكن قومك...

- نعم أو من به.. وهل يعقل ألا يُجازى الناس على أفعالهم؟ هل
يعقل أن يستوي الصالح والطالح؟ يا ليت قومي يعلمون يا موان..
إن كان أمر مملكتي لا يستقيم إلا إذا علم الجميع بأنه محاسب فما
بالك بملك الملوك!؟

- إذا كنت ترى هذا الحق، فالزمهم به.. أنت مليكهم..

- نحن ندعو إلى الله ثم كلُّ يختار طريقه يا حبيبتي.. لا نُلزم
أحدًا بالإيمان.. لقد خلقنا الله أحرارًا نعمل ما نشاء في هذه
الدنيا ولذلك سنحاسب يا موان.. كل ما على أن أدعو إلى الله ثم
فطرتهم تقودهم إلى إله واحد لا شريك له..

- جميل أن يترك كل إنسان حراً فيما يعتقد.. جميل أن يقرر
الإنسان مواقفه وقناعاته لا أن يجبر على حياة لا يريد.. تفرقت
الدموع في عينيها ونزلت سخينة على وجهها.. مسح بيديه الدمع
العزيز عليه وأمسك وجهها المحمر من شدة البكاء بين يديه..

- حبيبتي فقط أعطيني فرصة لأصنع لك ذكريات سعيدة
تنسيك كل هذا الألم..

- يا لك من مغرور.. تبدو واثقًا!! قالتها في غنج ودلال..

- اسألي عني!! ضحك في زهو ردت عليه بوكزة في صدره
ورفعت حاجبها مستنكرة..



- من؟

- الطير.. من غيره؟ ضحك ملء شذقيه ليغیظها..

- يبدو أنك ستنتظر طويلاً لتصنع ذكرياتك السعيدة يا مولاي..
أصبحت على وجهها نظرة شريرة مستمتعة ثم استطردت وهي
تهم واقفة لتغادر:

- هل تريد شيئاً؟.. فجذبها إليه بقوة حتى سقطت فوقه وهي
تضحك:

- أريد أن أسعدك يا موان.. أن أجعلك ملكة قلبي.. فأنت
تملكينه بالفعل.. اعلمي أنني سأنتظرك في صبر -رغم مرارته-
إن أردت البكاء.. فابكِ في حضني.. لا مناص من أن نتألمي،
ولكن يا حبيبي إياك أن نتألمي وحدك دعيني أشاطرك أملك
لعل ذلك يهون ويخفف أملك.. سنتجاوز الأمر معاً بإذن الله يا
مليكتي..

- نعم.. سنتجاوزه معاً بإذن الله يا حبيبي..



لم يكن الأمر سهلاً على رُهان رغم نجاحه في إخفاء تلك الحقيقة عن موان.. قتله تلك الانتفاضة لجسدها عندما تصبح موان في حضنه لأنه يعلم أن ما هي إلا فيض ذكرياتها الأليمة مع رجل آخر.. حيرته خلجاتها لا يدري أهي من فرط النشوة أم هي ذكرى أليمة عابرة.. صار ألمه مضاعفاً تارى يرثى لها وتارة يغار عليها حتى يعجز عن التنفس وأخرى يمتلئ صدره حقداً على هذا الوغد الذي تمنى لو دفنه حياً انتقاماً لها.. ولكنه دفن كل هذا عميقاً في قلبه حتى لا تراه هي فتزداد غمماً لغمه وجلداً لذاتها فيما لم يكن لها فيه حول ولا قوة.. صبر نفسه أنها ستعافى مع الوقت.. كان يعلم أنها تُخفي ألمها هي الأخرى.. يستيقظ ليلاً ليجد وسادتها مبللة بالدموع يكتفي باحتضانها بقوة ويهمس لها بحبه، ويتمنى من الله أن يمنحهما القوة ليتجاوزا معاً هذا الألم.. لكن كل ذلك لم يقلل من سعادته شيئاً.. فكل أمر يهون في عينه ما دامت موان بقربه، وفي حضنه.. عندما يستيقظ كل يوم ليجدها نائمة بجواره يكاد عقله يجن وقلبه ينخلع.. بعد كل هذا العناء والفراق والشقاق ها هي حبيبته بجانبه تغفو وشعرها الأسود المبعثر ينتشر على صدره.. فأى سعادة تلك!

فتحت عينها العسليتين في كسل:

- ألا يزال الوقت باكراً يا رُهان؟ سألته وهي تنظر إلى السماء ذات اللون البرتقالي الخفيف للفجر بعد أن أحست بحركته الخفيفة

- حُران يريد الاجتماع معي اليوم قبل المجلس الصباحي لمناقشة

بعض الأمور المهمة.. انحنى وقبل وجنتها وهي نائمة في الفراش
واستطرد:

- عودي إلى نومك، ولكن لا تنسي عندما تستيقظين ستجدين
من يعشق كل ذرة فيك.. يعشق أنفاسك وضحكك وبكاك وألمك
وسعادتك ولا يرويه شيء مثل ريق منك يا موان.. إياك أن
تحرمني منك.. كان يميل برأسه على رأسها فأحست بدمعه الذي
تساقط على وجهها.. أحس بها ليلة أمس وهي تبكي وحيدة
وكانت تظن أنه نائم.. لم يشأ ساعتها أن يقتحم خلوتها فاحتضنها
بقوة، وهو يتظاهر بالنوم وهمس لها بحبه.. أضناه أن تكون بجانبه
وتعذب..

- أحبك يا رهان.. أنت أجمل شيء حدث لي..

- سأذهب يا حلوتي.. قبل أن يغادر دثرها بالأغطية وزكى
النيران في الأخاديد والمدفأة التي وسعت حديثاً بناءً على أوامره ثم
ألقي إليها نظرة أخيرة قبل أن يغادر لعل ذلك يشبع نفسه الجائعة
إليها دوماً.

انطلق في طريقه وهو يشعر بالبشر.. ذلك الحلم الذي تمناه أصبح
حقيقة الآن.. عندما وصل إلى قاعة الحكم وجد أن حران في
انتظاره بالفعل.. استقبله بابتسامة دافئة ثم شرعا في مناقشة كثير
من الأمور العالقة قبل عرضها على مجلس الحكماء.. استمرا على
هذه الحال حتى ارتفعت الشمس في السماء.. بدا حران لعيني
صاحبه على غير عادته المرحة.. فعلى الرغم من محاولته الظهور
طبيعياً أحس رهان بأن هناك ما يشغل باله ويؤرقه..

- يكفي هذا لليوم يا حران.. أقل من ساعة وينعقد المجلس..



أخبرني كيف حال لهما الآن؟ هل ما زال الخلاف بينها وبين إسفيلس قائماً؟

- أظن أن الأمور أهدأ بينهما.. إنها لا تحب التحدث عن خلافهما كثيراً.. لذلك لا أزعجها بالسؤال.. ولكنها أخبرتني أن الأمور أفضل وأن مكثها في سينامجنين يسمح لها بالتفكير بشكل أفضل.. تفحصه رهان بعينه الحادثين وسأله:

- إذا في أي شيء تتحدثان كل هذا الوقت؟ ثم ضحك واستطرد:

- ألم تخبرها بعد يا صاحبي؟ بالفت في كتمان الأمر.. كان رهان يعجب لأمر حران.. فعلى الرغم من جرأة الوزير وشجاعته وثقته بنفسه فهو يرى في عينيه دائماً الخوف والرهبة عندما يتعلق الأمر بليما.. فاستطرد:

- تظن نفسك خبيراً في كتمان ذلك، ولكن عينيك تفضحك يا صديقي.. استجمع شجاعته وأخبرها بالأمر قبل فوات الأوان.. ولكن قبل أن يجيبه حران سمعا جلبة في الخارج.. صرخات استجداء وصياح ثم طُرق الباب واستأذن أحد الجنود للدخول فأذن له.. بعد أن أدى التحية للرجلين.. وقف أمام الملك وقد بدا عليه الضيق والتردد وكأنه يخشى ما سيقوله:

- مولاي.. وفقاً لتعليمات الوزير حران فإن بعضاً ممن في القصر يخضعون للمراقبة الصارمة منذ فترة.. كان رهان على علم بذلك منذ أن قبض حران على الرسالة الغامضة وهو يجري تحقيقات واسعة.. سكت الجندي فاستحته الملك:

- ما الأمر يا تمفر؟ كان تمفر جندياً في الحرس الملكي، يتميز بالذكاء ولكنه يميل إلى التباطؤ والتمهل في كل شيء.. في حديثه..

في سيره وكان لديه عادة مط الكلام مطًا درامياً مما كان يزج
الملك..

- مولاي.. شكنا في تحركات خادمة في القصر، فتبعناها منذ
فترة واليوم ضبطت في أحد الأكواخ مع عشيق لها.. سكت ثانية
ثم أردف بعد أن حدجه رُهان بنظرة لنفاذ صبره:

- تبين أنها من جوارى الملك..

ضيق رُهان عينيه وأحس بوخزة في صدره.. جوارى الملك!!
إذا فهي امرأة قد نامت في أحضانه يوماً ما.

- قدموهما للمحاكمة يا تمفر.. أشار إليه بيديه وقد جعد جبينه
غضباً وازدراءً..

- للأسف يا مولاي لقد هرب الرجل.. اكفهر وجه الملك
وأصبح محتقناً بالدماء الآن..

- تمفر.. تمفر.. ابحث عنه أنت ورجالك حتى تجده.. هيا اذهب
الآن.. ولا تزعجني بأمر كهذه ثانية..

- ولكن يا مولاي يجب أن نتحقق من الأمر.. قد يكون له
علاقة بأمر الرسائل.. بدا على وجه حُران الاهتمام..

- قد يكون ذلك صحيحاً.. تولى الأمر يا حُران وحقق فيه..

- ولكن يا مولاي أريد أن.. قاطعه رُهان في نفاذ صبره:

- قلت لك سيتولى الوزير حُران التحقيق في الأمر.. هيا اذهب

الآن يا تمفر.. عندما خرج ساد الصمت في الغرفة قطعه رُهان
قائلاً:

- حُران.. نُب عني في المجلس اليوم.. لقد عكر هذا التمفر
مزاجي.. قالها في حنق

عندما خرج وجد أن تمفر ما زال واقفاً مع بعض الجنود يعطيهم
تعليماته وتنامى إلى سماعه ذلك النسيج المكتوم من الجارية..
كاد يمضي في طريقه متجاهلاً كل هذا لغضبه الشديد.. لولا أنه
لمح ذلك الشعر الأحمر المجدد الذي يشبه ألسنة اللهب.. نظر إلى
صاحبة الشعر مصعوقاً..

- راما!!

كانت تغطي وجهها بيديها منتحبة وعندما سمعت صوته رفعت
إليه عينين محمرتين حتى صارتا في مثل لون شعرها، وقد ملأهما
الرعب والفرع.. اقترب منها حتى أصبح على بعد خطوات منها،
وقد خيم الصمت على الجميع، وخرج حُران من القاعة إثر صياحه
غاضباً، وكان عدد من الوزراء والحكام في طريقهم إلى القاعة
فوقفوا مدهوشين لصياح الملك وغضبه الشديد، وهم لا يستوعبون
شيئاً مما يحدث..

- مولاي.. أرجوك..

جاء صوتها ضعيفاً مبحوحاً وأخذت تهز رأسها بعنف، لكن
قبل أن تكمل هوى بكفه على وجهها، فسقطت أرضاً وهي
تنتحب نحيباً شديداً تردد صدهاء في أنحاء القلعة..

- رهااان.. رهااان..



جاءه الصوت من ورائه، ولكنه لم يلتفت حتى إنه يكاد يكون قد سمعه.. وخلال لحظات وجدها تقف بينه وبين راما الواقعة على الأرض.. حلق فيها والشرر يتطاير من عينيه صائحا:

- موان!!.. ماذا تفعلين هنا؟

- رهان.. أرجوك..

- كيف عرفت؟ إنها خائنة؟ ما الذي جاء بالملكة هنا؟

كان يتلفت حوله وكأنه لا يعرف من يجب أن يسأل، وبدا كلامه أقرب إلى الهديان..

- بالله يا مولاي.. لقد أرسلت لي راما طائراً.. اهدأ..

- لماذا تقفين هنا؟ إنها خائنة!! لا ينبغي للملكة أن تدافع عن الخونة..

- رهان.. أرجوك اهدأ..

هز رأسه في غضب غير مصدق ثم قال وهو يصير من بين أسنانه بصوت خفيض:

- اتبعيني..

انطلق لا يلوي على شيء كالسهم.. ظل الجمع مدهوشاً لحظات ثم استجمعوا شتاتهم وتفرقوا كل لمقصده وفي جعبتهم الكثير مما سيحكي في ردهات القصر أياماً وربما أسابيع..



التفتت موان إلى راما الباكية المنتحبة على الأرض، ونزلت إليها
وعيناها تفيض بالدموع حزناً..

- لماذا يا راما؟ لماذا فعلت هذا؟ لقد أعطيتك وعداً من قبل..

- مولاتي..

صار نحيبها عويلاً ولم تبين موان كلماتها.. اقترب أحد الحراس
منها وسحبها بعنف فنظرت إليه موان بحدة:

- ارفع يدك عنها أيها الجندي.. مازلت أتحدث إليها..

- عذراً صاحبة الجلالة..

تراجع الجندي وانزوي بعيداً أمام نظرات الملكة المتوعدة
والمحذرة.. أعادت موان نظرها إلى المسكينة المنتحبة المتكومة على
نفسها..

- مولاتي.. أرجوك لا تتخلي عني.. سوف يعدمونني..
ساعديني..

- سأبذل ما في وسعي يا راما.. ولكن الأمر...

ربتت عليها وحاولت تهدئتها، ولكنها علمت يقيناً أن الأمر في
غاية الصعوبة.. وقفت لتغادر فتعلقت راما بأطراف ثوبها وهي
تنتحب وتقطع نياط قلب موان.. أغلقت موان عينيها تحبس
دموعها التي لا تتوقف ثم انخفضت لتربت على شعرها الأحمر..

- ليغفر الله لك يا راما.. وليلهم الملك الغفران والعفو..

التفتت إلى الحراس تحذرهم بلهجة شديدة..

- أحسنوا إليها وارفعوا عنها أيديكم..

غادرت وهي لا تعرف كيف يمكن أن تساعدنا بعد هذه
الفعلة الشنيعة، ولكنها كانت مصممة على حمايتها ومساعدتها رغم
كل شيء كما وعدتها من قبل..

* * *

عندما دخلت الغرفة.. وجدت رُهان مستلقياً على ظهره على
أحد الوسائد المفروشة على الأرض التي توجد فوق جلسة ترتفع
عن باقي الغرفة ثلاثة أقدام مكونة جلسة مريحة خاصة من
الوسائد الحمراء والزرقاء والخضراء.. أخذت نفساً عميقاً وتوجهت
إلى حيث يرقد.. كانت عيناه مغمضتين ويشبك أصابع يديه
واضعاً إياها على صدره ومحرّكاً إبهاميه في حركة دائرية سريعة..
جلست بجانبه يفصل بينهما وسادتين.. شعر بها ولكنه لم يحرك
سائناً..

- رُهان...

- لماذا جئت إلى هناك؟

- لقد استغاثت بي.. اعتدل في جلسته وعلا صوته قليلاً في
غضب مكتوم..

- تدافعين عن خائنة.. أي ملكة التي تفعل هذا؟ أخبريني..



- رُهان.. اسمعني..

- هل تعلمين أن القصر كله سيتكلم عن هذا؟

أحست أن شرراً يخرج من عينيه المفتوحتين على اتساعهما..
ازدردت ريقها في صعوبة.. فاستطرد:

- عن الملكة التي تقرب منها خائنة؟ وتناصرها وتدافع عنها.. هل
تعلمين ماذا يجعلك هذا؟

فرغ الغضب والإحباط الذي يشعر بهما في وجهها..

- لا يهمني..

- ولكنه يهمني! يهمني كثيراً..

ظنت أن القصر كله قد سمع صرخته تلك.. استجمعت شجاعته
وصاحت فيه:

- حري بك أن يهملك ويضنيك أن تموت فتاة بسببك أيها
الملك.. هذا ما يجب أن تغتم من أجله..

- أي هراء هذا؟! سموت لأنها خانت من أحسن إليها..

قطب جبينه وجعد وجهه في ازدراء..

- ألم تفكر لحظة في هذه الفتاة؟ التي حرمت من أبسط حقوقها
سيقت كالذبيحة التي تؤكل إلى ملك لا يهتم بها ولا يريد لها، وحرم

عليها الزواج وحرمت أن تكون لها عائلة وأن تحمل أطفالها؟ تُحرم
من أن تكون امرأة ثم تُعدم لخيانتها؟! أي خيانة تلك التي تتحدث
عنها؟! ألا ترى الظلم الذي وقع عليها أولاً؟

- ويحك يا موان.. إنك تبررين الخيانة..

قالها وهو يمسك برأسه بقوة ويهزها بعنف ويصر على اسنانه
غيظاً..

- أنا لا أبرر شيئاً.. ما فعلته شنيع، ولكنها لا تستحق الموت يا
رُهان.. أرجوك..

- صه.. لا أريد أن أسمع المزيد.. اصمتي..

أدار ظهره لها وسار باتجاه الباب..

- رهااان.. لقد أعطيتها وعداً قبل هذا.. بأني سأحميها
وأحررها.. التفت لها مستنكراً:

- أو كنت تعلمين بأمر خيانتها؟!!

- أقسم لك ما كنت أعلم بهذا الأمر إطلاقاً.. غير أنها تحدثت
معي بأنها تحلم بحياة طبيعية تتزوج وتنجب ويصبح لها بيتاً..
أقسم لك ما ظننت يوماً أنها تعرف أحداً.. صدقني.. هز رأسه
وأمسكها بين يديه وكأنه يحاول أن يمنعها من الانفجار من شدة
الغضب وهو يتم بما لا تفهمه..

- رُهان.. لا تحنث بوعدتي.. أرجوك يا مولاي



- لا وعود للخائنين.. هي من حنثت.. لا تتحدثي في هذا الأمر
ثانية..

- رهااان.. بالله عليك.. العفو يا مولاي.. فاضت عيناها
بالدموع، واتجهت إليه ولكنه أدار ظهره لها وغادر سريعاً بعد أن
صفق الباب بكل قوته.

عندما عاد ليلاً كان الوقت متأخراً عما اعتاده.. ظلت موان
تنتظره آملة في أن يكون أهدأ من الصباح فيلين لها في الحديث..
أنبأها وجهه الصارم عندما دخل الغرفة أن أملها راح سدى،
تحاشى النظر إليها وخلع ملابسه وتوجه إلى السرير لينام وكأنها غير
موجودة معه بالغرفة.. تصاعد الغضب داخلها وأرادت الحديث
معه، ولكن تملكها العند فأدارت له ظهرها هي الأخرى..
ونام كل منهما بجانب الآخر مديراً له ظهره ولائماً الآخر على
هذا الصدع.. هي تفكر كيف يعاملها وكأنها شاركت راما في
ذنبها.. ولا تفهم كيف لا يشفق على حال الفتاة المسكينة التي
حرمت من كل حقوقها؟ كيف لا يرى سوى ألمه من الخيانة
ويرثى لنفسه دون أن يرى آلام من حوله؟!.. أما هو فأخذت
تحدثه نفسه أنه لا يستطيع أن يغفر لها دفاعها عن الخيانة.. بل
لا يستطيع أن يغفر لها حبها لراما الذي يظهر في كل كلمة تقولها
على الرغم من جريمتها النكراء.. كيف ترثى لها؟ ويغلبه شيطانه
فيلقي سؤالاً في قلبه ينتفض له جسده كله «هل يمكن أن تفعل
مثلها؟ ألا تدافع عن خائنة وتناصرها؟» فيختلس النظر إليها دون
أن تشعر وينسل خنجراً في قلبه يدميه ويعميه.. في الصباح عندما
استيقظت موان بعد ليلة طويلة من النوم المتقطع السيئ كانت
في حالة استنفار وغضب.. كان رهان يرتدي ملابسه استعداداً
للخروج..

- رُهان.. نادته من تحت أغطيتها.. استمر في ارتداء ملابسه ثم
رد في برود:

- موان.. إنني لن أتحدث في أمر رامان..

- ولكنني أريد التحدث.. ظل صامتاً واستمر في تزيير قميصه..

- عندما أعود ليلاً قد أسمع ما تريدون قوله على الرغم من أنني
لا أعلم شيئاً تقولينه قد يغير من رأيي في هذا الأمر.. أغضبته
تلك النبوة الباردة في صوته التي تحسم الأمر..

- رُهان.. أريد التحدث الآن.. نفضت عنها الأغطية واعتدلت
في السرير وبدأ عليها الثورة وكانت عينها تشي بتصميم يعرفه.. ظل
واجماً لحظات ثم جلس على إحدى الأرائك ومد ساقه أمامه
وتحدث في هدوء:

- ها أنا أسمعك يا موان.. ماذا تريدون؟.. اربكها التغير المفاجئ
لخطته فسدت شعرها بيدها في حركة عصبية واستجمعت شتاتها
واختارت الوضوح:

- لا تقتلها..

- هذا ليس من شأنك.. إنه القانون..

- إنه قانونك أنت يا رُهان..

- إنه قانون سينامجنين..

- ألا تخاف الله؟



- إن الله لا يرضى بالخيانة..

- ولا يرضى بالظلم.. ويغفر ويعفو.. أليس هذا كلامك!؟

- لست الله يا موان..

- إذا ما تردده وما علمتنيه لا ينطبق عليك.. مجرد كلام..
سيحاسبك الله إن أزهقت روحاً بغير وجه حق..

- من قرر أنه بغير وجه حق.. أنتِ!؟!

- اغفريا رهان.. لم تشأ أن تدخل الآن في نقاش عن مدى
عدالة وضع راما ومن مثلها.

- لا أستطيع.. عندها تنهدت بقوة وأغلقت عينيها، فكرت كثيراً
في الليل فيما ستقول والذي لا تعلم عاقبته..

- لن أترك راما تذهب إلى حتفها وأشهد مكتوفة الأيدي..

- ماذا؟ وماذا يعني هذا؟ قطب جبينه غاضباً..

- إن ماتت راما سأموت معها.. كانت تعلم أنها تتعدى كل
الحدود وتراهن على حبه لها، ولكنها أيضاً كانت تعني تهديدها
تماماً وقادرة على إنفاذه.. كانت فرصتها الوحيدة.. قام واقفاً وقد
خلا وجهه من أية مشاعر محققاً فيها.. كان يعلم أنها تلوي ذراعه
وقد ملأه هذا غضباً ليس لأنها فقط تستغل نقطة ضعفه، ولكن
لأنه يعلم تماماً أنه سيغلب في هذا المضمار حتى وإن لم تكن جادة
في تهديدها.. فبتهديدها هذا تجرده من كل قوته وجبروته.. وبكلمة

واحدة تتحداه.. كان كبرياؤه يصرخ فيه ألا تقبل تهديدها وألقه في وجهها وأخبرها أن تفعل إن شاءت!! لكنه لم يستطع سوى أن تخور قواه تحت هذا القناع البارد العقيم حتى وإن لم تكن ما تقول حقًا.. ظل كل منهما يحدق في الآخر وبدا التصميم في عينيها العسليتين الواسعتين.. هز رأسه مدهوشًا من التصميم الذي يظهر فيهما.. يكاد يراها وهي تنفذ تهديدها غير عابئة بهذه الحياة التي آلتها أغلب أيامها التي تذكرها.. أهذه الدرجة تصميمين على حماية من تحبين يا موان ونصرة من تظنينه مظلومًا؟ أهذه الدرجة لا يستطيع قلبك أن يتحمل الظلم؟ سار حتى وصل إلى باب الغرفة ووضع يده على المقبض وقبل أن يديره التفت إليها قائلاً في لهجة باردة:

- سيعفى عنها كما تشائين يا ملكة سينامجنين.. ولكني أتساءل إن كنت سأغفر لك يوماً هذا التهديد؟ أو أغفر لنفسي ضعفي أمامك؟ أدار المقبض واختفى سريعاً، وانفجرت موان باكياً.

* * *



مرت الأيام التالية وموان تحاول تلطيف الجو بينها وبين رُهان، لكنه كان صليداً لا يلين.. على الرغم من أنه أنفذ مشيئتها فإنه ظل غاضباً.. عندما عاد يومها في الليل أكد لها في برود أن راما ستُنقى خارج سيناجنين، ولكنها ستكون في أمان ولن تُمس بسوء في تلك البلاد البعيدة.. ورفض إخبارها إلى أين ستذهب كما رفض رفضاً قاطعاً أن تودعها.. عذرتة في كل هذا فكرت أن الأمر كله صعب عليه بحق.. الخيانة ثم تراجعته عن قراره بترك راما التي تستحق الموت من وجهة نظره رغماً عنه بسبب تهديدها.. كرهت أنها استغلت حبه لها بهذا الشكل، ولكنها ما كانت لتترك راما لحتفها وفي يدها شيئاً تفعله لإنقاذها.. تجنبها في الفراش.. حاولت إغواءه لكنها لم تنجح.. اكتفت بأن نامت في حضنه وأسعدتها أنه بعد أن غط في نومه حضنها بقوة دون أن يدري همست له وهي نصف نائمة (لا تُفَلتني) فأجابها سريعاً وهو نائم (الموت أهون).. عندما استيقظ صباحاً لم يكن يذكر شيئاً سوى شوقه الشديد لها الذي كبحه غيظاً منها وكمداً.. بعد ثلاث ليالٍ عجاف لا يلين لها وبعد أن وصل شوقه لها مداه أذعن لرغبته الشديدة فيها.. استيقظ ليلاً بعد أن نام مجافياً إياها كما في الليالي السابقة.. نظر إليها وهي تنام بجانبه وشعرها الأسود ينتشر حولها كانت كل ذرة في جسده تريد احتضانها والغوص فيها.. اقترب منها ودفن وجهه في شعرها وهمس في أذنها:

- أحبك يا موان.. لا تعلين كم كنت وما زلت غاضباً.. ولكني لا أقوى على البعد عنك.. سامحك الله.. أتهدديني بجرماني منك ثانية؟! لقد قتلتي مجرد الكلمات.. إن كانت الخيانة قاسية فقولك هذا كان أقسى وأعتى.. لك عذرك فهما قلت

لك لن تتخيلي كم أحبك يا حلوتي.. شعرت بدموعه على وجهها
وأنفاسه تشعل كل ذرة في جسدها..

- رُهان.. حبيبي.. لم يكن بيدي.. آسفة لكل ما حدث..
ولكني لم أستطع.. لم أستطع أن أتركها تلقى حتفها.. آسفة
لأنني أغضبتك.. آسفة لأن هذا يحدث... لأن هذا يحدث لك..
تقطعت كلماتها وأنفاسها بفعل بكائها وعلا صدرها في نشجة
مكتومة أكثر من مرة وهي تتكلم.. دفن رأسها في صدره كي
يُهدئ بكائها المحموم..

- صه.. اهدئي يا حلوة.. عديني ألا تقولها ثانية.. لا تقتليني
يا موان.. كنت ميتاً قبلك وإن ضعت مني ثانية... انفجر باكياً
كالطفل وأمسك رأسها بين يديه بقوة وهزها هزة خفيفة واتسعت
عيناه السوداءوان تحت حاجبيه العريضين في فزع ثم أردف:

- لن أتحمل هذه المرة..

- أعدك أن أبقى لك ومعك حتى آخر نفس لي يا رُهان.. ضمها
إلى صدره..

- مهما أتعبتك الحياة سيبقى صدري لك جنة تأوين إليها..
تذكرني ذلك في أحلك الأوقات.. أنا هنا من أجلك يا حلوتي دائماً
وأبداً بإذن الله.. نامت على صدره وهو يداعب خصلات شعرها
أدهشها كيف أنه أغفل تماماً أمر راما ولم يعرج عليه.. كان
أكثر ما أهمه وأحزنه تفكيرها في إنهاء حياتها.. أنساه ذلك كل
ما يتعلق براما.. حتى إنه لم يعاتبها أو يعنفها على ما فعلت.. أمنها
وسلامتها كانا أولوية له ووضعت قبل حظ نفسه.. لم تعرف حباً
مثل هذا الذي أحاطها به رُهان.. إنها تحبه حتى إنها تخشى



من ذلك الحب أحياناً.. ذلك الحب الطاغي الذي يحيطها به من كل اتجاه في كل كلمة وهمسة.. تفكر أحياناً ماذا إن ملها؟ إن استيقظ يوماً لا يريد لها وانتهى حبه لها.. كم يرهقها ويعذبها التفكير بهذا الشكل!.. لم تسع إلى حب رُهان لها بل تفضل هو به عليها فأغرقها به.. يا الله احفظ لي حبه ولا تغيره.. أنت وهبته لي فأبقه لي محباً دافئاً مخلصاً.. تهدت محاولة طمأنة نفسها.. توقفت يده عن مداعبة خصلات شعرها تطلعت إليه فإذا به قد استغرق في النوم كالطفل الصغير.. علمت أنه كان يتصنع النوم في الليالي السابقة خلال خصامهما.. أسعدها ذلك وطبعت قبلة هادئة على شفثيه فتملهل في نومته، وتقلب على جانبه محتضناً إياها بقوة وهمس لها:

- لا تركيني.. ابتسمت في خفوت وفكرت أنها هي من تخاف
الترك والهجر..

- لن أتركك..

جلست على حافة البحيرة المتجمدة تشاهد الشمس البرتقالية وهي تصعد رويداً رويداً.. كان الوقت فجرًا ولكن رُهان أصر على السباحة فصحبته إلى هناك.. كانت البحيرة تقع في غابة لينودام الساحرة ولذلك كانت طبقة الثلج التي تغطيها رقيقة لأن الثلج لا يقع في الغابة.. يحيط بها كثير من الأشجار، ولكن أجملها كان شجر الكيوان بأوراقه الذهبية الجميلة وأزهارها الوردية التي يتدلى بعض أغصانها لتصل إلى أرض الغابة.. حتى الأرض الترابية للغابة تلمع وبتلألأ وكأنها تحوي بين ثراها ذرات ذهبية تلمع.. أمسكت بحفنة متلألئة في يديها وفكرت كم هي جميلة لينودام.. شخصت ببصرها إلى حيث يسبح رُهان، وتساءلت كيف يتحمل مثل هذه البرودة القاتلة بل ويستمتع بها أيضاً! شاهدته

وهو يلعب ويعبث مع ماونتي ويتسابقان.. كان ماونتي طائراً ضخماً يغطي الريش الأسود كل جسده إلا رأسه التي يزينها ريش منفوش ثلجي يمتد في خيط رفيع حتى ذيله.. يصل طول جناحه مفروداً قرابة الذراعين وكان قويا لدرجة أنه يستطيع حمل رُهان عدة أقدام ثم يلقيه مرة أخرى في الماء.. ناداها رُهان بصوت عال من منتصف البحيرة:

- موان الماء ليس بارداً كما تتخيلين.. هلا سبحت معنا؟ سبح تجاهها حيث تجلس..

- حبيبي لكل منا تعريفه الخاص لما هو (بارد) يختلف عن الآخر.. جعدت وجهها ساخرة.. كان قد وصل إلى حافة البحيرة..

- كيف تتحمل هذا؟

- اعتدت ذلك منذ الصغر.. خرج من الماء ونفض عنه الماء وكذلك فعل ماونتي..

- ماونتي.. كفى.. إنك تبللني.. نظر إليها الطائر معتذراً وابتعد لينفض عنه باقي الماء..

- إنك تتقدمين سريعاً في لغة الطير.. نفض الماء عن شعره بقوة كما تفعل القطط تماماً حتى أصبح جافاً..

- رُهان.. كيف تفعل هذا مثل القطط؟ ضحكت متعجبة

- وأتسلق الأشجار كالقروود.. وأتسلل كالأفاعي.. تحرك بخفة حتى جلس وراءها وقربها إليه وأحاطها بذراعيه حتى أصبح

ظهرها ملاصقاً لصدره فقبلها في رقبته بركة..

- إنني أحاول إبهارك..

- أنت تفعل كل يوم.. وكل ساعة..

- موان.. أريد أن أخبرك بشيء.. لوت رأسها إليه في اهتمام،
تهد وسكت وكأن ما سيقوله عبثاً ثقيلاً:

- يجب أن أسافر بعض الوقت.. أحست بغصة في حلقها
وازدردت ريقها بصعوبة..

- لماذا؟

- سوف أتحرك مع الجيش.. انتزعت نفسها من حضنه
وواجهته:

- ستذهب للحرب ثانية..

- نعم.. يجب أن

- لا.. لا تتركني.. هزت رأسها في عنف..

- يجب أن أذهب.. هذا واجبي..

- إذا خذني معك..

- حبيبتي.. لن يكون آمناً لك أن تأتي.. يجب أن تبقي هنا..



- إن الملوك لا يذهبون للحروب.. إنهم يرسلون القادة ويبقون..

- أنا لا أفعل.. ربما في المستقبل حين أشيخ..

- الوضع تغير الآن.. سابقاً كنت وحدك.. أما الآن.. الآن يا رُهان أنت عالمي.. وضع كفيه على كتفها محاولاً تهدئة روعها وبث الطمأنينة فيها..

- موان اهدئي.. سيكون كل شيء بخير..

- أنت لا تفهم.. من دونك يصبح العالم قاسياً وموحشاً..
فاضت عيناها بالدموع سخينة.. ارتمت في حضنه وأخذ يربت على شعرها ويضمها إليه بقوة..

- هل تظنين أن الأمر سهل عليّ؟ أن أفارقك وأبتعد عنك! لا وربّي ولكنه قدرّي يا موان.. لن أتركك وحيدة.. الوزير سلوان سيكون بجانبك يعاونك في أمور الحكم..

- الحكم؟!!

- نعم.. سوف تنوين عني بمساعدة سلوان..

- ولكنني...

- لا ترهقي نفسك في التفكير والقلق.. إن الأمر سيكون تدريباً لك.

- عدني ألا تخاطر بأمنك وسلامتك..



- أعدك.

- ألا تكون في الصفوف الأولى..

- لا يكون الملوك عادة في الصفوف الأولى.. قالها وهو يخفض رأسه وينظر إليها بطرف عينه..

- فعلتها آخر مرة.. سمعت حُران يقول إنك كنت متهوراً ولم تستمع لتحذيراته..

- آخر مرة! ما لنا وما لآخر مرة يا حلوتي! ألا ترين أن الأمور قد تغيرت كثيراً؟

- بلى.. لذلك كنت أطمع... ترققت الدموع في عينيها فقطاعها برقة:

- اسمعيني يا موان.. أعدك أن أعود إليك سريعاً يا حلوتي.. أحس بأنه لن يتحمل مزيداً من دموعها وهي تسكب من عينيها الجميلتين وضاق صدره لاضطراره للذهاب وتركها خلفه.. قام واقفاً ونظر بعيداً في السماء ولكنه لم يجد لماونتي أي أثر فطلب من أحد الطيور الموجودة على الشجرة البحث عنه.

- هيا بنا.. عندما يعود سيلحق بنا.. ربكا جواديهما وقطعا الغابة في صمت لم يقدر أحدهما على قطعه.. استرق النظر إليها بين الفينة والأخرى، أراحه أنها لم تكن تبكي، ولكنه كان يلمح أثر الدموع الحبيسة في عينيها العسليتين.. لم يجد من الكلمات ما يواسيها.. لو تحدث للعن الحرب وما تفعله ولكنها أدري الناس بأنها أحياناً تكون شراً لا مفر منه.. عندما وصلا إلى القلعه تحجج بأنه يجب أن يقابل سلوان لمناقشته في أمور مهمة، يعلم أنها يمكن أن



تأجل ولكنه أراد أن يهرب من عينيها العابتين الحزينتين.. تلك النظرة التي رآها في عينيها آخر مرة منذ خمس سنوات عندما أخبرها بتأجيل الزفاف ثم ذهب بعدها إلى الحرب أيضاً.. بالله لا تنظري هكذا يا موان.. أراد أن يصرخ فيملاً الدنيا بصراخه ولكنه أثر الهروب من أمام تينك العينين.. لم يذهب لمقابلة سلوان كما أخبرها، مشى هائماً على وجهه في القصر عندما رأى حُران، فشعر بالراحة لا يدري أكانت تلك مصادفة أم أنه مشى إلى حيث يتوقع أن يجده في مثل هذه الساعة.. كان جالساً إلى مائدة الإفطار.. ألقى رُهان نفسه على مقعده على رأس المائدة دون أن ينبس ببنت شفة.. رفع إليه حُران عينيه ثم أعادهما إلى المائدة..

- هل أخبرتها بأمر الحرب؟

- نعم..

- كيف قبلته؟ سكت رُهان ولم يجب ونظر أحدهما إلى الآخر ثم أوما حُران برأسه..

- لا تقلق.. ستعتاد الأمر.. هل أخبرتها أننا سنرحل في غضون يومين..

- لم أستطع.. لن أودعها..

- ماذا؟! لا تفعل هذا..

- لا أستطيع.. لقد كان الأمر صعباً.. أخشى أن أراجع..

- مولاي.. أنت تعلم أنه يمكنك أن تعتمد عليّ تماماً..



- لا شك لدي، ولكنها معركة فاصلة.. لن أستطيع أن أبقى هنا..

- سيعتني بها سلوان.. سيخفف عنها بأحاديثه عنك.. أوما رهان برأسه في أسي.. فكر رهان بأنه لن يخبرها بموعد محدد لرحيله.. سيرحل وهي نائمة حتى يهرب من وداعها.. لا يجب لحظات الوداع.. بكل ما تحمله من ألم..

بعد يومين، قبلها وهي نائمة في وداعة غافلة عن رحيله ظانة أنه ما زال لديه عدة أيام قبل رحيله.. كان الطير يرقد فوق جسدها لتدفئتها.. الأمر الذي كان يدهش له من قبل ولكنه اعتاده الآن..

- خففوا عنها.. أحسنوا رفقتها واحرصوا على ألا تبكي في غيابي..

عندما استيقظت علمت بجدسها أنه قد رحل عندما لاحظت غياب سيفه الذي غالباً ما يبقى في الأيام العادية معلقاً على الحائط.. تسارع نبضها وتلاحقت أنفاسها حين أدركت الأمر وكاد أن يسيطر عليها الهلع، ولكنها تماسكت وهبت واقفة من رقادها لتبحث عن سلوان.

وجدت سلوان يقف خارج قاعة الحكم وقد أنهى لتوه المجلس الصباحي عندما رآها تأتي نحوه، وهي تحت الخطأ استقبلها بابتسامة عريضة بادرته قائلة:

- هل رحل؟.. فهم سؤالها دون مزيد من التوضيح..

- نعم يا مولاتي.. ذهب عن وجهه الابتسامة وبدا عليه الجدد..



- لم يودعني.. كانت كمن تحدث نفسها أكثر مما تحدثه..

- مولاتي.. لقد كان الأمر صعباً عليه بحق.. إنني لم أر مولاي في مثل هذا الحزن، وقد عرفته منذ ولد إلا في يومين.. يوم أن مات الملك آريوس.. واليوم الذي اكتشف ضياعك في العاصفة..

- إذا فقد رأيتَه قبل أن يرحل!؟

- جاءني حتى يوصيني بك.. شعرت بالغضب يتصاعد داخلها..

- حقاً! ماذا قال لك!؟ سألت في تهكم..

- إنك أغلى ما لديه.. وإنه إن خير بينك وبين ملكه سيختارك أنت ولا يبالي.. ترقرت الدموع في عينيها..

- ليته بقي..

- مولاتي إن الملوك لديهم من المسؤوليات والواجبات نحو شعوبهم وبلادهم ما يصعب فهمه وتقديره ولكن الملك رُهان ليس أي ملك.. إنه ملك صالح يحب شعبه ومملكته ويبدل لأمنهم وسلامتهم ما لا يقدر عليه أغلب الملوك.. مسحت دموعها بيدها وشعرت بالفخر والاعتزاز به..

- نعم.. إنه كذلك.. قد يمضي ليالي لا ينام لأمر يشغله في المملكة.. نظرت إليه شاكرة وقد أراحها حديثه العذب..

وأدركت السبب وراء ثقة رُهان أن الوزير سلوان هو الأجدر



ليقف بجانبها في مثل هذا الموقف.. سلوان بصلعته وقصر قامته اللذين يضيفان إليه طيبة ممزوجة بال المكر والذكاء.. إنه حلو الحديث في غير نفاق طيب المعشر.. على الأرجح وجد فيه رهان ما لم يجده في آريوس.. كان له بمنزلة أب متفهم منذ صغره وأراد لها أن تجد فيه ذلك الأب الذي حرمت منه.. أفاقت من شرودها على صوت عذب ورائحة وردية عطرة..

- أووه يا وزير سلوان.. متى تنتهي تلك الحروب؟ كدت لا أتمالك نفسي وأنا أودع حُران ورهان اليوم.. لقد شهدت ثلاث حروب على الأقل منذ جئت هنا.. إن المجد الذي حققته سينامجنين في عهد الملك قد ملأ قلوب الحاقدين غلاً وحسدًا لكن هيات فرهان العزيز لهم بالمرصاد.

نظرت موان إلى الأميرة ليما التي تتحدث فتفيض سحرًا بشعرها الذهبي وبشرتها النخيرية وعينيها الزرقاوين وكأنهما بحر عميق.. تمكنت منها الغيرة لوهلة عندما سمعتها تتحدث عن رهان بكل هذا الود.. التفتت إليها واستطردت:

- أووه يا جلالة الملكة لا بد أن الأمر شاق عليك.. بدا رهان حزينًا أيضًا صباحًا.. أرجو أن يعود هو وحُران سالمين لنا جميعًا.. لا تردي في طلب أي شيء مني.

- شكرًا لك يا أميره ليما.. لم تجد ما تضيفه فابتسمت لها

- سوف أذهب الآن.. طلب مني حُران أداء بعض الأعمال قبل رحيله.. شاهدتها موان وهي تغادر مبتعدة وفكرت في غيظ أنها تبدو ملكة هذه القلعة أكثر منها..

- هل تمكث الأميرة ليما في القصر دائمًا؟ أقصد هل تعيش هنا؟



- لا، إنها تعيش في قصر أبيها في منتينيس بلادها، ولكن عندما كانوا يافعين اعتادت أن تبقى هنا فصلًا كاملًا مع مولاي والوزير حُران.. ولكنها بالطبع تعد هذا القصر بيتها الثاني..

- لا أتذكر أنها رحلت منذ جئت تقريبًا!

- هذا صحيح.. سمعت أن لديها خلافات مع أبيها الملك إسفيلس ولذلك تبقى هنا.. على الأقل هذا ما يشاع..

- آه نعم.. أخبرتني راما من قبل أنها بسبب أحدهم.. أقصد أنها تريد الزواج بأحدهم وقد رفض الملك..

- نعم.. أعتقد أنني قد سمعت هذا أيضًا.. هذا القصر ليس مكانًا مناسبًا لإخفاء الأسرار.. كيف وهو يمتلئ بأمثال راما الثرثرة.. بدا عليه التذمر والازدراء.. فهي كانت تعلم رفضه وتدمره الدائم لسلوك جارية الملكة الأثيرة والتي تبين خيانتها في النهاية، الامر الذي لن يغفره سلوان يوما.. فابتسمت له وقالت لتغير موضوع الحديث:

- كلما أراها هي والوزير حُران أتخيلهما معاً.. تمتت هذا من كل قلبها.. فبقاء ليمما وهي تبخر بشعرها الذهبي في كل أرجاء القصر لا يريحها البتة على الرغم من أنها تعلم أن رهان لا يكن لها سوى مشاعر الأخوة.. وكان الوزير قد فطن لإحساسها فبادرها قائلاً..

- هذا ما يشاع أيضًا يا مولاتي.. وإنه لفرح عظيم لي وللملك رهان على وجه التحديد.. فكلاهما بمنزلة الإخوة له.. مط كلماته الأخيرة وأكدها ثم ابتسم.

- هذا أكيد.. أيها الوزير أخبرني مولاي أنني سأساعد في أمر الحكم تحت إشرافكم الحكيم.. متى سنبداً إذاً وماذا سأفعل؟ اتسعت ابتسامتها فأضاء وجهها الجميل..

- متى تشائين يا مولاتي ولكني أفضل غداً فاليوم لدي كثير من المهام في الغابة وسوف أقضي أغلب وقتي بها.. دعينا نبدأ بحضورك للتقرير الصباحي غداً..

- رائع.. إذاً أراك غداً في المجلس الصباحي..

في الصباح التالي مر سلوان بموان صباحاً وذهبا معاً إلى المجلس الصباحي وصمم سلوان أن تجلس موان على رأس المجلس، وذلك على غير رغبة منها فهي كانت تفضل الجلوس جانباً، ولكنه شجعها قائلاً إن الملك قد اختارها لتتوب عنه لا أن تجلس متوارية.. استمعت موان إلى الحكماء والوزراء في المجلس.. لم تتحدث إطلاقاً واكتفت بالاستماع، تولى سلوان الحديث عنها، ولكنه أخبرها بعد انتهاء المجلس أنها ستعتاد النقاشات وستصبح أجراً في الأيام القادمة ولكنها أحست بالشك فيما يقول، ولكنها آثرت ألا تجادله.. وهكذا مشياً معاً وتجادباً الحديث كل يوم بعد انتهاء المجلس.. يتمتع سلوان بخفة ظل وحديث حلو خففاً عنها ألم غياب رُهان.. استطاع الرجل الستيني أن يشعرها بالأمان الذي يغيب عنها بغياب رُهان.. اعتادا أن يتناولوا وجبتي الإفطار والغداء معاً، وأحياناً كانت تشاركهما لهما أيضاً.. كانت موان تفضل تناول العشاء في غرفتها كما اعتادت مع رُهان.. الأمر الذي جعلها تشتاق إليه بشدة لذلك فقد عادت وانضمت إلى العشاء العام هروباً من نفسها ومن شوقها إليه.. أما بعد الظهر فتقضيها إما في ديوان الكتب تقرأ الكتب، وإما تشارك سيزار الذكي في بعض الأحاديث العلمية أو التاريخية.. وأحياناً تخرج للصيد

بصحبة ماونتي ويتنافسان في عدد الفرائس التي يفوز بها الطائر القوي أغلب الأيام.. وقد يشويان بعضاً من فرائسهما ويسلمان ما تبقى لمطبخ القصر لإعداده على الغداء أو تستمتع مع ماونتي بيوم هادئ عند البحيرة وتسترجع أحاديثها مع رُهان وعندما يكتسي وجهها بلهجة حزن يعاكسها ماونتي بنفض ريشه المبتل فيمطرها بالماء فتعوده وتجري وراءه ويتركها تلحق به وتمسكه ويستسلم ليديها، وهي تدغدغه حتى يفر منها هارباً محلِقاً.. وبعد يوم طويل تعود إلى غرفتها متعبة وترقد على فراشها وهي تتمنى أن يأتيها النوم سريعاً الذي كثيراً ما يعاندها، وتظل تثقل في فراشها ما بين شوق لرُهان وخوف عليه حتى يطلع الفجر فتغفواً خيراً.. فإذا غفت كان نومها مليئاً بالكوابيس المخيفة.. هكذا مرت أيام موان تتساءل كل يوم متى سيعود؟ سألت سلوان يوماً بعد يوم ولكن تأتي إجابته مبهمه دائماً إذ لم تصل أخبار بعد من الجيش حتى ملت السؤال، فعزفت عنه..

وفي يوم وهي تسير بجانبه بعد انتهائهما من المجلس كان سلوان على غير الوجه البشوش الذي اعتادته فسألته بقلق:

- سلوان.. هل كل شيء بخير؟

- نعم يا مولاتي.. لماذا تسألين؟! سأل مدهوشاً فزاد ذلك من قلقها:

- تبدو على غير طبيعتك.. تبدو مهموماً

- لقد سمعت اليوم ما يجعلني أشعر بأن الناس... ثمة شر لا أعرف كنهه يحوم حول القصر.. خفق قلبها بقوة:

- هل رُهان بخير؟.. أخبرني!!

- نعم مولاتي، إن الملك بخير.. وفي أحسن حال إن صح التعبير.. لقد وصلت الأخبار إليّ بأن النصر قد بات وشيكًا.. تنهدت ووضعت يدها على صدرها في راحة:

- حمدًا لله.. لقد أرعبتني.. ما الذي سمعته على كل حال؟

- ليس بالأمر الجلل لا تشغلي بالك.. مجرد قيل وقال لا يعبأ به أحد ذو بال.. تكاد تكون لم تسمع ما قاله، فقلها كان يرقص فرحًا بما سمعته منه منذ قليل، لذلك سألته سريعًا وقد ملأها البشر:

- هل وصلت الأخبار متى سيعود الجيش؟

- أظن خلال أسبوعين حتى يستتب النصر لهم.. ولكن الملك قد يعود قبل ذلك ويترك الجيش تحت قيادة الوزير حُران لياشر... قاطعته قبل أن يتم جملة:

- حقًا؟!!

- نعم يا مولاتي.. ابتسم لها في رقة ابتسامة ذات مغزى..

- لا أصدق.. سيعود رُهان قريبًا بإذن الله.. سوف أذهب الآن.. أراك لاحقًا يا سلوان.. شاهدتها وهي تجري حتى غابت عن نظره وفكر في حزن (أي شرِّ يُحك؟).



سارت الأيام على موان بعد علمها بنبا عودة رُهان ببطء غريب.. سار اليوم وكأنه عام كامل.. تنتظر في كل لحظة أن تراه أمامها مما زاد من عذابها حتى تمت أنها لم تُخبر بتلك الأخبار.. جاء اليوم الثالث وكلها أمل في عودته ولكنه انقضى دون مجيئه أو تلقي أي أخبار جديدة منه.. عندما التقت عيناها بعيني سلوان على مأدبة العشاء أشاح بنظره بعيداً عنها ساعتها أيقنت أنه يشعر بالذنب الآن لإخبارها بعوده رُهان دون أن يكون واثقاً، وقد جعلها بذلك تقاسي مرارة الانتظار من غير طائل.. عادت إلى غرفتها وهي تشعر بالأسى والحزن.. وعلى غير عاداتها تركت الشرفة الفسيحة المقابلة للسرير مفتوحة على مصراعها كما يفعل رُهان على الرغم من الرياح الباردة التي تعصف في الخارج.. فبقاؤك في سينامجنين يجعلك تتأقلم مع كل هذا البرد رغم كل شيء حتى وإن كان يضرك.. استيقظت قبيل الفجر وقد ازداد عصف الرياح فصار تنفسها ثقيلاً ولكن ما أيقظها كان صياح ماونتي الغريب.. رأت الطائر يقف على سور الشرفة وهو ينظر في الأفق ويلوي رأسه يمينا ويسارا وكأنه ملهوس ثم صاح بصوت فهمته بعد أن أصبحت أكثر مهارة في لغة الطير (لقد عاد.. لقد عاد) قبل أن يطير فاردًا جناحيه الكبيرين محلّقاً في السماء التي تلونت باللون البرتقالي الخفيف للفجر المنبلج..

بقيت مذهولة ثواني ولكنها أدركت أخيراً أن الطائر يقصد رُهان دون شك.. انتفضت من فراشها وفكرت أنها يجب أن تستعد للقائه.. تريد أن تاخذ حماما وتمشط وتدهن لكن هل هناك وقت كاف لكل هذا؟ يجب عليها التحرك سريعاً.. وهل

ستنتظره هنا أم تخرج لاستقباله؟ أجلت التفكير في ذلك الآن فقد يداهما في أي لحظة وينهي هذا الجدل المتفجر في عقلها.. بعد نحو ساعة أو أكثر كانت قد أنهت ما أرادت ولكنها لم تستطع البقاء في غرفتها ومقاومة إغراء استقباله على الرغم من أنها لا تعلم متى سيعود حقًا قد يكون خلال دقائق أو خلال ساعات ولكن على كل حال.. كان من المستحيل أن تعود للنوم ثانية لذلك فقد حزمت أمرها وغادرت الغرفة..

نظر رُهان إلى السماء وهو على جواده يجري كالريح ورأى ماونتي يحلق عاليًا فابتسم ابتسامة واسعة، كان ماونتي لا يفارقه حتى عندما يذهب إلى الحرب ولكنه فضل هذه المرة أن يترك الطائر خلفه حتى يؤنس موان ويراعبها فقد كان يثق بماونتي وذكائه ويعول عليه.. حلق الطائر في دوائر فوقه ثم هبط حتى أصبح في مستوى رأسه وفرد جناحيه حتى لامست جانب وجه رُهان الذي ابتسم له ثم ارتفع ثانية.. عندما وصل إلى القلعة كانت تغط في نوم ثقيل.. أيقظ ماونتي الحارس النائم الذي جاء يجري مسرعًا لفتح البوابة للملك.. أمرهم الملك أن يؤجلوا النفخ في الأبواق إيدانًا بعودة الملك على أن ينفخ فيها صباحًا.. فبجانب أن الوقت مازال مبكرًا لم يرد الملك أن يأتي الوافدون لاستقباله وتأخيره عن لقائه بموان التي أراد أن يفاجئها ظنًا منه أنها ما زالت نائمة.. انطلق سريعًا يقطع أروقه القصر الغارق في النوم لكنه سمع أصواتًا عند منعطف وشيك فأبطأ من سيره لأنه لم يرد أن يقابل أحدًا.. لكن طرفًا من الحديث ترمى إلى سمعه فجعله يسكن تمامًا قبل المنعطف:

- نعم.. الملكة ومن غيرها تقضي الساعات في المكتبة دون رقيب ولا حسيب؟ كانت لكنة الفتاة لكنة أجنبية تتحدث سيناجينية رديئة..

- إنها تحب القراءة لا أكثر..

- أنت تحبينها لذلك تدافعين عنها..

- لم أرَ منها شيئاً.. إنها فتاة صالحة..

- كذلك بدت راما أيضاً.. ألا توافقين؟ في هذه اللحظة أراد رُهان التدخل ولكن الجارية أردفت سريعاً قبل أن تستكمل الأخرى دفاعها:

- أنت لا تعلمين شيئاً.. لقد رأيتهما بأم عيني هاتين يتبادلان القبل في شوق وحرارة.. ويبدو أن الفتاة الأخرى قد ارتعبت تماماً لأنها صاحت:

- صه!.. اصمتي!.. هيا هيا نرحل من هنا.. قبل أن يسمعنا أحدهم ونقع في المشكلات.. لم يقوَ رُهان على مبارحة مكانه، فاستند إلى الحائط وازدرد ريقه بصعوبة وهو يرى ستاراً أسود قد أسدل على الكون من حوله.. سمع خطواتهما تبتعدان.. حث نفسه على مغادرة مكانه واستدعائهما لإنزال العقوبة المناسبة بهما ولكنه لم يجد القوة ولا الشجاعة لذلك، بعد أن تأكد من ابتعادهما واختفائهما.. تحرك ببطء وهو يترنخ في مشيته كالخمور.. ظل يمشي مثقل الخطى في ردهات القصر والنيران البنفسجية في الأخاديد تراقص في عينيه بشدة حتى بدت كأنها حلقة تضيق الخناق عليه لتحرقه.. سمع الصوت الحالم الذي تمنى سماعه كل الأيام الفاتئة يأتيه من بعيد.. من يوم صيفي جميل بجانب البحيرة..

- رهااان.. رفع رأسه ليراها أمامه كأجمل النساء على وجه



الأرض بشعرها الأسود الفحيم ينسدل حتى خصرها وهي تلبس
ثوباً أبيض ذا أكمام واسعة تتدلى حتى الأرض.. تبتم في رقة
وتقف في الطرف الآخر للردهة.. أسرعت تجري إليه، اكتفى بأن
فتح ذراعيه لها.. لم يقوَ على أن يبادلها الركض.. ولا أن يقف
صلاً كالحجر.. ارتمت في حضنه

- رهان.. حبيبي.. لقد عدت.. حمداً لله على سلامتكم..
رُهان.. كم اشتقت إليك..

- نعم يا موان، لقد عدت.. طفرت الدموع من عينيه.. رفعت
نفسها عنه وأمسكت وجهه بيديها تتحسه:

- ما أحلاك!.. مسح دموعه وأمسك وجهها بين يديه وسألها:

- هل اشتقت إليّ؟

- ياااه.. يا رُهان.. كثيراً.. كثيراً.. لا تتعد عني ثانية.. هل
يصدقها؟ هل يمكن لهذا الملاك أن يخون ويدنس نفسه؟ أمسكت
بيده تسحبه وهي تقول..

- هيا هيا.. لدي الكثير لأقصه عليك.. ولكنه ظل ثابتاً ولم
يتحرك فالتفت إليه متسائلة في صمت.

- موان.. لدي بعض الأشياء يجب أن أنجزها أولاً.. ارتبكت
قليلاً وجعدت حاجبها وهي تتساءل في دهشة:

- الآن؟!

- نعم.. أنا آسف.. اسبقيني وسوف أعود قريباً..



- هل أنت بخير؟ هل حُران بخير؟... لم تستطع التفكير إلا في هذا..

- لا تقلقي.. جمعينا بخير.. إنني أشعر بالتعب من أثر السفر الطويل.. ولكن هناك أمور عاجلة يجب أن أتولاها..

- إذا سوف أنتظرك.. تحركت خطوتين ثم التفتت إليه وحضنته بقوة ولاحظت لأول مرة أن حضنه كان فاتراً قليلاً، ولكنها عزت ذلك إلى تعبته.

شاهدها وهي تبتعد عنه وتلفتت إليه كل عدة خطوات لتنظر إليه.. كان يشعر في أعماق قلبه أنه يخذلها ويخذل نفسه ويخذل حبهما إذا استمع لهاتين الملعونتين ولكن ناراً وشكاً لعينين استعرا في صدره وطغيا على إحساسه هذا فبددها..

ظل يسير في أروقة القصر هائماً على وجهه حتى علت الشمس في السماء.. فوت الإفطار الذي يعد قبل المجلس الصباحي لأنه لم يرد أن يلتقي أحداً وهروباً من أن تكون موان هناك.. علت الدهشة وجوه الوزراء والحكماء عندما دلف إلى المجلس الصباحي.. بدا شاردًا في المجلس واضطر سلوان وبعضاً من الوزراء إلى مناداته أكثر من مرة للإدلاء بدلوه في المسائل المختلفة.. اعتذر لهم بسبب تعبته من الحرب الضروس والسفر الطويل.. وعند انتهاء المجلس سأله سلوان الذي كان يسير إلى جانبه في قلق:

- تبدو متعباً يا سيدي.. يبدو أنك لم تنل أي قسط من الراحة! متى عدت؟..نحن سلوان أن الملك عاد في الليل البهيم ولم ينفخ في الأبواق.. في اللحظة نفسها سمعا صوت الأبواق عالية إيدانا بعودة



الملك..

- يبدو أنني قد عدت الآن.. ابتسم في وهن ثم استطرد:

- عدت في الفجر ولكني أمرت ألا تطلق الأبواق حتى الصباح.. كان يجب أن تطلق قبل المجلس الصباحي ولكن يبدو أنهم اعتقدوا أنني لن أحضره على أية حال..

- عجيب أن تحضره بالفعل؟ والأعجب أنه يبدو لي أنك لم تنل قسطاً من الراحة قبل المجلس؟ كان لكلامه مغزى فهمه الملك.. نظر إليه سلوان بعينين ثاقبتين..

- وهل تعلم الأعجب أيها الوزير ما يقال في أروقة هذا القصر الملعون؟.. اكتسى صوته بالحنق والإحباط واليأس..

- لا تستمع لكل ما يقال يا بني.. إنه شرٌ محض.. التمتعت عينا رهان وفكر في أسى إذا فكل من في القصر قد سمع ما يقال.. إذا لقد امتلأ القصر في غيابه بالحديث عن الملكة وعشيقتها.

- ألم تعلمني أنه لا دخان دون نار؟!

- مولاي.. إن الملكة...

- صه!.. اتركني وحدي يا سلوان.

- مولاي.. اسمعني...

- هذا أمر.. نظر إليه سلوان في أسى، ولكنه أدرك أن الملك قد أنهى النقاش الذي بدأه معه لتوه..



ظل رُهان واقفاً في مكانه شاردًا في أفكاره لم يكن ليحتمل مزيداً من الشفقة.. الملك المخدوع؟ هكذا يتحدث القصر كله عنه ويفكر فيه.. الأحق الذي صدق أن أسيرته قد وقعت في حبه! وكل ما في الأمر أنها قررت أن تتكيف مع وضعها الجديد! لقد أصبحت ملكة بين يوم وليلة.. فلتحافظ على مكانتها الرفيعة ولتخدع ذلك الأحق الذي يعشق التراب الذي تطأه بقدمها وتلهو وتلعب من وراء ظهره.. أكل هذا الحب الذي أحسه منها خداعاً وزيفاً؟ ألم تخدعه راما من قبلها؟ ولكنه لم يحب راما كما أحب موان.. راما كانت تسليه وتلهيه عن آلامه.. لم يهتم يوماً إن كانت تحبه أم لا، ولكن موان لقد أعطاهما كل شيء.. حبه وقلبه وملكه.. ألم تكن هي من دافعت عن خيانة راما ووجدت لها الأعذار؟ لا بد أنها وجدت ألف عذر ومبرر لخيانتها أيضاً؟ ألم تلمح له أريانا من قبل بأنه مخدوع فيها؟ ولكنه لم يصدقها.. ظنها غيرة امرأة حقود! لا، لا يا رُهان!.. منذ متى وأنت تصدر أحكاماً دون بينة؟ كل ذلك قد يكون مجرد نسيمة وثرثرة نابعة من أفواه وصدور الحاقدين على سعادتكما؟ منذ متى وكل ما يتناقله الناس صدق وحقبة؟ ألم يعلمك آريوس هذا وأثبتته لك الأيام مراراً وتكراراً؟ ولكن كيف يتحقق من الأمر؟ كيف يقتل هذا الشك الذي نما في صدره؟ يا إلهي الرحيم دلني وأرشدني!

ظلت موان مستيقظة ترتقب عودة رُهان وعندما ارتفعت الشمس في السماء تملكها الغضب.. ما الذي يؤخره عنها كل هذا بعد غياب شهر؟ لم تنجح في إيجاد عذر له.. حاولت النوم ولكنها لم تفلح.. ألا يشعر بالشوق الذي تشعر به؟ ألم يكن لقاءه لها جافاً بعد كل هذا البعد؟ ألم يكن حضنه غير الذي تعلمه منه؟ يا حمقاء! لقد كان متعباً ولعل هذا ما حال بينه وبين شوقه لك؟ أو لعله مشغول في التفكير في أمر جليل كما قال.. ولكنها لا

تصدق كل هذه الأعداء.. ليس رُهان.. تبرمت في ضجر وظلت
تقلب في فراشها.. ما الذي غيره؟ هل ملَّ سريعاً؟ كُفيبي عن
هذا! انتفضت خائفة عندما رأت كتلة من الريش تحط بجانبها
وهي مستغرقة في أفكارها..

- مااااونتي.. ستقتلني رعباً يوماً ما.. خبأ الطائر رأسه بين
جناحيه نجلاً بشكل لا يتناسب مع ضخامته.. ضحكت لشكله
الذي أصبح أقرب إلى الدجاجة.. ربت عليه في حنان ثم
خطرت لها فكرة أن تبعث ماونتي لرُهان، ولكن ماذا ستقول له؟
تملكها الغضب منه ثانية.. سمعت طرقات على الباب ثم دخل
رُهان على إثرها..

- رهان.. أين كنت كل هذا؟ لم تتوجه إليه من غيظها وظلت
في مكانها..

- أخبرتك يا موان.. كان لدي ما أفعله ثم حضرت المجلس
الصباحي.. عقدت ذراعها أمام صدرها متبرمة..

- المجلس الصباحي؟! لم يرد عليها وتوجه إلى السرير حيث تجلس
وبجانها ماونتي الذي حط على كتفه لما جلس.. أزاحه رُهان من
فوق كتفه في تبرم.. فخلق الطائر إلى عشه وأدار لهما ظهره معلناً
رفضه واستيائه من جفاء صاحبه..

- أشعر بتعب شديد.. أجلي الجدل لوقت لاحق..

- لن أتجادل معك يا رُهان.. نظرت إليه بعينين عابقتين

- إذاً ماذا ستفعلين؟



- سأقبلك وأحضنك حتى أشبع منك.. لوهلة نسي كل شيء
وابتسم في صفاء وضمها إليه في شوق..

- أحبك يا موان.. أحبك

ترددت داخله كلها الجارية الملعونة فانتفض جسده كأن
ناراً لسعته.

- ما الأمر يا حبيبي؟ نظرت إليه في قلق.. ظل واجماً دون أن
ينبس بينت شفة ثم تنهد قائلاً:

- سينفجر رأسي من التفكير.. لا بد أن أنام وإلا سأجن.. نظر
إليها في حزن غير قادر على تفسير ما يحدث ثم هز رأسه وألقى
بها على الوسادة وأغمض عينيه.. ظلت ثابتة وهي مدهوشة مما
يحدث ثم حزمت أمرها أن تتركه يستريح وينام وذلك ايضاً رداً
لكبريائها الذي أهين بصدوده وجفائه عنها.. لم تكن تفهم ما
الذي يحدث؟ ليس هذا الاستقبال الذي حلت به عند عودته؟
ترددت ماذا عليها أن تفعل الآن؟ شل تفكيرها وحل بها فجأة
تعب شديد لم يدع لها مجالاً للتردد.. استلقت بجانبه وغطت
في نوم عميق وهي تفكر بحسرة ولوعة لقد ملك سريعاً بالفعل يا
مسكينة.

ظلت موان الأيام التالية تتساءل في نفسها عن سبب تغير رُهان
الغريب.. أحيانا تهديئ نفسها بأن الأمر عائد لأحوال الحرب
وإرهاقه.. فما تلبث أن تكذبها نفسها: «ألم يكن عائداً من الحرب
ومصاباً أيما إصابة منذ شهر وكان واقعاً في حبك حتى الثمالة»؟!
تفكر في سخط لعله أمر جلل حدث هناك أو في المملكة يخفيه عليها
ويشغله، فهو كما تعلم وكما أخبرها سلوان من قبل متفانٍ

لسينامجنين تفانياً لا يصدق.. تشاهده في أسي وهو يغادر غرفتهما صباحاً ثم يعود قبيل الفجر لا يتكلم معها ولا يقترب منها متجههم الوجه حانقاً نزقاً ترى غيظاً مستتراً تحت ملامح وجهه الهادئة.. إن حاولت فتح حديث معه رد بكلمات مقتضبة عن باله المشغول بأمر جلال في المملكة.. إن اقتربت منه وحضنته يبادلها الأمر وتشعر بشوقه إليها ولكن ما يلبث أن يبتعد عنها ويتحجج بأعذار واهية وهو يشيح عنها بنظرة.. تحار في أمره وتطمئن نفسها بأنه سيكون أحسن حالاً غداً.. وفي يومٍ عندما صدها بجفاء قبل أن يخرج للمجلس الصباحي كان قد طفح بها الكيل وصممت على مواجهته:

- رُهان.. ما الأمر؟ أخبرني ما الذي يحدث؟ زفر بقوة وأجابها:

- أخبرتك من قبل يا موان مئة مرة.. هناك ما يشغلي ويشغل فكري..

- ولكني لا أفهم.. حقاً لا أفهم ولا أجده عذراً لتجاهلي بهذا الشكل؟

- إن كنت لا تفهمين فهذا خطبك وليس خطبي، هذه حياتي اعتادتها فليس لي أن أغيرها.. أصبح قاسياً قسوة موجعة مما زاد من إصرارها..

- أعرف طبيعة حياتك جيداً وأعرفك يا رُهان.. لن تفلح معي هذه الأعذار.. أخبرني ما الأمر؟ وأرجوك لا تُعد على مسامعي أعذاراً وحججاً واهية..

- إذا أنت متأكدة أن هناك أمراً ما؟ سألها بعينين ثابتتين متشككتين وقد ضيقهما..

- نعم.. لا بد أن هناك خطباً ما.. عندما أطل نظرتة الثاقبة
سألته في قلق ونفاد صبر:

- ماذا تقصد؟

- القصر كله يتحدث يا مولاتي.. لم يعد قادراً على إخفاء ناره
عنها بعد الآن.. خرج صوته قاسياً واكتست نبرته بالتهكم مما زاده
قسوة..

- يتحدثون عن ماذا يا رهان؟ ضيقت ما بين حاجبيها في
دهشة..

- ألا تعلمين؟! عنك وعن سيزار؟ حدق إليها يريد أن يرى أثر
كلماته على وجهها عله يبرئها..

نظرت إليه مدهوشه وهي تحاول أن تكذب ما فهمته:

- وماذا يقولون أيها الملك؟.. اتسعت عيناها العسليتان في غير
تصديق.. أشاح بنظره بعيداً عنها ولم ينبس ببنت شفة.

- أخبرني ماذا يقولون؟.. تهدج صوتها وعلا في غضب مكتوم
ثم أردفت:

- بل أخبرني ماذا فعلت عندما قالوا وسمعتهم؟ أم أجيبك أنا!..
صدقهم! هذا ما فعلت.. باغته بساطة إجابتها ورجاءة أصبح هو
المتهم..

- موان!



- صدقت ما قالوا يا زوجي الحبيب.. ألم تفعل؟! ألهذا لا تنظر إليّ؟ ألهذا تنتفض كلما اقتربت منك وكأن ناراً مستك!! نظرت إليه غير مصدقة وهي تهز رأسها بعنف وقد زمت شفيتها فأشاح بنظره بعيداً عنها لا يجد ما يقوله ولا يستطيع مواجهتها.

- اذهب.. دعني وحدي أرجوك.. نظر إليها في أسي.. يظنها صادقة ولكن نفسه تمتلئ بالشكوك وتتردد كلماتهم في أذنه (رأيتهما يتبادلان القبل في شوق وحرارة).

التفت ليخرج وفي طريقه أطاح بيديه مزهرية مليئة بالورود الزرقاء، فتهشمت وتناثر الورد والحزف في كل مكان ونعق الطائر النائم الذي استيقظ لتوه علي إثر الصوت وأجهشت موان في البكاء وهي تلقي بنفسها علي الفراش بعد أن صفق رُهان الباب خلفه بقوة أفزعها وهي تفكر في خوف: «هل ستلقى مصير راما نفسه؟ ولكن ليس هناك من ينقذها».. حط ماونتي بجانبها واخذ يحك رأسه الأبيض في وجهها المبلل وكأنه يواسيها.

مضى في طريقه غاضباً لا يلوي على شيء وعالمه ينهار أمام عينيه غير عابئ به.. هو الملك القدير الذي اشتهر بالحكمة والعدل، ثرثرة فارغة لجاريتين ملعونتين تفعل به الأفاعيل وتجعله كالورقة في مهب الريح يتصرف بهوجائية لم يعتد أن تصدر منه.. ولأول مرة يشعر بأن مشاعره تطفئ عليه وتتحكم به بعيداً عن أي منطق أو حكمة.. وصل إلى البهو الرئيسي.. وجد سلوان وليما يتناولان إفطارهما وعدداً قليلاً آخر، ألقى التحية عليهم وجلس على رأس المائدة واجماً.. ظل الجميع يتناولون طعامهم في صمت بعد أن دخل لما يلاحظونه عليه من تجهم سألته ليما في قلق:

- هل أنت بخير يا رُهان؟ زفر بقوة وصاح بها:

- إنني بخير.. كُفُوا عن سؤالي "هل أنت بخير؟" كلما رأيتوني..
يعلم أن الجميع علي علم بما يقال ويشاع في الأروقة.. لا يخفى عليه
أنه قد أصبح حديث الساعة والتسلية في مجالس اللغو والنميمة..

- مولاي.. هي لم تقصد...

- وأنت أيها الوزير.. كفاك دفاعاً عن الجميع.. اخفض سِلوان
رأسه وهو يطم شفتيه متحاشياً النظر إليه..

- لماذا لا يهتم كل واحد في هذا القصر بشؤونه الخاصة؟ إنني
حقاً لا أفهم! قام واقفاً ليغادر ولكن سِلوان استوقفه قائلاً:

- مولاي.. لقد أرسل الوزير حُران يخبر بأنه عائد اليوم.. قد
يصل خلال ساعات..

- حُران.. فعل خيراً بتقديم عودته.. أحس بالراحة تتسلل إليه لما
علم بعودة رفيقه وأردف قائلاً:

- أريد مقابله فور قدومه دون تأخير..

- أمرك يا مولاي.. سأعلم حرس البوابات بإخباره..

قبل أن يغادر الغرفة التفت إلى ليما قائلاً:

- عذراً يا ليما.. إنني فقط.. لم يجد ما يقوله!

نظرت إليه متفهمة وقالت:



- لا باس يا رُهان.. سيكون كل شيء على مايرام عما قريب..
فأوما لها برأسه وغادر..

ظل هائماً على وجهه في أروقة القصر، ولم يجد له رغبة ولا
عزماً لحضور المجلس الصباحي، فأرسل إلى سلوان لينوب عنه..
مرات قليلة التي فوت فيها المجلس الصباحي منذ توليه الحكم..
ولكنه اليوم لا يجد في نفسه رغبة في شيء.. حتى الآن كل ما
يعلمه مجرد ظنون، ولكن ماذا إن تأكد ظنه؟ ماذا إن كان قدره
أن يُخان ثانيةً كما فعلت معه راما من قبل؟ ولكن هذه المرة
ليست راما التي لا تعنيه في شيء.. إنها موان التي هي كل شيء..
لا لا!.. موان لا تفعل ذلك! هي أسمى وأطهر من ذلك وتجبه..
في النهاية لم تكن علاقته براما علاقة حب لكن تملك.. شيء ملكه
كما قالت موان من قبل لم يكثر برغبتها أو عدم رغبتها في أي
شيء.. أووه يا موان لا تفعلي هذا بي!.. فبسقوطك يسقط عالمي
ولا يبقى شيء.. أوشك الظلام على الهبوط عندما جاءه الطائر
الذي ينتظره بعد ساعات طويلة من المشي على غير هدى في
جنبات القصر..

- مولاي.. بحثت عنك طويلاً.. القائد حُران قد عاد وهو
ينتظر في قاعة الحكم.. تهلت أساريره بعد أيام طوال من التجهم
نسي فيها كيف يكون التبسم فضلاً عن الضحك، انطلق سريعاً
ليقابل رفيق دربه الذي يثق به أكثر من أي شخص آخر عرفه في
حياته..

عندما دخل قاعة الحكم وجد صاحبه في انتظاره وقد بدا عليه
القلق والحيرة.. فاستدعاه بهذه السرعة لمقابلة الملك فور عودته
مباشرة لم تعن له خيراً..



- مولاي.. أُخبرت أن آتي لمقابلتك على وجه السرعة قبل أي شيء... لم يهتم رُهان بالرسميات واحتضن صاحبه الضخم وهو يردد:

- حمدًا لله على سلامتك يا حُران.. أحتاج إلى مشورتك في أمر جلل..

- خيرًا يا رُهان؟ كان حُران رجلًا فطنًا يعلم متى يلقي عن عاتقه ثقل الحكم والرسميات ليصبح لرُهان صديق عمره ورفيق دربه.. وقد فطن إلى أن الأمر لا علاقه له بأمر الحكم.. ظل رُهان واجمًا لا يدري كيف يبدأ حديثه.. أمسك برأسه بين يديه وكأنه يمنعها عن التمدد والانفجار في أي لحظة:

- عدت من الحرب لأجد... لأجد القصر مليئًا بالأقويل..

- ومتى خلا منها؟.. قهقهه في سخريته الصاخبة المعتادة مما هون على صاحبه..

- ولكن هذه المرة... سكت وهو لا يعرف كيف يقول ما أراد..

- ما الأمر يا رُهان؟ ارتسمت على وجهه علامات الجدد..

- إنهم يتكلمون في الملكة.. الملكة وذلك الشاب سيزار.. ساد صمت ثقيل بينهما ثم قطعه حُران:

- أمين ديوان الكتب؟! ماذا يقولون؟! ضيق ما بين حاجبيه في انزعاج.

- ما يقال في هذه المناسبات السعيدة.. اكتست نبرته بسخرية
مريرة..

- رُهان.. أنت أعلم الناس بها.. لطالما دافعت عنها رغم كل
تلهيحاتي لك حتى في الوقت الذي كانت تصدك فيه صدوداً يا
رُهان.. إذا ما الذي تغير؟

- الجميع يتحدث في الأمر أكاد أجن.. يقتلني الشك! هل تريد
مني أن أدير ظهري للأمر كأني لم أسمع شيئاً.. لا.. لا أستطيع
ذلك..

- وكذلك كان الأمر حينها.. كانوا يقولون إنها تخطط للهروب
مع نمار وكثيراً من القيل والقال، ولكنك رفضت تصديق
أي شيء وكنت واثقا بها رغم صدها إياك.. ما الذي تغير يا
صاحبي؟

- لا أعلم.. يقتلني الشك.. أحيانا لا أصدق للحظة واحدة ما
يقال وأظنه إفكاً بينا ثم يساورني الشك فيلهب قلبي ويدميه..

- اسمعني يا رُهان.. أعلم كيف نستطيع التحقق من الأمر؟ هل
تريد ذلك حقاً؟

- بالطبع أريد ذلك.. أريد أن أعرف حقيقة الأمر بدلاً من
التقلب في الشك.. أياً كانت!! ولكن كيف؟

- بعد الرسالة التي عثر عليها رجالنا.. فوضتني للتحقق من الأمر،
وقد وضعت عدداً كبيراً تحت المراقبة الصارمة لرصد تحركاتهم،
وقد كان منهم الملكة وسيزار..

- وضعت الملكة تحت المراقبة؟! -

- رُهان.. ظروف زواجك لم تكن طبيعية..سلامتك كانت أولى أولوياتي.. فلا تلهني على أمر كهذا.. سأرسل الآن لإحضار التقارير..

أرسلا طيراً يأتيهما بالتقارير.. جلسا معاً في صمت ثقيل في انتظار وصولها..

- يجب أن تُعد نفسك للاحتمالين يا رُهان..

- أريد الحقيقة مهما كانت قسوتها..

عندما جاءت سلمها حُران إلى رُهان في صمت دون أن ينظر إليها.. أجال رُهان فيها نظرة سريعة ثم تنهد في راحة ومررها لحُران الذي نظر فيها بدوره..

سأله رُهان بعد أن رفع عينيه عنها:

- هل ستسامحني موان يوماً؟ حقاً إنني مدين لك بكثير يا حُران.. بدت الراحة على حُران ثم سأله متعجباً:

- أوأخبرتَها؟

- لم أكن أنوي ذلك، ولكنها أصرت أن تعرف سبب تغيري وفقدت أعصابي.

- إنك حقاً في مأزق كبير.. اذهب إليها ولا تخبرها شيئاً عن حديثنا هذا أو التقارير، أخبرها أنك عدت إلى رشدك وأنه لا

يمكن أن تصدق مثل هذا الكلام وأنها وأنها... كان يتكلم بطريقة مسرحية ويغير تعابير وجهه ما بين الندم والفرح والرجاء..

- اصمت يا حُران.. كم أنت مبتذل! إنني بالفعل أشعر بندم رهيب وكلامك يجعلني أشعر بالذنب أكثر..

- هذه هي الحالة المطلوبة تمامًا.. هيا اذهب.

- ولكن لماذا تنتشر هذه الأقاويل انتشار النار في الهشيم، وكأن هناك من يصنعها متعمداً..

- أغلب ظني يا مولاي أن الأمر من صنع الجوارى.. أظنهم ينتقمون لراما؟

- راما! وما دخل الملكة في هذا؟ إن موان هي من أنقذتها من حتفها..

- نعم صحيح.. ولكن هذا الأمر لا يعرفه إلا القليل.. وأقل منه من يعرف أنها لم تعدم ونفيت فقط.. أنا وأنت فقط من نعرف أن الملكة هي من حالت دون ذلك.. كانت راما محبوبة من معظمهم، أظنهم أرادوا الانتقام لها..

- إذا ينتقمون مني..

- ومن الملكة أيضاً.. فقد شاع بينهم أن موان هي من وشت براما للتخلص منها لقربها القديم منك.. بدا الذهول على وجه رُهان..

- يجب أن يتوقف هذا اللغط.. يجب أن يُعاقب كل من ساعد

في انتشار هذا الإفك..

- سوف ننفذ ذلك.. سنتقضي عن مطلق هذه الأقاويل الخبيثة
ويعاقب حتى يصبح عبرة لكل من تُسول له نفسه التعدي عليكما..
الأهم من ذلك أن تسرع الآن إلى الملكة.. لا شك أن حالتها...

- نعم.. نعم.. سوف أذهب.. ولكن قبل أن يخرج التفت إليه
وسأله:

- لماذا عدت مبكراً؟

- أرسل إليّ الوزير سلوان يخبرني بضرورة التعجيل بالعودة..
كان يشعر بقلق شديد حيالكما

- شكراً لك.. وشكراً لسلوان العزيز

انطلق مسرعا حتى وصل إلى غرفته وفتح الباب في لهفة فهبت
عليه رياح باردة ولدهشته كانت الغرفة غارقة في العتمة وقد
انطفأت جميع نيرانها.. انقبض صدره ونادى:

- مواان!!

لم يكن هناك إجابة.. تلمس طريقه في الظلام وسمع صوت
تكسر تحت أقدامه حتى وصل إلى أحد الأخاديد وصب فيها
السائل فاشتعلت النيران حتى أحاطت بالغرفة كلها وأضاءتها..
كانت الشرفة مفتوحة على مصراعها والستائر تطير بسبب الرياح
وامتلأت الغرفة ببرودة قارسة وكانت شظايا خزف المزهريّة التي
طوحها بيده والأزهار الزرقاء ما زالت متناثرة على الأرض كما
تركها في الصباح الباكر.. جال ببصره في الغرفة ونادى ثانية دون



تفرق الرجال في كل مكان جماعات يحملون المشاعل في الظلام يبحثون عن الملكة التي اختفت دون كلل أو ملل.. أجمع الحراس في كل القصر أنهم لم يشاهدوا الملكة وهي تخرج على جوادها وبالفعل لم يكن هناك آثار جياد على الثلج إلا تلك آثار حُران، وتلك الخاصة بالعربات التي تحمل المؤن والأخشاب وغيرها إلى القصر.. لذلك فقد ظن بعضهم أن الملكة ما زالت في القصر الفسيح، ففتش مجموعة من الحرس القصر كله.. واستمرت عملية البحث حتى طلع النهار دون جدوى.. وعندها أجمع الجمع ألا فائدة من استمرار البحث في القصر وما حوله وأنه يجب وضع خطة لتمشيط المناطق الأبعد والغابة.. حاول حُران أن يقنع الملك بالعودة إلى غرفته وأخذ قسط من النوم، ولكنه رفض ذلك وظل يبحث مع الرجال حيناً ثم يعود إلى القصر حيناً لعل أخباراً جديدة تكون قد وصلت من جماعات البحث الأخرى التي خرجت من قبل ولكن بعد عدة الساعات جاءت الأخبار نفسها..

- لم يشاهد أحداً امرأة غريبة أو هكذا يعتقدون..

فكر رُهان أن يذهب إلى البحيرة حيث اعتادا أن يجلسا معاً ومعهما ماونتي.. إنه لا يستطيع أن يصدق أن تركه موان بهذه السهولة.. لا بد وأنها تشعر أنه خذها كما خذها من قبل أو لعلها خافت أن تلقى مصير راماء.. لا يصدق أنه أضاعها بحماقته من يديه مرة أخرى.. بعد أن ظن أنه أسعد إنسان على وجه الأرض، وأن سعادته ستدوم إلى الأبد.. يفقد كل شيء في لحظة واحدة.. يا حبيبتى لو أستطيع أن أضمك إلي مرة واحدة أخيرة.. ساحميني

على خذلانك.. ساحيني على جراحك التي عاهدتك أن أطيبها
فما كان مني إلا أن زدتها جرحاً.. في تلك اللحظة نعق ماونتي
بلطف.. كان قد طار إلى القاعة حيث يجلس رُهان مستغرقاً في
أفكاره بعد أن عاد من بحثه منتظراً وصول أخبار جديدة من فرق
البحث الأخرى.. وقف على مسند العرش والملك غافلٌ عنه تماماً

- أووه ماونتي! عدت من الصيد! أرجو أن يكون قد حالفك
الحظ، أما أنا.. امتلأت عيناه بالدموع وأجهش في البكاء ثم
أردف:

- أما أنا فلم يحالفني.. اقترب الطائر منه بعينين حزينتين ونعق
ثانية وهو يحك رأسه الأبيض بجانب وجه رُهان كأنه يواسيه

- لقد رحلت موان يا ماونتي.. أضعتها ثانية بحمقي وغروري..
حرك الطائر رأسه مستفهماً ثم نعق بقوة، وأخذ يصدر صغيراً
وكأنه يقص شيئاً ذا بال على رُهان..

اتسعت عينا رُهان في دهشة:

- رحلة صيد؟ أي رحلة صيد يا ماونتي؟ نعق الطائر مجيباً..
اتسعت عينا رُهان في دهشة:

- هل أنت متأكد مما تقول؟! نعق ماونتي بقوة أكبر وهو يومئ
برأسه..

انتفض رُهان واقفاً وأسرع خارجاً يبحث عن حُران وماونتي
يتبعه محلقاً فوق كتفه.. كان وقت الغداء وتوقع أن يجد صاحبه
في البهو الرئيسي ولكنه وجدته في الطريق إليه مع ليماء..

- حُران.. موان لم ترحل..

- ماذا؟.. بوغت حُران وكذلك لِيما التي ظهرت عليها علامات
الفرع..

- اسمعني.. ماونتي كان بالخارج يصطاد منذ البارحة، اسمع
ماذا أخبرني عندما عاد؟! بعد أن غادرت بنحو ساعة، كانت موان
وماونتي معاً في الشرفة عندما سمعا طرَقاً على باب الغرفة.. كانت
تقص عليه ما حدث بيننا قبل خروجه للصيد.. تركته موان
وفتحت باب الغرفة.. رأي جندياً أو أكثر يتحدثون معها.. عادت
إلى الغرفة وهي تردد في سخط متهكمة:

- الملك يريد قوسه ليخرج في رحلة صيد وليس على باله شيء..
كانت تبحث عن قوسي عندما حلق ماونتي في السماء ليصطاد
وتركها خلفه..

- إذا.. ماذا تقصد؟!

- أنا لم أبعث جندياً ليحضر قوسي.. ولم أخرج في رحلة صيد
بالطبع.. ضيق حُران عينيه وقال:

- مولاي.. هذا خطير ويغير كل شيء..

- هل تشك في أحد بعينه؟

- لا أعلم ولكن يمكن أن نحصر..

- لا أفكر سوي في شخص واحد..

- من؟ هل تقصد نمار؟ ولكن مولاي! نمار لديه ما يكفيه..
مجاة طاحنة وثورة وشيكة.. إنه يعتمد علينا كلية للنجاة.. لا أظن
أن من الحكمة أن يفعل شيئاً كهذا في هذا الوقت..

- أظن أن حُران لديه وجهة نظر سديدة يا رُهان.. تدخلت ليما
لأول مرة في الحديث.. نظر إليها رُهان وكان قد نسي وجودها
معهما..

- ومن قال يوماً إن نمار يتسم بالحكمة أو حتى بالذكاء؟ أولم
يأتِ بها هنا من قبل وهو يعلم بأمر خطبتنا ظناً منه أنه يستطيع
إخفاءها عني وأني سأقف مكتوف الأيدي.. إنه شخص أحمق
يعميه الغرور.

- إذا يا مولاي.. إنني اقترح أن نرسل إليه تحذير شديد الوعيد،
وفي الوقت نفسه ننتظر الأخبار من أعيننا في ليموراس..

- لا!.. هذا سيفقدنا عنصر المباغته، ويعرض حياة الملكة
للخطر.. سنباغتهم فجراً بالجيش يا حُران..

- ولكن يا مولاي.. الجيش قد خرج لتوه من معركة طاحنة..
إنني أخشى إن دخلنا معركة أخرى...

قاطعه في حدة:

- إن ليموراس قد فقدت كل قوتها في المعارك السابقة.. لم يبق
لها سوى قلعة متداعية سندكها في غضون ساعات.. إن أرادوا
الحفاظ على أرواحهم يجب أن تبقى الملكة سالمة بالداخل..
ولكن إن بعثنا بالتحذير من قبل هذا قد يتخلصون منها ليتبرءوا من
ذنبها..



- وقد يسلموها خوفاً من بطشتنا..

- لن يفعل.. هذا الأحمق لن يفعل.. ليس لديه مثقال ذرة من عقل.. سيعميه الغضب والغيرة..

- أظن أن رهان محق في ذلك يا حران.. لاذ حران بالصمت وبدا عليه عدم الاقتناع ولكنه أحس بأن كلامه لن يفيد وأن قراراً بالحرب قد اتخذ بالفعل.. ولكنه حاول ثانية:

- مولاي.. أعلم أن الأمر حرج جدًّا.. وأقدر هلعك وفزعك على الملكة والتي يهمني عودتها سالمة أكثر من أي شيء آخر.. ولكن أرجو ألا نتعجل بالتحرك إلى ليموراس قبل أن يصلنا مزيداً من الأخبار من أعيننا داخل القصر.. مولاي سيفيدنا أن نعرف أين نضع أقدامنا وسيفيد ذلك الملكة دون شك؟

- متى نتوقع قدوم الأخبار أيها الوزير؟

- غداً مساءً يا مولاي.

- غداً مساءً؟! سأمهلك حتى الظهر وبعدها يجب أن نتحرك بالجيش حتى أصل ليموراس في أسرع وقت.. لن أنتظر أكثر من هذا.. كل وقت نتظره يعرض حياة الملكة للخطر..

- أرجو أن تصل الأخبار قبلها.. سأرسل الكنसार إلى هناك.. أوما رهان برأسه ثم استأذن منهما.. أراد أن ينفرد بنفسه ولكن ما إن غادرهما حتى ندم على ذلك، فقد هاجمته الأفكار السوداوية وأحاطت به وحاصرته ما بين تأنيب له مروراً بآخر محادثة له مع موان.. إلى إلقاء اللوم على نفسه لاختطافها فلولا ما كان بينهما

من شقاق لعلم بالأمر سريعاً.. تملكته أفكاره السوداء.. لكن
فكرة واحدة حاول أن يبقيا بعيداً ويتجاهلها بأقصى ما لديه من
قوة.. أن تُمس موان بسوء أو أن يفقدها.. تومض ومضة خافته
فيسكتها بكل ما أوتي من قوة ويخمدتها حتى لا ينهار تماماً.. لن
يدعها تسيطر عليه لحظة.. لن يتركها تفعل.. لم يستطع العودة إلى
غرفته.. لذلك أمر الخدم بتجهيز غرفة أخرى له ليقضي فيها ليلته
هذه التي يعلم أنه لن يغمض له فيها جفن وأنها ستكون جحيماً
خالصاً.. لم يخلع عنه ملابسه حتى أصبح الأفق برتقالياً إيداناً
بانبلاج فجر جديد.. خرج إلى قاعة الحكم وظل جالساً واجماً ليس
له من أنيس سوي طائره الوفي ماونتي الذي ظل يحدق فيه
مراقباً إياه حتى غلبه النعاس، وكذلك غلب الملك الذي استيقظ
من غفوته علي صوت حُران

- مولاي.. مولاي

- حُران.. يبدو أنني غفوت.. فرك رُهان وجهه وعينه:

- لقد جاءت الأخبار من ليموراس.. لم يشهد القصر أي شيء
غير طبيعي أمس.. الأمير نمار منهمك في الاستعدادات لعيد تولي
أبيه الحكم والذي سيقام فيه مراسم استلامه الحكم من أبيه.. يبدو
أن نمار قد قرر أنه لن ينتظر موت أبيه لتولي الحكم

- شيء متوقع من هذا الوغد.. كنت علي يقين أنهم لن يعلموا
شيئاً بخصوص الملكة.. لا بد أن الخبيث قد بالغ في مداراة
الأمر.. ولكننا الآن نعلم أن هذه الاستعدادات ستجعل ليموراس
أكثر هشاشة وضعفاً.. يجب أن نتحرك في أسرع وقت.

- أمرك يا مولاي..



بعد أن أعطى رُهان بعض التوجيهات لرئيس قواده.. انطلق كل منهما في طريقه ليستعد للخروج مع الجيش.. أسرع رُهان إلى غرفته ليلبس لباسه العسكري ويحضر سيفه وقوسه.. عندما دخل الغرفة كانت قد رتبت، فاخفت شظايا الخبز والورود المبعثرة على الأرض وكومت بعض أثواب موان التي كانت في الغرفة فوق أريكة.. عندما لمح الثوب الأبيض الذي كانت تلبسه يوم عودته من الحرب حينما سمع الجاريتين، هاجمته الذكري سريعاً.. تذكر جفائه يوماً معها وصدده إياها وود لو صرخ فسمعت الدنيا كلها صراخه.. حاول أن يتجاهل الذكري لينطلق سريعاً ولكنه قبل أن يغادر الغرفة سمع زقزقة وصفيراً غريباً لا يمكن أن يصدر من ماونتي فتفتت حوله في الغرفة رغم ذلك متوقفاً رؤية طيره.. ازداد الصوت إصراراً وقد تنبه لأنه قادم من الشرفة التي أغلقت.. فتحها فإذا به يرى طائراً صغيراً أصفر غريباً لم يره من قبل في سيناجنين فهو يعرف ويحفظ كل طائر فيها.. اقترب منه رُهان متوقفاً أن يفرع الطير الغريب ويطير ولكنه لم يفعل بل ظل ثابتاً محققاً في رُهان.. تحدث إليه رُهان وقد أنبأه حدسه أن الطائر يقصده:

- مرحباً أيها الصغير.. ماذا تريد؟ هل تبحث عن طعام؟.. أخبره حدسه مرة أخرى أن الامر لا يتعلق بطعام أو شراب.. تحدث إليه الطائر وكأنه يعرفه حق المعرفة فاستمع إليه رُهان في اهتمام وقد بدت عليه أمارات الدهشة مع كل كلمة يقصها عليه حتى إذا انتهى شكره رُهان وطلب منه أن يبقى في الغابة حتى يبعث إليه رسولاً.. لم يصدق ما سمع ولكن الطائر قد قدم ما يدل على صدقه.. انطلق مسرعاً إلى قاعة الحكم وأرسل إلى حُران.. عندما دخل حُران..

- مولاي.. لقد رتبتُ... أشار إليه بالصمت..



- جد جديد يا حُران.. انتظر وسترى.. بعد قليل دخل سلوان
ثم ليما وعندما جلسوا جميعاً تحدث الملك بصوت رخيم:

- لقد جد جديد.. أرسل إليَّ طائرٌ من بلادٍ بعيدة يخبرني بأمر
عظام.. أمور لا يكاد يصدقها عقل.. يخبرني أن من اختطف
ملكة سيناجنين يسكن داخل قصري.. وأن الخيانة تقبع في هذه
الغرفة في أبشع صورها.. أن تأتي الخيانة من العدو أمر متوقع
ولكن أن تأتي من أقرب المقربين إليّ.. لماذا؟! بحق الله لماذا؟!

- مولاي! من تقصد؟! انتفض حُران واقفًا..

- أجيبني يا ليما.. يا من أنت مثل أخت لي منذ الصغر.. لماذا؟!
لماذا فعلت هذا بي؟!

تبادل حُران وسلوان النظرات، وقد بدا عليهما عدم الفهم.. ظلا
يقلبان النظر ما بين ليما تارة والملك تارة أخرى الذي ثبت نظره
عليها، وهما ينتظران توضيحاً أو تفسيراً.. ظلت ليما ثابتة لوهلة وقد
زاغت عيناها الزرقاوان ثم تعلقت بحُران تستنجد به.. ثم ازدردت
ريقها وتحدثت بصعوبة:

- ماذا تقول يا رُهان؟ أنا لا أفهم شيئاً..

- أقول إن موان تقبع الآن في قصرِك سجينه مقيدة قد وصلته
منذ أيام على ظهر جواد مع رجلين بعثتهما لاختطافها.. لما اذاااا يا
من أنت بمنزلة أختي؟ لما اذااا؟ صاح فيها بأعلى صوته..

ارتجفت عندما زعق بها وأطرقت برأسها إلى الأرض..

رفعت إليه عينين حاقتين حانقتين مغرورقتين بالدموع..

- أولا تعرف لماذا؟! لأنني لست أختك يا رُهان!.. لم أكن يوماً ولن أكون.. أحببتك منذ تفتحت عيني على الدنيا فتجاهلتي ثم أثرت عليّ تلك المرأة الحقيرة.. وبعد أن ذهبت بلا رجعة كما تمنيت واستعدت أملي في أن تراني وتشعري عادت من جديد لتأخذك مني بعد أن كنت قاب قوسين منك.. أنا الأميرة ليما الذي يتمني الملوك والأمراء نظرة منها.. لم أحب سواك.. لم أحلم برجل إلّاك.. أن أظل بجانبك وأقضي عمري كله معك.. ولكنها عادت لتأخذك مني.. كانت أمنية آريوس أن يرانا معاً ولكن هي من حالت دون ذلك.. عندما تعرفت عليها وأصررت أن تزوجها.. تسألني بعد كل هذا لماذا؟! لأنني أحبك.. أحبك حتى إنني مستعدة لأن أقتل في سبيلك.. نعم تحججت بخلافي المزعوم مع أبي حتى أبقى في سينامجنين وأراقبكما.. أموت كل يوم وأنا أراك تتقرب إليها وتلهث وراءها كالمسحور لتحظى برضاها دون كللٍ أو مللٍ.. أقسمت أن أحرمها منك وأحرمك منها!.. كنت أعلم كل ما يدور بينكما بسبب ثرثرة راما المغفلة مع حواريني.. أطلقتهم يملأن القصر أقاويل عنها، ولكنك دافعت عنها ولم تصدق شيئاً.. طفح بي الكيل عندما رأيتكما تقعان في الحب من جديد، لن أترك لها ثانية.. كيف لي وأنت حب حياتي؟! لذلك كان يجب أن أتخلص منها كنت قد أعددت خطتي منذ زمن فانتظرت حتى ترحل.. رأيت غيرتك الشديدة عليها فأطلقت خدمي يتحدثون فيها وفي سيزار حتى تشبّع القصر بالأقاويل وخططت لكي تسمعهم.. كنت أرقب عودتك للقصر حتى أبعث فتياتي في طريقك.. ولكنني انتظرت حتى تشتد بينكما القطيعة وقد ظهر ذلك في اليوم الذي فقدت فيه أعصابك وصرخت فيّ على الإفطار.. تصرخ في أنا من أجلها!! أرسلت إلى الرجال سريعاً قبل ان يصل حُران ليتحركوا ويخطفوها.. كنت أعول عليه ليزكي

شكك فيها بعد أن ملأت أذنه ورأسه بأحاديث الخيانة والغدر من ناحيتها منذ أن وجد الرسالة التي كانت مرسلة إليّ وجعلته يظن أنها مرسلة إليها، ولكن للأسف قدم إليك دليل براءتها ولم أكن أعلمُ بأمر مراقبته إياها وإلا كنت أخذت حذري.. أوتعلم شيئاً يا رهان؟ لقد خططت أن تموت.. لولا هذا الطائر الغبي الذي سمع الحديث ونقله لك.. غيرت الخطة ساعتها وأجلت قتلها لحين نقلها إلى ليموراس وقتلها وإلصاق التهمة بنمار.. إنني أمقتها مقتاً.. تركتني أنا ليماء أجمل النساء وبنات الملوك واخترت الحقيرة لتكون ملكة سيناجنين.. لتكون إلى جانبك.. لتسعد بقربك وأحترق أنا شوقاً إليك.. اختلط كلامها ببيكائها ودموعها وشهقاتها وزفراتها.. فاضت عيناها الزرقاوان بالدمع كأنها البحر..

- لولا أنني لم أضرب امرأة قط لقطعت لسانك ورأسك؟ ولكن سأبقى عليهما حتى أضمن سلامة الملكة.. والاسفاه يا ليماء!

- فعلت كل هذا لأني أحبك.. لم أتحمّل رؤيتك معها.. لم افهم كيف اختارتها عليّ؟ إنني أموت كلها رأيتك معها.. لم أستطع أن أتحمّل ذلك.. دفنت وجهها بين يديها وأخذت تنسج..

- إننا لا نختار من نحب.. فقط نؤسر به ونسلم له كل ما فينا دون اختيار منا..

- أنا لا أصدق.. لا أصدق!! ... كان هذا حُران ينظر إليها مدهوشاً في أسف وحزن طاغين وقد امتلأت عيناها بالدموع..

رنت إليه بعينين آسفتين:

- حُران العزيز.. سامحني.. آسفة أنني قد استغلّيت حبك لي وقربي منك لأملأ صدرك بالشكوك تجاهها فتنقلها للملك لعله...



قاطعها رهان بحدة فلم يعد قادراً علي سماع المزيد:

- يا سلوان أرسل إلى الملك إسفيلس بأننا نتوقع عودة الملكة خلال يومين إذا أراد أن يستعيد ابنته يوماً ما.

- رهان.. أرجوك أبي لا يعرف شيئاً.. إن حاشيتي في القصر هي من تتولى أمر موان دون علم أبي.. إنه غافل تماماً عما يحدث..

- أوحقاً أيتها الأميرة؟! رفع رهان حاجبيه مرتاباً فيما تقول.. التقت عينا سلوان وعيناه ببعضهما مشككين فيما تقول:

- أقسم لك يا رهان.. أبي ليس له دخل في كل هذا..

- لكم يحزنني ما صرت إليه يا ليما.. لطالما كنت أختي الصغيرة المدللة.. لطالما كنت مستعداً لحمايتك ومساعدتك.. كيف استطعت أن تفعلي بي هذا؟

- سامحني يا رهان.. ولكن أحياناً لا يبصر المرء مصلحته.. أليس هذا كلامك؟! أردت أن أحميك من نفسك.. كنت سأعوضك عن أي ألم رأيته وأحسست به يوماً..

- كفى يا ليما! كفى شراً ومرضاً! كفى يا صغيرتي!! كفى! إنك تدميني بما انحدرت إليه.. قلت ما يكفي.. انطلق حران يصرخ كالجنون وجسده الضخم يهتز ويرتجف مع كل كلمة وقد امتلأت عيناه بالدموع فسالت على وجهه ولحيته الكثة.. نظر إليه رهان في أسي.. لأول مرة يرى دموع صاحبه المبهج دوماً

- حران.. سامحني أرجوك.. كانت الأميرة الجميلة قد سقطت



وأن المرأة قد خطفت بناءً على أوامر من الأميرة الجميلة بسبب الغيرة منها.. ويبدو أن راما شعرت بالفضول الشديد نحو المرأة التي جعلت الأميره ليما الجميلة تشعر بالغيرة.. إنك تعرف راما لا يخفى عليها خافية لذلك فقد ظلت تتقصى الأمر إلى أن علمت بمكان السجن واستطاعت دخوله بمساعدة من إحدى الجوارى لتُفاجأ بأن موان هي المرأة المخطوفة، فأرسلت إليّ هذا الطائر دون تلكؤ لتُنقذ المرأة التي أنقذتها من الموت آنفًا..

- كم كنت أحمق! كان هذا حُران الذي بدا عليه الوجوم والأسى وأردف قائلاً:

- لقد كانت الرسالة تخصها دون غيرها، ووضعت كل من في القصر تحت المراقبة وأغفلتها.. كنت أظن أن اهتمامها بأمر الرسائل يعود إلى خوفها عليك.. استطاعت أن تزرع الشك في قلبي تجاه الملكة ونظرًا إلى ظروف زواجكما كنت مهياً لقبول الأمر والتسليم به.. ساحني يا مولاي.. يا لحمي! لم أظن سوى أنها شديدة الحرص على مصلحتك كما أنا..

- هون عليك يا حُران.. من كان يظن شرًا بليما الجميلة رفيقة العمر.. كنت تحذرنى أن الحب يعميني ولكن الحقيقة... أثر السكوت حتى لا يثقل على صاحبه الذي يعلم أن الأمر شديد الوطأة عليه.. كان يظن أن الوزير قد أخفق بشدة في تحقيقاته بأمر الرسائل التي كانت من الممكن أن تقودهم إلى ليما وتجنبه المرور بكل هذا، لكنه ترفق برفيق دربه الذي يرى أن ألمه قد بلغ المدى بسبب حبه وتعلقه بليما.. قبل أن يغادر سلوان القاعة استوقفه الملك قائلاً:

- سلوان.. لا تنس أن تذكر رغبتنا في استعادة راما دون أن



يمسها سوء.. فبعد أن يسلموا الملكة لا بد أنهم سيحققون في الأمر
وسيكشفون أنها هي من وشت بالأميرة المدللة..

- بالطبع يا مولاي.. لن أغفلها في رسالتي.

بعد أن خرج أسند رُهان ظهره وتهد في راحة وهو يفكر أنه
يجب أن يشكر موان عندما تعود لأنها حالت بينه وبين راماء..

وقف حُران مصدوماً وقال في أسي:

- إنني آسف يا مولاي.. لقد أخفقت بشدة وكنت سببا فيما
تقاسيه الآن.. لقد خبيت ظنك في... نعم لقد أعماني الحب.. لم
يساورني أي شك تجاه ليماء..

- نعم.. ولا أي أحد..

- إذا ماذا ستفعل بها؟ وعلى الرغم من أن حُران لم يزد فإن
الملك قد رأى في عيني صاحبه من الرجاء الصامت ما لم يستطع
تجاهله..

- أفتني في أمري.. ماذا ترى يا وزير حُران؟

- لطالما عهدتك عفواً رؤوفا يا مولاي..

حُران الذي عادة ما يطلب بإنزال أقسى العقوبات بالمدنبيين
يطلب عفواً وصفحاً هو الأقسى على نفس رُهان.. نظر إليه رُهان
في حيرة من أمره وتفهم لما يمر به صاحبه في آن واحد.. ها هما
الصديقان يقف كل منهما على النقيض من صاحبه بسبب حب
حياتيهما.. هز رُهان رأسه في حزن:

- الأمر لا يخصني وحدي يا حُران.. ولكن نظراً إلى الظروف
الراهنة فإني أتعهد لك بسلامة الأميرة لأنه الضمان الوحيد
لسلامة الملكة.. ورغم ذلك يجب أن تفرض عقوبات رادعة
على مملكة منتينيس لتصبح عبرة لكل من تسول له نفسه المساس
بسيادة سيناجنين ومكانتها.. زفر حُران في راحة كان يعلم أن مقالة
الملك تلك تعد عفواً مبطناً.. وقد قدر له الوزير ذلك وتذكر مقالة
ليما له:

«حتى أنت يا حُران تستفيد من ذلك».

كان رُهان يعلم أنه يتحجج للعتو عن الأميرة.. وأنه يحمّد الله على
سلامة موان التي لولاها لم يكن قادراً على عفو كهذا.. أراد أن
يخفف عن صاحبه ألمه الذي رغم كل ما سببته له الأميرة من
لوعة وحسرة يحاجج عنها الملك.. كان يشعر بأنه بهذا العفو الذي
يخفف به عن صاحبه، يشكر الله الذي حفظ له موان بطريقة
أخرى..

- ولكنني في الوقت نفسه.. أمرك ألا يحدث بينك وبينها أي
اتصال من أي نوع لا أنت ولا أي مخلوق آخر.. دعها تقاسي ولو
قليلاً مما جعلت الملكة تقاسيه حتى تعود إلى بلادها.

- أمرك يا مولاي.. أوما حُران في حزن وأسى..

- لقد عفوت يوماً يا حُران وكان العفو يوماً أبغض شيء إلى
نفسي وقد أكرهت عليه.. وقدر الله أن يكون هذا العفو سبباً في
إنقاذ الملكة من موت محقق.. اليوم أعفو دون إكراه عسى الله أن
يعفو عني.



* * *



الخطامة

بعد مرور ثمانية عشر شهراً..

- لا بد من زيادة إنتاج الأخشاب يا مولاي.. يبدو أن الشتاء القادم سيكون الأصعب منذ عقود.

- فعلاً.. يبدو هذا.. كان رهان مشغول البال وقلقاً

- لا تقلق يا مولاي.. هذه الأمور تأخذ وقتاً.. كان يحاول أن يلهي صاحبه الذي يأكله القلق..

- ولكن يا حران لقد مضى وقت طويل بالفعل.. لقد بدأ الأمر منذ البارحة.. فُتح الباب وانطلقت فتاة تقول:

- مبارك لك يا مولاي.. لقد رزقت بطفلة جميلة.. بورك فيها.. تهلل وجه الملك وسألها:

- هل الملكة بخير يا راما؟

- إنها متعبة من أثر المخاض، لكنها ستتعافى سريعاً بإذن الله..

- سأذهب لأطمئن عليها.. انتظري حتى ترى الصغيره يا حران..

- حمدًا لله أنك قلت هذا.. لا أطيق صبراً حتى أراها.. بقي حران وراما خارج الغرفة ودخل الملك.. كانت موان ترقد على سريرها وشعرها الأسود قد رفع عن وجهها الجميل في كعكة

عالية.. بدا عليها التعب والسعادة في آن معا وبجانبيها لفافة حمراء
تنظر إليها في حبور.. عندما رأته أشرق وجهها المتعب بابتسامة
واسعة

- رُهان.. انظر كم هي جميلة.. جلس بجانبها وقبل يديها

- موان لقد كدت أموت خوفاً يا حبيبتى.. يبدو عليك التعب
الشديد.. حمداً لله على سلامتكَ

- ولكنها تستحق حقاً.. انظر إليها.. ما أحلاها!

- ما أجملها! ماذا ستسميها؟

- لا أعرف.. كنت أفكر.. ربما راما.. ما رأيك؟

- راما! سألها في ذهول..

- نعم.. أنت تعرف لولاها..

- نعم.. نعم.. لا مانع لدي.. راما اسم جميل.. ضمها إليه ثم
أردف:

- مهما فعلت لها فلن أوافيها حقها ما حيت لقد أعادت إليّ
روحي.. لعل الله يجازيها عنا خيراً..

- إنها سعيدة بحريتها وبزوجها سنجي.. إنها تعشقه وثنوق إلى
اليوم الذي تنجب منه.

نظر إلى الفتاة النائمة في هدوء ثم تذكر حُران الذي ينتظر رؤية



الطفلة فاستأذن من موان ليدخله.. عندما دخل حُران ألقى
التحية على الملكة..

- أهلاً يا حُران.. انظر كم هي جميلة ابنة أخيك..

حمل إليه رُهان اللقافة الحمراء التي تحوي الطفلة الصغيرة النائمة
وتركها بين يديه.. حركت الطفلة يدها فتعلقت بلحيته الطويلة
الكثثة..

- مرحى أيتها المشاكسة الصغيرة.. هذا هو العم حُران الذي
سيمرح معك كثيراً.

* * *

تمت

الحمد لله رب العالمين

